جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
الفرع : تاريخ عام
التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: .....

إعداد الطالبة:
نسيبة الطيب

يوم:03/ 07/ 2019

مالك بن نبي وموقفه من قضايا الوطن العربي1905-1973

لجنة المناقشة:

الخنساء تومي	أ. مح أ	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	**رئيس**
نصر الدين مصمودي	أ. مح أ	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	**مشرف**
جازية بوكرادة	أ. مس ب	**جامعة بسكرة محمد خيضر**	**مناقش**

السنة الجامعية:**2018-2019**

"إن أكبر لحظات التاريخ هي دوما اللحظات التي تكون فيها وحدة كفاح شاملة ضد الطبيعة أو ضد البشر، فعندما تكون المعركة على هذه الصورة فإنها تكون في مستوى القداسة، وذلك هو مستواها الإيديولوجي في أوجه، فالنقائص التي تعانيها النهضة الآن يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن في طليعة التاريخ، فنحن ندين له بمواريثنا الاجتماعية والتقليدية التي جرينا عليها في نشاطنا الاجتماعي لم يكيف بأن نفسه المريضة قد خلقت مفلسة، فالتاريخ لا يلتفت إلى الأمم والشعوب التي تغط في نومها، فالشعب الذي لا يقوم بدوره ما عليه إلا أن يخضع".

مالك بن نبي

الإهداء

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات، تتبعثر الأحرف وعبثا أن يحاول تجميعها في سطور، سطورا كانت كثيرا ما تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات، وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا، فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطواتنا الأولى في غمار الحياة فقد يقف المرء عاجزا على رد الجميل لذوي الفضل وقد لا تطاوعه أساليب التعبير ليعبر عن كل معاني الحب والتقدير، فإذا كان الإهداء يعبر عن القليل من الوفاء والشكر والتقدير، فأهديه إلى معلم البشرية وإمام الناس وسيد خلق الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار وأحمل اسمه بكل فخر إلى من دفعني إلى العلم و به ازداد افتخار والدي الغالي.

إلى معنى الحب ونبع الحنان الصافي، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب، أمي الغالية.

إلى من هم أقرب إلي من روحي، إلى من شاركني حضن الأم وبهم استمد عزتي وإصراري إلى ركيزة الدار: فيصل وعبد الباسط وعبد المطلب.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي: فطيمة، سمية، حنان، حليمة، خديجة.

إلى كافة الأعمام والأخوال وكل من تربطهم صلة بي وكل من يحمل لقب الطيب كما لا أنسى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي، إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم آنست و في دروب الحياة و العلم ساروا معي على طريق النجاح والخير، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي: إيمان، سمية، هبة، أمال، روميسة، وفاء، عواطف، كريمة، عائشة، عفاف، العمرية، كلثوم، سمية، سمية، سعدية، نجاة، شهرة، لطيفة، أمل، خديجة، حبيبة.

وإلى كافة خريجي دفعة التاريخ تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر لسنة 2019.

نسيبة

شكر و تقدير

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك، الله جل جلاله، والحمد لله الذي وفقني إلى سبيل العلم، أما بعد فهانحن اليوم نصل بعون الله تعالى إلى تقديم هذا العمل الذي نرجو بأن يضيف لبنة لتاريخ بلادنا فبعد جهود مضنية وصلنا إلى نهاية مشوارنا الدراسي، ولابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد ليبعث الأمة من جديد، وقبل أن نمضي لابد لنا أن نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتي الأفاضل وخاصة العاملين في قسم التاريخ، كل باسمه اللذين استقينا منهم التواضع قبل العلم وعلمونا الصبر والجلد في العمل بكل تفاني وصدق كما لا ننسى أن نشكرهم على رحابة صدرهم وصبرهم علينا للأخذ بأيدينا إلى منابع العلم والمعرفة البناءة، وأخص بالتقدير والشكر أستاذي المشرفين الأستاذ والأب مصمودي نصر الدين والأستاذ لخميسي فريح، اللذين تفضلا بالإشراف على هذا البحث فجزاهما الله عني كل خير ولهم مني كل التقدير والاحترام، وبالتأكيد لن ننسى في هذا المنبر الذي ملؤه الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا علينا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة مما زاد في قيمتها فشكرا جزيلا، كما لا أنسى عمال المركز الإسلامي، وعمال المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية ببسكرة، أقول لهم شكرا على رحابة صدركم واستقبالكم لنا وتقديم يد العون لنا من أجل مواصلة بحثنا هذا و إنجاحه.

مقدمة

مقدمة

شهد العالم العربي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الكثير من القضايا والمشكلات التي تعود جذورها إلى عهود الاستعمار الأوروبي الغربي و وسائله وأساليبه الهادفة إلى تمزيق الأمة العربية، وفك أوصالها والقضاء على وحدتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن هذا المنطلق ظهر مصطلح الإصلاح، وظهر معه مصلحون يحملون معهم الحلول التي أنتجتها سياسات الفساد السياسي والاقتصادي والإفقار الاجتماعي، فأصبح الهم الرئيسي لهؤلاء المصلحين هو إعادة بناء المجتمع العربي وإصلاحه في مختلف المجالات، فلا يخفى علينا بأن القرن الماضي قد شهد ظهور تيارات فكرية وسياسية كثيرة ما لبثت أن تقولبت في مذاهب اجتماعية فأحدثت انقلابا جذريا في شتى الميادين وغيرت مفهوم الإصلاح، ففكرة الإصلاح والتجديد والنهوض بالمجتمع هي من أهم القضايا التي لطالما شغلت جموع المفكرين والعلماء العرب في القرن الماضي أكثر من أي وقت مضى وقد طرحت هذه القضايا من عدة زوايا مختلفة ووفقا لعدة وجهات نظر متباينة من قبل المفكرين على عدة مراحل متعددة من تاريخنا العربي، إذ ظلت الأمة العربية تواجه مشكلات وأزمات حقيقية في مجالات الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة، فلقد تعددت الكتابات حول القضايا العربية واختلفت الرؤى والمقترحات لحل تلك المشاكل التي حلت بالوطن العربي، وسعى كل واحد لمحاولة إيجاد الحلول المناسبة لهذه الأزمات، فالقضايا العربية كانت ولازالت مادة دسمة لجميع المؤرخين والمفكرين وذلك لما لها من أهمية في حياتهم، ومن هنا وقع اختيارنا على أحد و أبرز مفكري القرن العشرين وهو فيلسوف الحضارة مالك بن نبي هذا المفكر الذي كرس حياته لخدمة وطنه وخدمة الأمة العربية والإسلامية، فلقد سعى للاحتكاك بالواقع المعاش ووقف ضد التكديس الفكري وضد الحلول التي لا تؤدي إلى تغيير الواقع من جذوره، ومن هذا المنطلق جاءت دراستي المعنونة بـ: **مالك بن نبي وموقفه من قضايا الوطن العربي.**

_أسباب ودوافـع اختيار الموضـــوع:

_ محاولة تسليط الضوء على شخصية كانت ولازالت محط اهتمام معظم الباحثين العرب والمسلمين والغرب.

_ إن فكر مالك بن نبي لم يرتبط بموقع جغرافي معين، فرغم انتمائه للجزائر إلا أن أفكاره كانت على امتداد رقعة العالم الإسلامي، ولذلك حاولت الاطلاع والاستفادة من أفكاره ومؤلفاته المتعددة الاختصاصات والقيمة.

_ إن فكر مالك بن نبي ليس مجرد تنظير مثالي للواقع وإنما هي وليدة البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية.

_ اهتمامي بهذا النوع من المواضيع الفكرية والثقافية ومن هنا وقع اختياري على شخصية مالك بن نبي لما لها من وزن على الصعيد العالمي والعربي.

إشكـالية البحــث:

يعد مالك بن نبي من أهم المفكرين الذين تناولوا العديد من القضايا الخاصة بالوطن العربي، فطرح مشكلة الثقافة، ومشكلة الأفكار والقابلية للاستعمار، وتطرق إلى الحديث عن القضايا السياسية، إذا من خلال طرحنا هذا نلاحظ بأن الفكر البنابي قد شمل مختلف الجوانب وتفرع إلى العديد من القضايا التي تخص الإنسان محاولا إبراز موقفه الخاص بكل قضية، ومن هذا المنطلق حاولت طرح ومعالجة الإشكال التالي: **فيما تمثل موقف مالك بن نبي من أهم قضايا الوطن العربي؟**، وللإجابة على هذه الإشكالية قمت بطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية ومن بينها:

من هو مالك بن نبي؟ وما هي أهم الظروف التي عاشها خلال حياته العلمية؟ وما هي أهم مؤلفاته؟ وما هو رأيه في القضايا السياسية في الوطن العربي؟ ما هو موقفه من الحركات الإصلاحية في الوطن العربي؟ وكيف عالج مسألتي الثقافة والأفكار؟

منهـــج البحث

وللإجابة على التساؤلات المطروحة قمت بإتباع المنهج التاريخي، مستعينة بالمنهج الوصفي لعرض الوقائع التاريخية ووصفها في سياق طرحها، وكذلك المنهج التحليلي، وقد استخدمته من أجل تحليل أهم الأفكار الخاصة بالدراسة سواء من خلال ما كتب من طرف مالك بن نبي أو ما كتب في مراجع تتناول فكر مالك بن نبي.

خطة البحـث: وللإجابة على التساؤلات التي قمت بطرحها كان لابد لي من إتباع خطة مكونة من أربعة فصول دون أن أنسى المقدمة والخاتمة.

_الفصـــل الأول: وقد كان هذا الفصل عبارة عن فصل تمهيدي، حيث قمت بتقسيمه إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول مولد ونشأة مالك بن نبي بالإضافة إلى مختلف جوانب حياته إلى غاية بداية إنتاجه الفكري وأهم الكتب التي أصدرها، أما المبحث الثاني فتناولت فيه البيئة التي نشأ فيها مالك بن نبي والأوضاع التي عاشتها الجزائر خلال فترة عيشه بها والتي أثرت عليه أثناء حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

_الفصـــل الثانـــي: تناولت في هذا الفصل أهم القضايا السياسية التي طرحها مالك بن نبي في مؤلفاته، حيث قسمت هذا الفصل إلى مبحثين، في المبحث الأول درست موقفه من أهم القضايا السياسية في المغرب ومن بينها حادثة اغتيال الهادي شاكر التونسي والحركة الوطنية الجزائرية، أما المبحث الثاني، فدرست فيه أهم القضايا التي كانت في المشرق العربي والتي من بينها القضية الفلسطينية، والنكبة الفلسطينية.

_ الفصل الثالـــث: كان عنوان هذا الفصل المسألة الاجتماعية والاقتصادية عند مالك بن نبي، فتم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، في المبحث الأول عرضت فيه موقف مالك بن نبي من أهم الحركات الإصلاحية التي عاصرها وعايشها مثل حركة الشيخ محمد عبده، وحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أما في المبحث الثاني فعرضت فيه المسألة الاقتصادية على اعتبار أنها من أهم القضايا التي تخص المواطن العربي، كما أنها هي أساس بناء المجتمع و أساس التقدم والتطور.

_الفصل الرابـــع: تم عنونت هذا الفصل بالمسألة الثقافية والفكرية عند مالك بن نبي وقمت بتقسيمه إلى مبحثين كذلك، في المبحث الأول تم دراسة المسألة الثقافية وحاولت الإلمام بالبعض من جوانبها مثل الجوانب النفسية والاجتماعية للمسألة الثقافية وكذلك كيفية الخروج من الأزمة الثقافية التي يعاني منها الوطن العربي، أما المبحث الثاني فتناولت فيه المسألة الفكرية واخترت بعض المشكلات التي تمس الوطن العربي ويعاني منها كأزمة فعلا والتي من بينها ازدواجية اللغة والأفكار الميتة والأفكار المميتة.

_أهم المصادر والمراجع المعتمدة: بناء على الخطة الموضوعة والأسئلة المطروحة قمت بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي تخص الموضوع وتتمحور حول دراستنا، ومن بين هاته المصادر والمراجع نجد مؤلفات مالك بن نبي والمتمثلة في:

_كتاب شاهد على القرن: الصادر في سنة 1966، وقد استفدت منه من خلال دراسة حياته والتعريف بشخصية مالك بن نبي على لسانه، وهو ما سهل لي التعرف على مختلف نواحي حياته وأهم المحطات التي مر بها طيلة فترة حياته.

_كتاب مشكلة الثقافـــة: الصادر سنة 1959 واستفدت منه من خلال دراستي للمسألة الثقافية ومحاولتي للإحاطة بكل جوانبها فهو يعد مصدر مهم لكل باحث في هذا الجانب على اعتبار أنها من أهم القضايا التي تطرق إليها.

_كتاب مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: وقد اعتمدت عليه حينما تم التطرق إلى أهم القضايا التي تخص مشكلة الأفكار في العالم العربي.

_كتاب وجهة العالم الإسلامي: وقد اعتمدت عليه في عدة نقاط من بينها دراستي للحركات الإصلاحية.

واعتمدت كذلك على بعض المراجع التي تحدثت عن مالك بن نبي وأفكاره من بين هذه المراجع نجد: كتاب مالك بن نبي حياته وفكره لمؤلفه عبد الله بن حمد العويسي، واستفدت منه في فهم شخصية مالك بن نبي وفهم فكره، أما كتاب مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة للباحثة فوزية بريون فقد استفدت منه في التعرف على فكر مالك بن نبي.

بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل والأطروحات الجامعية والمجلات العلمية التي تناولت فكره فعن الرسائل نجد رسالة ماجستير للباحثة لويزة لعميري التي تحمل عنوان نظرية الثقافة عند مالك بن نبي _ دراسة تحليلية_ أما المجلات فنجد مجلة الملك فيصل في عددها 196 الخاص بمالك بن نبي، ومجلة الثقافة العدد 85.

_الصعوبات المواجهة في البحث: من بين الصعوبات التي واجهتها في هذا البحث والتي قد تواجه أي باحث فنجد من بينها:

_ أنه ليس من السهل الخوض في كتب تعالج أفكار وأطروحات مالك بن نبي العميقة في معالجة القضايا.

_ أن مالك بن نبي عند تناول مشكلات الحضارة والقضايا التي طرحها كانت بشكل شامل للعالم الإسلامي، ولم يخصصها للوطن العربي فقط وهو محور دراستي وبحثي مما تطلب مني جهد في البحث عن القضايا التي تخص الوطن العربي.

_ صعوبة أسلوب مالك بن نبي في طرح آرائه والتي تتطلب جهد لدى الطالب حتى يستطيع فهمها.

واختتمت هذا البحث بخاتمة تحتوي على أهم النقاط المتوصل إليها خلال فترة بحثي في موضوع الدراسة.

الفصل التمهيدي:

التعريف بمالك بن نبي

تمهيـــــد

تعد الجزائر من بين الدول العربية التي شهدت خلال فترة القرن العشرين ظهور العديد من الشخصيات التي حملت على عاتقها الإصلاح وضرورة التغيير الاجتماعي فلقد عرفت الجزائر ظهور نخب مثقفة حملت معها هموم وطنها والأمة وحاولوا يجاد الحلول المناسبة للعديد من القضايا والمشكلات التي كان قد زرعها الاستعمار في المجتمع العربي، وحاولوا أن يخرجوا بالمجتمع العربي من العتمة إلى النور، ومن بين الشخصيات التي ظهرت في تلك الفترة نجد مالك بن نبي الذي جابه كل التحديات والصعاب من أجل النهوض بالوطن العربي والإسلامي، والخروج به إلى الطريق السوي، فدرس جميع المشكلات التي تخص الفرد العربي، وما يواجه من مشاكل، لكن قبل التطرق للحديث عن هاته القضايا حاولنا أن نسلط الضوء في هذا الفصل على كل ما يخص شخصية مالك بن نبي وما يخص بيئته التي كانت السبب في ظهور ونبوغ فكره النابع من معاناته والصعوبات التي واجهها، فكيف نشأ مالك بن نبي؟ وما هي العوامل التي أثرت في شخصيته؟

المطلب الأول: نشأة مالك بن نبي

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في مدينة قسنطينة إحدى المدن الجزائرية في السادس من ذي القعدة سنة 1323الموافق للثامن والعشرين من يناير 1905.[1]

حيث يقول:(**ولدت في زمن يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق أخر من بقي حيا من شهوده والإطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده**)، عاش مالك بن نبي في أسرة

[1]. عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره**، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012، ص51.

فقيرة حالها حال أغلبية الأسر الجزائرية في ذلك الوقت، وكان هو الابن الوحيد لعائلته وأخ لثلاثة بنات، انتقلت عائلة مالك بن نبي للعيش في تبسه وبقي هو في قسنطينة إلى أن بلغ سن السادسة من عمره حيث ذهب للعيش مع عائلته في تبسة بعد أن توفي عمه الذي تبناه في صغره[1].

نشأ مالك بن نبي في وسط أسرة محافظة والتي كان لها اتصال بالطرق الصوفية فلقد كان عمه يأخذه معه إلى الزاوية العيساوية[2] وهو ما أثر على تكوينه مند نشأته، وكانت لجدته التأثير القوي عليه من خلال الأقاصيص والحكايات حيث يقول: "منها عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي"، زاول مالك بن نبي دراسته بالمدرسة الابتدائية الفرنسية في وسطه الجديد بتبسة وأدخل الكتاب لحفظ القران الكريم أيضا ويذكر أن نفقة المعلم لم تكن موجودة مما دفع بوالدته أن تعطيه سريرها الخاص بدل المال،[2]ونظرا للتباين والاختلاف الواضح بين المدرستين جعل الطفل ينفر من مدرسة الكتاب ويتغيب عنها كثيرا مما عرضه للعقاب من طرف المعلم ومن والده وهو ما زاده ابتعادا عنها، بعدها اقتنع والده بأن يستمر في المدرسة الحكومية وينقطع عن مدرسة القرآن القديمة[3].

بعد أن أنهى مالك بن نبي مرحلة التعليم الابتدائي وتمكنه من الالتحاق بمدرسة سيدي الجلي بقسنطينة سنة 1921 لإتمام المرحلة التكميلية وهنا كان لقاؤه مع ذلك التيار الناشئ في

---

[1]. مالك بن نبي، **مذكرات شاهد على القرن، القسم الأول، الطفل (1905– 1930)**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984، ص18.

[2]. **الزاوية العيساوية:** هي فرع من فروع الطريقة الشاذلية الجازولية أيضا مؤسسها هو الشيخ محمد بن عيسى دفين مكناس بالمغرب الأقصى واشتهرت العيساوية بأنها من الطرق المهرجة فهي تمارس ظاهريا لا علاقة لها بالعبادة والتصوف كالسحر وأعمال العنف وغيرها من أوجه النشاط العضلي والبدني على مسمع ومبصر كل الناس، للمزيد ينظر أبو القاسم سعدا لله **تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول**، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص81–82.

[3]. مالك بن نبي، **المصدر السابق**، ص19.

[4]. **المصدر نفسه**، ص42.

المدينة وانتقالها إلى مرحلة الإصلاح وتعرف على تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس وهناك انخرط في المناقشات التي تعقد ليناقش في الموضوعات العلمية والدينية.

في سنة 1923 نجح مالك بن نبي في نهاية المطاف من الدخول إلى المدرسة الرسمية على تكوين نفسه علميا ومعرفيا، حيث درس الأدب العربي والأدب الفرنسي وتطرق بالبحث والدراسة في الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي وقد كان شديد الاهتمام بالمطالعة في الصحافة العربية والفرنسية كجريدة المنتقد، وقد أثرت هذه الجوانب القيمية والأخلاقية في شخصيته كما كانت نافذة يبصر من خلالها مدى المأساة والمرارة التي كان يعيشها العالم الإسلامي وخاصة العالم العربي[1].

في عام1925 ودع مالك بن نبي قسنطينة في تلك الفترة وبعد تخرجه من مدرسة سيدي الجلي بنجاح باهر، لكن مالك بن نبي لم يكن ينوي الدخول في القسم العالي بالجزائر العاصمة لسببين:

أ/ مستوى دراسة المقررات الذي لا يؤهله لذلك

ب/ موقفه من مدير المدرسة الذي كان في نزاع معه[2].

وفي سنة 1930 حاول مالك بن نبي أن يلتحق بمعهد الدراسات الشرقية بباريس إلا أنه صدم بحقيقة أن الالتحاق بالمعهد بالنسبة لجزائري مسلم لا يخضع لمقاييس فكرية بل لمقاييس

[1]. محمد العبده، **مالك بن نبي مفكرا اجتماعيا ورائدا إصلاحيا**، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، 2006، ص25.

[2]. **المرجع نفسه**، ص26.

سياسية، فسجل بدلا من ذلك عملا بنصيحة أحد أصدقائه في مدرسة اللاسلكي ليتخرج بعد خمس سنوات برتبة مساعد مهندس[1].

وفي سنة 1931 تزوج مالك بن نبي من امرأة فرنسية أسلمت على يده وأصبح اسمها خديجة فأحس بالاستقرار بهذا الزواج وتهيأت له القاعدة النفسية للتركيز العلمي والتحصيل الدراسي حيث ساهم هذا الزواج في تنمية الحس الجمالي في تفكير مالك بن نبي، وفي أواخر الخمسينيات تزوج مالك بن نبي مرة ثانية من قريبة له،لأن زوجته خديجة بقيت في فرنسا، حيث يقول الأستاذ فوزي الحسن: أن هذا الزواج كان دافعه الأساسي لأن مالكا كان يحتاج لمن يعينه في حياته، ولم يكن مع فكرة استخدام إنسانة كخادمة لهذه الغاية، من زوجته الثانية فأنجب ثلاث بنات منهما توأم سنة 1961 سماهما: إيمان ونعمت وابنته الصغرى رحمة[2]، ونتيجة للتعثرات الاجتماعية حاول مالك بن نبي القيام بعدة رحلات حاول من خلالها أن يجد مكانا مناسبا تتوفر فيه مناصب للعمل، فقام بعدة رحلات داخلية وخارجية من بينها:

1/ رحلاته الداخلية:

أ / **الرحلة إلى الريف التبسي:** حيث عمل هناك في المحكمة، وكانت طبيعة العمل تفرض عليه القيام بعدة رحلات حول المنطقة، وذلك حسب الطول والقصر للمنطقة التي تتم زيارتها فكانت اللجنة تقوم أحيانا بالمبيت خارج المدينة وذلك لما تقتضيه ضرورة العمل، وحسب الصلاحيات الممنوحة لها من طرف محكمة تبسة القضائية[3].

---

[1]. لويزة لعميري، **نظرية الثقافة عند مالك بن نبي –دراسة تحليلية نقدية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: أدب عربي، فرع النقد الثقافي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010، ص15.

[2]. أسعد السحمراني، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**،ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان ، 1984، ص 18

[3]. عبد الله بن حمد العويسي، **المرجع السابق**، ص 82

ب/ **رحلته إلى آفلو:** لم تكن هذه الرحلة لتشبع طموحه لذلك كان ينتهز الفرصة محاولة منه العمل في التجارة، ولما علم بأن هناك منصب شاغر في شلغوم العيد، تقدم بطلبه، وأتته الموافقة بعد عودته من الإجازة إلى آفلو، فودعها مكرها، حيث يقول: ولكنني كنت أحمل بين جنبي ألما، ما كانت آفلو تستطيع أن تطامن منه، فكان رحيلي ضروريا[1].

2/ **رحلاته الخارجية:**

أ/ **رحلته إلى فرنسا:** عندما وصل مالك بن نبي إلى باريس أثارته المدنية الحديثة في جانبها التكنولوجي، فكان يتردد على متحف الفنون والصناعات منذ الأيام الأولى لنزوله بها حيث بهرته روائع المتحف بما يحتويه من مبتكرات العلم والتكنولوجيا الحديثة، وهنا تعرف مالك بن نبي على الجانب الروحي للحضارة الغربية الأوربية بشكل تفصيلي، واكتشف بصفة خاصة واقع الحياة الأسرية للعائلة الأوروبية، وهذا عن طريق صديق أوروبي له[2]، وهنا كان لقائه بصديقه حمودة بن الساعي المنتظم في الدراسات الإسلامية بالسوربون الذي كان لصحبته الأثر البالغ في توجهه نحو الدراسات بباريس بنشاط مكثف على الصعيدين الفكري والسياسي، حيث نشط هناك في العمل السياسي، وكتب مقالات وألقى محاضرات.

وقد عرف في هذه الفترة بتصدره لدعوات الإصلاح، والإسلام، والوحدة المغربية، حتى لقب بزعيم الوحدة المغربية.وخلال إقامته في مصر تعرف على فريد زين الدين الذي أصبح وزيرا للخارجية زمن الوحدة العربية المتحدة، ومن خلاله تعرف على أفكار شكيب أرسلان الإصلاحية والذي كان يومها لاجئا في جنيف، وتعرف كذلك على المستشرق لويس ما سينيون، وساءت العلاقة بينهما بسبب عدم الدراية من بن نبي كما يعترف في مذكراته والمعرفة في التعامل مع رجال الاستعمار وتيسر له أن يقابل المهاتما غاندي الذي زار باريس عام 1932، وألقى فيها

[1]. عبد الله بن حمد العويسي، **المرجع السابق**، ص 82.

[2]. عمران بودقزدام،**التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي**، د. ط، دار الهدى، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص، 26، 29.

محاضرة حضرت لها الجمعية التي كان مالك بن نبي عضوا فيها وهي جمعية الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين[1]، حيث كانت هذه الوحدة تدار وتنظم شؤونها طبقا لضرورات شباب يدرس أو يعمل بعيدا عن بيوت الأهل، كما قام بالاتصال بأبناء المستعمرات وأشباه المستعمرات ضف إلى ذلك الأوربيين واليهود، وقد ساهمت كل هذه الاتصالات في نضج حسه الاجتماعي والسياسي[2].

ب/رحلته إلى مصر: ولأنه كان معجبا بفكرة مؤتمر باندونغ، قرر مالك بن نبي مغادرة فرنسا نهائيا متوجها إلى مصر، حيث حل ضيفا هناك عليها وذلك بدعوى من زعيمها يومئذ وأحد الشخصيات التي سطع نجمها في مؤتمر باندونغ، وفي العالم العربي، جمال عبد الناصر، حيث كتب هناك مالك بن نبي كتاب فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ[3]، وقامت بطبعه الحكومة المصرية على نفقتها الخاصة، وهنا استقر مالك بن نبي وتعرف العالم العربي عليه وصار له تلاميذ وأصدقاء، وأقام علاقات مع الكثير من الشخصيات العربية، وقد اختار مالك بن نبي مصر كونها أنها بلد و مركز الثراء الفكري والاجتماعي والحضاري في الوطن العربي، وكونها كانت أول بلد مساند للثورة الجزائرية التحريرية[4]، لذلك كانت مصر ملجأ للكثير من الوطنيين الجزائريين، حيث عمل في مصر عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وشارك في اجتماعاته، وشارك في مؤتمرات إسلامية وثقافية وحاضر في جامعة دمشق وفي القاهرة ولبنان أكثر من مرة، وكان يقيم في مصر ندوة فكرية في منزله كل يوم جمعة[5].

---

[1]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص 27.

[2]. **المرجع نفسه**،ص26.

[3]. محمد العبدة، **المرجع السابق**، ص 41.

[4]. فوزية بريون، مالك بن نبي، **عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، ط1، دار الفكر، 2010، ص112.

[5]. عبد الله بن حمد العويسي، **المرجع السابق**، ص131.

3/ **العودة إلى أرض الوطن**(1963/ 1973):

غداة الاستقلال عاد مالك بن نبي إلى الجزائر، واشتغل كعادته بالعمل الفكري وفي سنة 1963، عين مديرا للتعليم العالي في الجزائر المستقلة، وكان يقيم في العاصمة ندوة أسبوعية للطلبة، وظل مكافحا في ميدان الكلمة وفي سنة 1967، استقال من منصبه كمدير للتعليم العالي، وبقي يقيم ندواته ومحاضراته مساء كل سبت للمفرنسين، ومساء كل أحد للمعربين، وأسهم في بعث ملتقيات الفكر الإسلامي ومعارض الكتاب ودفع بطلبته لتأسيس مسجد في الجامعة المركزية[1].

4/ **رحلات أخرى:** زار مالك بن نبي دولا عديدة مثل الصين وألمانيا، روسيا، أندونيسيا، أفغانستان، ألبانيا، إيطاليا[2]، أما الدول العربية فلقد زار منها ليبيا، تونس، لبنان، سوريا، السعودية حيث زار مدينة الرياض بدعوى من جامعة الملك سعود، وألقى فيها مجموعة من المحاضرات في كل من جامعة الملك سعود وكلية الشريعة بالرياض ومعهد الإدارة العامة، وكانت تلك الزيارة الأخيرة في عام 1972، وقد قام مالك بن نبي بعدة زيارات إلى بيت الله الحرام لآداء فريضة الحج، حيث قام بالحج أربع مرات وكانت أخرها سنة 1972، وقبل ذلك مر بسوريا ولبنان للمرة الأخيرة، أي قبل وفاته بسنة[3].

المطلب الثاني: تكوينـــه:

ساهمت مجموعة من العوامل في تكوين فكر مالك بن نبي حيث امتزج فكره بثقافتين مختلفتين ومتباينتين هما العربية والغربية ويعود هذا التنوع في التكوين الفكري من خلال كثرة المطالعات والقراءات التي أشبع بها ملكته الفكرية فلقد اختلفت هاته المطالعات بين الأدبية والسياسية والفكرية ويمكن أن ندرج هذين الثقافتين على النحو التالي:

---

[1]. محمد عبد الحليم بيشي، **نظرية الاستعمار والثورة في فكر مالك بن نبي**، إيفي ميديا، الجزائر، 2013، ص36 .

[2]. عبد الله بن حمد العويسي، المرجع السابق، ص 130

[3]. محمد عبد الحليم بيشي، المرجع السابق، ص 131

أ/ **الثقافة العربية:** درس مالك بن نبي مختلف الصحف والكتب العربية في ذلك الوقت فتأثر في تكوينه الفكري والثقافي والعلمي بكتابات ودراسات رواد التجديد والنهضة قبله ما ساعده في التعرف على بعض مشاكل العالم الإسلامي من خلال ما كان يصل إلى قسنطينة ففي هذه الفترة قرأ العديد من الكتب من بينها: كتاب الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق للتركي أحمد رضا خان، وقرأ كتاب المقدمة لابن خلدون حيث قرأها مترجمة للفرنسية من طرف سلفستر دي ساسي، وقرأ كتاب مروج الذهب للمسعودي.

كما قرأ كتاب رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وكتاب أم القرى للشيخ عبد الرحمن الكواكبي، واطلع على كتب الأدب العربي حيث حظي بفرصة الإطلاع على شعراء العصر الجاهلي وشعراء العصر العباسي والأموي وشعراء المدرسة الحديثة كحافظ إبراهيم وأحمد شوقي ومعروف الرصافي وإيليا أبو ماضي، كما تأثر بحركة الشيخ عبد الحميد بن باديس الإصلاحية وتلامذته فمالك بن نبي كان من بين الطلاب الذين يحضرون محاضرات المدرسة والتي من بينها محاضرات الشيخ (بن العابد السماتي الجلالي[3]) أستاذ الشريعة الإسلامية آنذاك وقرأ العديد من الصحف والمجلات من بينها: الشهاب والمنتقد وصحيفة الشؤون العامة لقسنطينة، ومجلة الأخبار الأدبية وجريدة النضال الاجتماعي، وصحيفة صدى الصحراء وصحيفة الإقدام، وقرأ كتاب روح الإسلام للسيد أمير علي[1].

المحيط الاجتماعي:

المحيط الأسري: حيث تعد المدرسة الأولى لمالك بن نبي وذلك من خلال الحكايات وأقاصيص جدته التي تروي فيها مأساة أسرتها غداة دخول الاحتلال إلى الجزائر وكانت جدته بمثابة

[1]. **محمد بن العابد السماتي الجلالي:** ولد سنة 1890م ببلدة أولاد جلال ولاية بسكرة، بدأت مسيرته التربوية حين انتدبه الشيخ ابن باديس سنة 1925 للتدريس بالمدرسة الحرة بالعلمة ولاية سطيف، وعندما تأسست مدرسة التربية والتعليم الإسلامية الحرة بقسنطينة سنة 1930م اختاره الشيخ أن يكون من طاقمها التدريسي وامتد عمله فيها حتى سنة 1943م، توفي سنة 1967م.

[2]. مالك بن نبي، **المصدر السابق**، ص ص74- 77.

المعلم الأول في تنشئته التربوية والاجتماعية، حيث استلهم منها قيم أخلاقية رفيعة كالإحسان والعمل الصالح، وكان يتمثل هذا التأثر بهذه القيم، يتم عن طريق القدوة والنصيحة، معا حيث قال مالك بن نبي كانت جدتي هي المدرسة الأولى التي تكونت فيها مداركي، ولم ينسى مالك بن نبي فضل والدته عليه وما قدمته له خلال تعليمه وفي الجانب المعنوي أشاعت والدته في الأسرة جوا من الدفء أو المعاني السامية والإنسانية، وكان لوفاتها أثرا بالغا في وجدان بن نبي ولا نستغرب أن يحس بفتور حماسته للعودةّ إلى تبسة بعد وفاة تلك السيدة النبيلة[1].

_المحيط الاجتماعي والإصلاحي: أول ما لفت انتباهه من خلال معاينته الأولية للمجتمع،هو الانحسار الملحوظ في القيم الأخلاقية، والاجتماعية التي كان يتسم بها المجتمع القسنطيني حيث أنه كان يتصعلك من فوق ويسوده الفقر من تحت.

عايش مالك بن نبي إرهاصات الحركة الإصلاحية الجزائرية منذ بدايتها مع روادها السابقين: الصالح بن مهنا، وتلميذه المجاوي التي فشلت في بدايتها، وعرف الحركات الإصلاحية في محاولاتها الثانية فتأثر بالشيخ مولود بن موهوب الذي وصفه في قوله: لقد جذب أفكارنا وعقولنا إلى خط تلك الحركة التقليدية القديمة، وتأثر بالشيخ بن العابد كما اشرنا سابقا حيث كان يحلل دروسه في بعض نظراته في انحراف المجتمع وتجاوزات الإدارة الفرنسية، فغرس فيه حاسة النقد الاجتماعي، وتعرف على عباس بن حمانة في مدينة تبسه، الذي أسس أول مدرسة لإحياء اللغة العربية بعد الاحتلال[2]، كان لهذا الجو الإصلاحي والاجتماعي أثرا في تحديد توجهه الفكري نحو الإصلاح والتغيير حيث نلمسه في قوله: لست كاتبا بالمعنى المهني الذي صاحبه يبحث عن الموضوع ليخرجه للناس، ولكني بواقع يحيط من حولي، فيدفعني إلى دراسته وإخراجه للناس، فلقد اكتسب تصوراته على هذا الصعيد أبعادا أكثر جدة وعمقا وتبلور بفعل عامل اجتماعي أخر، هو الاحتكاك بالمجتمع الفرنسي وحضارته كما تأثر مالك بن نبي

[1]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق** ، ص36- 37.

[2]. مالك بن نبي، **المصدر السابق**، ص 76.

بالمدرسة الفرنسية من خلال أساتذته في المدرسة الفرنسية منهم مارتن الذي تعلم منه التعبير وحس المطالعة والأستاذ بوبريتي الذي فتح أفاقه إلى دروس التاريخ والأدب الفرنسي، وقد أسهم هؤلاء الأساتذة في غرس تفكير عقلاني علمي، بعيدا عن العقلية الميثولوجية التي تتعاطف مع الخرافات،كما تأثر مالك بن نبي بالحركة الوهابية وبشيخها محمد بن عبد الوهاب،فهو في نضره قضى على مظاهر التقلت القبلي ووحد الجزيرة العربية[1].

تأثر مالك بن نبي بالحركية السياسية الواسعة بمختلف اتجاهاتها(ليبرالي واشتراكي وقومي) والحركة الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني، الذي اعتبره موقظ الشرق إضافة إلى الشيخ محمد عبده وجهوده التجديدية في ميدان التربية والتعليم، وتتبع باهتمام بالغ الحركة السياسية في المشرق وخصوصا الحركة الكمالية في تركيا، والحركة السياسية في مصر وسوريا، وأبدي تحمسه لثورة الريف التي قادها عبد الكريم الخطابي، ضد الاحتلال الاسباني والفرنسي، كل هذه الأحداث التي تطرقنا إليها ساهمت في بلورة فكره ووعيه بقضية التغيير، وتنشئة حسه النقدي، فتتبع بملاحظات دقيقة منهاج التيارات في العمل التغييري، أما في محيطه التعليمي فنلاحظ بأن بن نبي و خلال الفترة التي قضاها في قسنطينة، فهي من أبرز الفترات في حياته الفكرية، فبالإضافة إلى المؤثرات السابقة فإن التراث العربي الإسلامي عامة، ومنبعه القرآن الكريم . خاصة كان هو الباعث الروحي الذي يمثل الأساس الأول في تكوينه، قد وضع في القرآن أول مؤلف له وهو الظاهرة القرآنية، ضف إلى ذلك إطلاعه على مختلف العلوم الشرعية كحفظ القرآن الكريم، حضوره حلقات الفقه والعقيدة والسيرة واللغة العربية، فاكتسب من خلالها ثقافة إسلامية أصيلة، دون أن ننسى صديقه حمودة بن الساعي وما تركه في نفس مالك بن نبي من إعجاب، فحمودة بن الساعي كان يتمتع بثقافة إسلامية أصيلة متقدمة وإتقانه لاستخدام الآيات القرآنية استخداما جيدا وحواراته الشيقة جعلت مالك بن نبي يزداد إعجابا بشخصيته.

[1]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص 37.

ب/ **الثقافة الغربية:** كانت بداية إطلاع مالك بن نبي على الثقافة الغربية من خلال الكتب التي طالعها خلال فترة دراسته بقسنطينة، فكان أول كتاب يقرأه هو كتاب روح الإسلام لإيزابيل إيبرهارت[1] الذي يحمل عنوان في ظلال الإسلام الدافئة،حيث يقول عنه(فيه عرفت شاعرية الإسلام وحنين الصحراء)، وقرأ أيضا كتاب بين(الحوت والدب) لأوجين يونغ، وكتاب أنتينا وكونديلا، وكتاب كيف نفكر للفيلسوف الأمريكي جون ديوي[2] مترجما إلى الفرنسية وكتاب الفيلسوف نيتشه هكذا تكلم زرادشت، وقرأ لكانط واهتم بفكره كثيرا، أيضا كتاب تاريخ الإنسانية الاجتماعي لكور تلمون وما كتبه كندياك، وفي الحضارة الغربية اطلع على أفكار المهاتما غاندي وشاعر الهند ربندونات طاغور.

أما عن الصحف فلقد اطلع على الصحيفة الشيوعية الإنسانية التي غذت فيه طبيعة المستعمر، ومجلة كونفراسيا وصحيفة الجمهوري، وصحيفة النضال الاجتماعي. والراية التي كانت تضع فكره في المواضيع السياسية، وتعرف في باريس على مسلم فرنسي يدعى المسيو سيبريل آنا كليتو الذي أفاده في تصوراته النظرية والاجتماعية، وربطها بواقع المسلمين ومشكلاته الحضارية، دون أن ننسى عامل الاستعمار الذي حفزه وجعله يؤمن بضرورة التخلص منه ومن براثنه[1].

---

[1]. **إيزابيل ايبرهارت:**(187/ 1904) ولدت في جنيف من أم روسية، درست وأتقنت عدة لغات من بينها العربية، اعتنقت الإسلام وتزوجت من جزائري، عاشت إيزابيل في الصحراء، لها عدة مقالات بالفرنسية منشورة في الصحف الجزائرية، أما كتاب في ظلال الإسلام الدافئة فقد نشر في باريس عام 1905، **لويزة لعميري، المرجع السابق، ص 14**

[2]. **جون ديوي:** مفكر أمريكي ولد سنة 1859 وتوفي في 1952 بكندا، وهو فيلسوف ومفكر ورجل تربية، التحق بجامعة فيرمونت وبعد ذلك انصرف للتخصص في الفلسفة والتربية، تحصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة جون هوكينز سنة 1884، من أشهر كتبه تاب كيف نفكر، للمزيد ينظر: عماد يحي خالد العسكري، **الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية**،دط، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي، العدد، أفريل 2013، ص 44.

[3]. مالك بن نبي، **المصدر السابق**، ص47- 48.

المطلب الثالث: إنتاجه الفكري:

أ/ مؤلفاته:

ألف مالك بن نبي العديد من الكتب والمخطوطات طبع جزء منها في الجزائر، مصر، سوريا، لبنان، كتب معظمها باللغة الفرنسية وقليلا منها بالعربية حيث ركزت كلها على إبراز مشكلة العالم الإسلامي باعتباره قضية حضارة أولا وقبل كل شيء فوضع كتبه جميعها في سلسلة تحت عنوان مشكلات الحضارة ويمكن ذكر أثاره تبعا لتاريخ نشرها لأول مرة حيث سنقوم بعرضها كالتالي:

يمكن تقسيم هذه المؤلفات إلى 03 أنواع كتب أصلية (الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، لبيك حج الفقراء "رواية"، وجهة العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، فكرة الإفريقية الآسيوية، المسلم في عالم الاقتصاد، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ميلاد مجتمع، مذكرات شاهد على القرن، فكرة كمنويلث إسلامي) كتب هذه التصانيف باللغة الفرنسية وترجمها إلى العربية الدكتور عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، ومروان قنواتي والطيب شريف[1].

قام مالك بن نبي في حياته بجمع مقالاته ونشرها ككتب وكثير منها صدرت بعد وفاته: في مهب المعركة، بين الرشاد والتيه، تأملات، من أجل التغيير، كتب بن نبي معظم هذه المقالات في الصحف الجزائرية مثل جريدة الجمهورية الجزائرية في الأربعينيات وجريدة الشاب المسلم في الخمسينيات ومجلة الثورة الإفريقية في الستينات وقد قام مالك بن نبي بوصاية تلميذه عمر كامل مسقاوي حيث أوصى مالك بن نبي[2]، وحمله فيها مسؤولية كتبه المعنوية والمادية بجمع ترجمة محاضراته في كتاب سماه آفاق جزائرية، القضايا الكبرى، دور المسلم

[1]. مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة**، ط2، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2013، ص 25.

[2]. **المرجع نفسه**، ص 25.

ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ولا بد أن نشير هنا إلى أن المحاضرات التي ألقاها مالك بن نبي في ندواته الأسبوعية وملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر والمؤتمرات الدولية لم تنشر بعد، وترجمت بعض المؤلفات كالظاهرة القرآنية وشروط النهضة ووجهة العالم الإسلامي، إلى عدة لغات عالمية، رغم الرقابة الشديدة التي مارستها دار الفكر والمحامي عمر كامل مسقاوي على كتب مالك بن نبي فقد تجرأ كاتب إسلامي بالسطو على إحدى محاضراته ونشرها في مجلة إسلاميه معروفة باسمه الشخصي، دون أي إشارة إلى كونها أنها محاضرة لمالك بن نبي ألقاها بن نبي خلال زيارته للشام في بداية السبعينات[1]، وفي الأخير نشير إلى أن دار الفكر قد أصدرت مجموعة من الكتب مكونة من خمس أجزاء لمالك بن نبي ووضعت لها اسم الأعمال الكاملة.

ب/ أشهر المؤلفات والرسائل الجامعية التي تناولت فكره هي:

_نضرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي للدكتور عمر كامل مسقاوي، صدر عام 1979 عن دار الفكر.

_مالك بن نبي الاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية للدكتور محمد العربي معريش، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، عام 1982.

_مالك بن نبي مفكر إصلاحيا الدكتور أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت ، رسالة دكتوراه، 1986.

_مالك بن نبي، وآراؤه الإسلامية الحديثة، عدنان خليل باشا، دكتوراه جامعة أكسفورد.

_زكي أحمد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة دار الصفوة، ط1، بيروت، 1992[2].

---

[1].مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص26.

[2]. مولاي الخليفة لمشيشي، **مالك بن نبي، دراسة ، مقارنة لمعالم المنهج في تأصيل العلوم الإنسانية، لمشروع مشكلات الحضارة**، ط1، دار محاكاة، دار النايا، دمشق سوريا، 2012، ص 25.

المطلب الرابع: وفاته وأقوال العلماء فيه.

1/ وفاتـــــــــه: عانى مالك بن نبي في أواخر حياته إرهاقا كبيرا وآلاما في عينيه ورأسه بعد سقوطه على الأدراج عند خروجه من البيت الواقع في شارع روزفلت بالجزائر العاصمة ورغم علاجه في الخارج بقي متأثرا بهذه الحادثة إلى أن توفي يوم 31 أكتوبر 1973 في الجزائر[1]، وقد ذكرت مجلة الزمان الجديد على لسان رابح مشحود وهو أحد أعضاء الشعب الجزائري، أن مالك بن نبي قد تعرض لمحاولات اغتيال في ظل حكم الرئيس هواري بومدين، وتعرض لحادثة ضرب من طرف مجهول[2]، ويقول بأن مالك بن نبي كان محاصر حيث أنه كانت الشرطة تحصي عليه أنفاسه، وتتعقب زواره، ويذكر عبد الوهاب عن بعض من كان يحضر مجلس مالك بن نبي في الجزائر أن الرجل كان يعيش ما يشبه الحصار(القدس 31/3/ 1998)

إن الإقبال المتزايد على مؤلفات مالك بن نبي والكتب المنجزة حوله ما هي إلا دليلا قاطعا على عودة هذا المفكر بعد سنوات من التهميش والإهمال لأسباب سياسية وشخصية ومعنى هذا أنه قد تحققت نبؤته فقد أوصى زوجته أن لا تقلق ولا تحزن عليه لأن الزمن سينصفه في المستقبل مرددا بكل ثقة (سأعود بعد ثلاثين عاما وسيفهمني الناس)[3]، فلقد أثرت كتب مالك بن نبي على النخبة في العالم الإسلامي ومن بين هذه النخب نجد: الطيب الشريف وراشد الغنوشي في تونس، عبد السلام الهراس في المغرب محمد رفعت الفنيش في ليبيا، جودت سعيد وفوزي عبيد حسنة في سوريا، عمر كامل مسقاوي في لبنان، محمود محمد سفر ونورة خالد السعد في السعودية، عبد الحليم عويس وسيد دسوقي حسن في مصر، نور الدين بوقروح ومولود عويمر ، عمار طالبي، عبد اللطيف عبادة، رشيد بن عيسى في الجزائر[4].

---

[1]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 29، 30.

[2]. **مجلة الزمان الجديد، 30/ 6/ 2002**.

[3]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص27.

[4].**المرجع نفسه**، ص 26.

2/ أقوال العلماء فيه:

يعد مالك بن نبي من أكثر الشخصيات المؤثرة في الوطن العربي والذي أسال حبر العديد من المؤلفين والكتاب المؤرخين فكلهم أشادوا بفكره وبشخصيته ومن بين هؤلاء الأشخاص نجد بعض طلابه وأصدقائه الذين لهم علاقة وطيدة به فنجد:

1/ **الصالح بن الساعي:** وهو أحد معاصري بن نبي ومتابعيه ومشاهديه قد طرح شهادته في مالك بن نبي: لقد كان مالك بن نبي مراقبا لكل ما حوله بكفاءة بالغة، ففكره يقظ دائما، يسجل كل ما يراه ويراقبه ويعطي كل اهتماماته لفهمه ولتحليله وليترجمه إلى وظيفته ودوره[1]، لقد حاول أن يفهم الأسباب وعرف أنه للوصول إلى هذه النتيجة ينبغي عليه أن يعود إلى الأصول التاريخية والثقافية، وتخمرت في فكره شيئا فشيئا الأجوبة التي تكونت وتفاعلت في نتائجها، وهكذا تطلب هذا التفاعل وقتا قبل أن يتكون الفكر البنابي في صيغ واضحة، فحين بدأ بن نبي في ترتيب أفكاره وصياغتها، وقد جمع مواده وأحضر دعائم الربط فيما بينها، وذلك ليقدمها مفاهيم للقارئ تحدد معالم فكره[2].

2/ **جودت سعيد:** حيث يقول عن مالك بن نبي هو ثروة فكرية لم يتفطن المسلمون لها: لأنهم لم يتعودوا على هذه الأفكار والمصطلحات لقد بذر المرحوم بذور هذا الفكر الجديد، فكر تحمل المسؤولية وأداء الواجب والارتقاء في الأسباب إلى ساحة الفكر الإسلامي.

3/ **هدايت سالم:** تحدثت عن تجربتها الشخصية مع المفكر مالك بن نبي حيث اعتبرت أن ولادتها الفكرية الحقيقة كانت في مجالس دمشق التي كان يطرحها مالك بن نبي ، فتقول لقد كان كل ما أسمعه منه كلاما مختلفا لم أفهمه بادئ ذي بدء دهشت في أول الأمر، فظننت أن

---

[1]. عمر كامل مسقاوي: **في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء الجديد**، ج1، دط، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2013،ص 299.

[2]. **المرجع نفسه**، ص299.

هذا العالم الوقور يتحدث لغة لا أفهمها ويستعمل مصطلحات لا أقدر على فك رموزها، حيث ترى السيدة هداية أنه وبعد مضي ما يزيد عن نصف قرن على صيحات هذا المجدد المدوية نجد أنها لم تلق قبولا من المثقفين فضلا عن العامة، لأنه يطالب بالعلم والمعرفة والعمل ولا يدغدغ عواطف الناس بمعسول الكلام يطالبهم بالسير في الأرض واكتشاف السنن وكيف بدأ الخلق[1].

4/ **محمد العبدة:** يرى بأن شخصية مالك بن نبي تجمع خطين متناقضين، فهو من جهة يبدو عاطفيا وخياليا أحيانا، ومن جهة يبدو مالك بن نبي ناقدا يمتلك قدرا كبيرا من القدرة على التحليل البصير ويضيف العبدة مفسرا هذا التناقض، يبدو أن عدم التوازن بين القيم الأخلاقية وتطبيقها على الحدث هو ما أظهر مالك بهذه الصورة[2].

5/ **محمد عدنان سالم:** قدم الأستاذ عدنان صاحب ومدير دار الفكر شهادته عن مالك بن نبي فتحدث بداية عن علاقته الشخصية بمالك بن نبي حيث أشار الأستاذ أن مالك بن نبي دون فكره تحت عنوان شامل اختاره هو (مشكلات الحضارة) لم يكتب ما كتب بوصفه أديبا أو شاعرا أو فيلسوفا، إنما كتب بوصفه صاحب قضية مهموما بها، أحاطت به وامتلكت مشاعره فعاشها وسخر لها حياته فاستمد حيويتها من حياته وحي هو بها فإذا هو حاضر بيننا كلما ألحت علينا مشكلات الحضارة يصرخ فينا: حي على الفلاح؟ حي على النهوض[3]، وعن علاقة مالك بن نبي بدار الفكر قال الأستاذ سالم: لم تكن علاقة دار الفكر بمالك مجرد علاقة ناشر بمؤلف، لقد اعتمدت دار الفكر منذ تأسيسها عام 1957، على منهج يتوخى العلم والإبداع والتجديد لبناء المستقبل، ورأت في فكر مالك بن نبي ما يثري منهجها ويحقق

---

[1]. نور الدين مسعودان، **مالك بن نبي(حياة وأثار_ شهادات ومواقف)_** دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دس ن .ص 48

[2]. محمد العبدة، **المرجع السابق**، ص56.

[3]. نور الدين مسعودان، **المرجع السابق**، ص 49.

تطلعاتها، فتبنته رسالة هادية تحملها إلى جيل ما يزال، ضائعا في التيه، يتلمس سبل الخروج منه[1].

6/ **الشيخ عبد الفتاح مورو:** يرى الشيخ مورو بأن مالك بن نبي هو اكتشاف بالنسبة له وظاهرة، ومكتسب للفكر الإسلامي والعربي، حيث يقول بأنه وجد نفسه أمام شخصية جذابة وفكر أعاد إلينا فكر ابن خلدون لكنه معدل على واقع القرن العشرين، لكن هذا الرجل راح ضحية تواضعه وعدم تكوينه لمجموعة من حوله[2]، فهو ضحية فكره التقدمي، فأحيانا نجد هؤلاء الذين يفكرون بعيد ويسبقون أوقاتهم يستهزئ بهم ويعيشون غرباء في أوطانهم وهو فعلا ما حدث، فمالك بن نبي كان موضوع في قوم لا يفهمونه، لأنه كان سابقا لعصره، والأمر الثاني هو أن مالك بن نبي لم يكن قادرا على تكوين نخبة و تحشيد فكره، فمالك بن نبي عزل عن واقعه لأنه لم يستطع تنظيم من حوله لينقلوا عنه، ولذلك أصبح مالك بن نبي مجرد كتاب فقط.

أما في أوروبا فلقد أسلمت عدة شخصيات فكرية أوروبية بعد قراءة كتبه ولعل أشهرهم الدكتور بينوا الذي اسلم واختار اسم علي سلمان ، بعد أن قرأ كتاب الظاهرة القرآنية وقد كتب في هذا المعنى الأمر الرئيسي الحاسم الذي أبدى لي عظمة الإسلام ودفعني إلى اعتناقه هو القرآن[3]، لقد كنت قد تصفحته قبل الإسلام بروح النقد الموجودة عند كل مثقف غربي وكان قد ساعدني على إدراك معناه كتاب مالك بن نبي القيم الظاهرة القرآنية الذي زادني يقينا بنزول قرآننا ، ويتضمن هذا الكتاب صفحات من بينها تلك التي تتناول موضوع المناسبات حيث بين مؤلفها أن نصوص بعض آيات الكتاب الموصى بها على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا تتناسب مع أحدث مبادئ العلوم العصرية وكان من جراء هذه

---

[1]. نور الدين مسعودان، **المرجع السابق**، ص47.

[2]. عبد الفتاح مورو، **تراث مالك بن نبي**، إمام وعالم إسلامي تونسي، حوار بث على قناة الجزيرة، متوفر على الرابط التالي: http://www.youtube.com

[3]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 28

الملاحظات أن أمنت نهائيا واعترف أيضا كاتب ألماني مسلم رئيس الجالية الإسلامية في هامبورج بالقيمة الفكرية لكتب مالك بن نبي وتأثيرها على العقول فيقول لقد تعرضت بعض آراء مالك بن نبي للنقد من طرف المفكرين والعلماء كالدكتور محمد سعيد البوطي في كتابه منهج الحضارة الإنسانية ، وغازي التوبة في كتابه الفكر الإسلامي المعاصر.

لقد صنف المؤرخ العراقي الدكتور عماد الدين خليل (1939) مؤلفات مالك بن نبي وبالخصوص الظاهرة القرآنية ، وشروط النهضة ووجهة العالم الإسلامي من بين الكتب التي كانت لها دور عظيم في مسيرة الحركة الإسلامية المعاصرة استشرافا وبرمجة وتقويما وإغناءا وتكوينا[1].

_الدكتور أبو القاسم سعد الله: حيث يقول إن هناك مفكرا كان يحاول أن يعطي محتوى فلسفيا للحركة الوطنية مستقلا من كل التيارات والمنظمات المعاصرة، كان ذكيا ناقدا، وكان عميق النظر واسع التجربة والثقافة، وكان على الخصوص عميق الإيمان بالإسلام، ونعني بذلك المرحوم مالك بن نبي، لقد كان كما يقال، دولة وحده، وغير منتم كما يقول أحد الكتاب المعاصرين، ولسنا الآن نحاول أن نقيم أو نعرض لفلسفة بن نبي في نهضة الجزائر والإسلام، وكل ما أردنا قوله هو أنه الوحيد تقريبا أي حاول أن يعطي بعدا فلسفيا لمسار الحركة الوطنية[2].

[1].مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 29

[2]. محمد عبد الحليم بيشي، **المرجع السابق**، ص 70،69.

المبحث الثاني: بيئة مالك بن نبي

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

شهد الوطن العربي مع مطلع القرن العشرين وخلال فترة الاستعمار أوضاع صعبة عرف فيها كل أنواع التعذيب والتشريد فمنذ لحظة دخول الاستعمار إلى الوطن العربي عرف أحداث كبيرة وكثيرة ميزتها الصراعات مع الدولة العثمانية وظهور القومية العربية في أقطار المشرق العربي وهكذا كانت بداية القرن العشرين في الوطن العربي[1]، فالدول العربية في المغرب كلها أصبحت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس ومراكش والاحتلال الايطالي في ليبيا وسعي هذه الأقطار لنيل الاستقلال، وفي صيف 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى التي كان لها الأثر البالغ على الوطن العربي وهو ما نلمسه من خلال اتفاقية سايكس بيكو، التي وقعت بين فرنسا وبريطانيا استهدفت من خلالها تجزئة الوطن العربي، أما في سنة 1920.

فنلاحظ ظهور عصبة الأمم وعقد مؤتمر فرساي، وإحكام الغرب قبضتهم على الوطن العربي، لقد عايش مالك بن نبي فترة شهدت تغيرات كبيرة على أصعدة عديدة وخاصة على الصعيد السياسي[2]، فالعالم بأكمله شهد تحولات مست النظم والهياكل الأساسية والإدارات والحكومات والتي انعكست على حياة الشعوب في الفترة الممتدة من سنة(1905/ 1973) حيث شهد العالم انقسامات تمخضت عنها الحرب العالمية الأولى(1914/ 1918) والتي توسعت مع الحرب العالمية الثانية بين (1939/ 1945) فلقد بلغت الأزمة ذروتها فلم يستطع العالم المضي في طريقه إلى أبعد من هذا الحد[3]، لأنه كان قد استنفذ قدرا كبيرا من ميزانيته في الحرب العالمية الأولى 1914 ولم يستطع أن يواصل الحرب العالمية الثانية في ظل أطر

[1]. رأفت الشيخ، **تاريخ العرب المعاصر**، دط، عين شمس للدراسات، والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996، ص10.

[2]. **المرجع نفسه**، ص 11.

[3]. **المرجع نفسه**، ص12.

تحكمها كتل بالية فهاته التحولات السياسية والجغرافية التي قسمت العالم إلى كتلتين متميزتين: كتلة الشعوب المستعمرة التي تسكن في آسيا وإفريقيا و كتلة الشعوب المتحضرة التي تسكن أوروبا وأمريكا.

أما الجزائر فقد عرفت مع بداية القرن العشرين صدور قانون 19 ديسمبر 1900 الذي أعطى الحكم الذاتي للجزائر، ومهما كان الاسم الذي يطلق على هذا القانون فانه يعني يدا حرة قد أعطيت للكولون لكي يديروا كل الشؤون المالية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالجزائر[1].

لكن قد يظن البعض أن قانون 1900 قد أعطى الجزائريين حق تقرير مصيرهم حين خلع عنهم الحكم الذاتي ولكن الحالة لسوء الحظ لم تكن كذلك والحقيقة أن الجزائر كانت تعيش أسوأ حالاتها مما كانت عليه سابقا، لأن القانون قد أعطى للكولون السلطة الكاملة على الأهالي بالإضافة إلى التحكم في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، ضف إلى ذلك كانت هناك المجالس العامة وكان الحاكم العام هو الذي يعين ستة جزائريين في كل مجلس إلى سنة 1908 ومنذ هذا التاريخ أصبح الجزائريون ينتخبون انتخابا بدل التعيين وامتد هذا القانون إلى غاية 1914[2].

وبين عامي 1906و1912 جرت مناقشة طويلة عن صلاحية فرض قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين وخلال سنة 1912 أصبح قانون التجنيد الإجباري ساريا على الجزائريين. أما عن الحركة الوطنية الجزائرية فإن الفكرة الشائعة هي أنها كانت حديثة العهد، فمعظم الكتاب الذين كتبوا عن هذا الموضوع يعودون بها عادة إلى الثلاثينات فقط من هذا القرن ذلك أنه خلال هذا الوقت ظهرت الأحزاب السياسية بأهداف واضحة ومحددة، بما فيها هدف الاستقلال وهناك من يرجعها إلى الفترة التالية للحرب العالمية الأولى وخصوصا ابتداء

[1]. أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية(1900، 1930)**، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992، ص 83.

[2]. **المرجع نفسه**، ص84.

من سنة 1926، حيث أنشئت منظمة نجم شمال إفريقيا[1]، ومنذ سنة 1922 حين قاد الأمير خالد معركة طويلة ضد فرنسا حيث فكر الشعب الجزائري في تغيير أساليب كفاحه وعزم على إيقاف أشكال العنف وتجريب الأساليب السلمية الممكنة في إطار ثلاث تيارات رئيسية بارزة[2]:

التيار الأول: بدأ يطالب بتحقيق المساواة بين الأغلبية المسلمة والأقلية الأوروبية المستعمرة، وهي تجربة الأمير خالد ورفاقه في نهاية الحرب العالمية الأولى إلى منتصف عقد العشرينات، ثم تطور هذا التيار إلى المطالبة بالتجنيس والإدماج للجزائر وشعبها في فرنسا المسيحية الأوروبية وهي تجربة الدكتور ابن جلول والصيدلي فرحات عباس[3]، التي انتهت إلى الفشل الذريع بسبب رفض مع كلا الطرفين مع اختلاف في السبب والدافع لذلك ، فالأوربيين رفضوا التجنيس والإدماج حتى لا يذوبوا في الجماهير المسلمة الجزائرية، ذات الأغلبية فيفقدوا السيطرة والنفوذ للذين يتمتعون بها في ذلك الوقت والجزائريون فسروا التجنيس والإدماج على أنهما تخلي عن دينهم وقوميتهم العربية الإسلامية الجزائرية وهي أغلى ما يملكون.

بعد الحرب العالمية الثانية تطور هذا التيار في إطار الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي أخذ يطالب بإقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا في اتحاد فيدرالي ولو بدون علم فهذا الحزب لا يؤمن بأسلوب العنف ويعتقد بجدوى ثورة القانون[4].

التيار الثاني: استقلالي محض برز بعد الحرب العالمية الأولى في شكل هيئة نجم شمال إفريقيا بين أوساط العمال الكادحين المهاجرين في ديار الغربة، وفي كنف اليسار الأوروبي المزيف، وكان ينادي صراحة باستقلال الجزائر، وكل بلدان الشمال الإفريقي، ولذلك

---

1. **أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،** ص84.
2. **المرجع نفسه،** ص94.
3. يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية(1830، 1954)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 73.
4. **المرجع نفسه،** ص74.

قلب له اليسار الأوروبي ظهر المحن في أوروبا فانتقل إلى الجزائر، في مطلع عقد الثلاثينات برز باسم حزب الشعب الجزائري وتجدد بعد الحرب العالمية الثانية باسم حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية وكان من ضمن تشكيلاته السرية، هيئة عسكرية كلفت بالإعداد للثورة المسلحة اندلعت في نوفمبر 1954.[1]

التيار الثالث: إصلاحي اجتماعي بدأ في شكل نادي الترقي أواخر عقد العشرينيات وتطور إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في مطلع عقد الثلاثينات وركز جهوده على الدفاع عن شخصية الجزائر وعروبتها وإسلامه في إطار الشعار الخالد(الإسلام ديننا العربية لغتنا والجزائر وطننا) ومع سير هذه التيارات الثلاثة وتواكبها لمدة نصف قرن مارس الشعب الجزائري بعض أساليب العنف كذلك، ولو بصورة محدودة وقصيرة ضد الاستعمار والإدارة الاستعمارية، إلى أن اندلعت الثورة الجزائرية الكبرى ليلة الفاتح من نوفمبر عام 1954 [2].

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية

لم يكن الوضع الاقتصادي بالنسبة للجزائريين هو الآخر بمنأى عن الأزمات والأوضاع المتردية، وذلك نتيجة لسياسة الاستعمار القائمة على استغلال الإمكانيات الاقتصادية للجزائر ففي المجال ألفلاحي قام المستعمر بتجريد الأهالي من أراضيهم بدعوى أن ملكيتها غير معروفة أو فرض غرامات مالية مرتفعة على أصحابها وفي حالة العجز عن الدفع تصادر حيث أنه إلى غاية عام 1920 استولت الإدارة الاستعمارية على أكثر من 897 ألف هكتار من الأراضي[3].

---

[1]. أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص96.

[2]. يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص74.

[3]. شبوب محمد، **الجزائر في الحرب العالمية الثانية(1939، 1954) دراسة سياسية، اقتصادية واجتماعية**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية،والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1، الجزائر، 2015، ص 68.

إن الوضعية الاقتصادية في الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى قد كانت متدهورة فالإنتاج الفلاحي ضعيف بسبب الجفاف والمخزون نفذ وكان المحصول يوجه إلى تونس وعلى الخصوص لوزارة الحرب مما أدى إلى زيادة سعر القمح آنذاك[1]، حيث وصل سعر القنطار إلى 50 و60 فرنك، ففي رسالة بعثها الحاكم العام إلى الحاكم الفرنسي وصف فيها الحالة المزرية للسكان قائلا: إن الأهالي جياع وبادرت فرنسا إلى إلغاء الحقوق الجمركية فاكتسحتها اللحوم المجمدة المستوردة من أمريكا الجنوبية، كما جلبت 78000 عامل جزائري للعمل في الجيش الفرنسي[2]، لتعويض العمال الفرنسيين الذين التحقوا بالجيش وحسب الإحصائيات الرسمية الفرنسية فقد خسرت الجزائر في هذه الحرب ما لا يقل عن 711، 25 قتيل من المسلمين و035، 72 جريح أي 5، 14 بالمائة من القوات الجزائرية التي جندت للدفاع عن فرنسا، وهذه النسبة قريبة جدا من نسبة الفرنسيين الذين ماتوا في الحرب العالمية التي هي 5، 16 بالمائة[3].

كما كانت الأسواق العامة مغلقة خاصة بالمناطق التي حدثت فيها ثورات وتوقف حصاد الحبوب وقطع الحلفاء إلى جانب هذا التدهور الذي عانى منه المجتمع الجزائري جراء القمع الفرنسي[4]، نجد أن فرنسا أثقلت كاهل الشعب الجزائري بدفع الضرائب وبالتالي هناك الكثير من الأبناء الجزائريين الذين وجدوا في التجنيد خلاصا من حالتهم الاقتصادية التعسفية التي أدت إلى البؤس والشقاء فقد أكدت المصادر التاريخية أن أغلب الجزائريين كانوا يموتون جوعا نضرا للحالة الاقتصادية التي يعيشونها خلال الحرب فكم من مزارع حرقت، وكم من عمال وزراعيين قتلوا، وكم من أراضي أحرقت بزرعها، إلى جانب كل ذلك جعل من الحالة الاقتصادية في فترة الحرب العالمية الأولى متردية جدا.

---

[1]. **شبوب محمد، المرجع السابق**، ،ص68.

[2]. عمار بوحوش، **الجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص213.

[3]. **المرجع نفسه**، ص215.

[4]. يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص75.

إن الحياة الاقتصادية التي كان يعيشها الجزائري خلال الحرب العالمية الأولى لم تكن صالحة بقدر ما أضرت به، وما غلاء المعيشة واختلال الحياة إلا دليل كافي على زيادة سوء الأحوال آنذاك[1].

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية

لقد مرت الجزائر خلال فترة الاستعمار بمرحلتين عانت في الأول الاستعمار والثانية الاستقلال، حيث أنه في المرحلة الأولى سعت الحكومة الاستعمارية إلى نشر النصرانية في الجزائر ويسرت السبل لذلك كي تحقق أهدافها من ناحيتين:

1/ القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين الجزائريين وتهيئة السبيل أمام إدماج الشعب الجزائري وإلحاقه بفرنسا.

2/ إشاعة الانقسام في صفوف المسلمين الجزائريين لاستخدام بعضهم ضد بعض.

الفرنسة: ويقصد بها إذابة الشخصية الجزائرية وإدماجها في فرنسا من حيث الدولة وسكانها وقد استخدمت لتنفيذ تلك السياسة وسائل منها:

1/ تشويه التراث العربي والإسلامي ومحاولة القضاء عليه.

2/ محاولة تفتيت الوحدة الوطنية للجزائر ومحاولة استخدام البربر ضد العرب.

3/ استخدام المدارس لتثبيت تلك السياسة وتنفيذها.

4/ فرض اللغة الفرنسية والقضاء على اللغة العربية[2].

[1]. أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص291.

[2]. عبد الله بن حمد العويسي، **المرجع السابق**، ص24.

تفكك الروابط الاجتماعية : حرص الاستعمار الفرنسي القضاء على القبيلة(العرش)، وقد قامت على أنقاضها القرى و المداشر والبلديات و الدواوير بسبب خلق الملكية الفردية وانفصال الفرد عن الجماعة وتحول المجتمع من نمط الحياة الجماعية القائمة على الوحدة العشائرية ذات التماسك الواحد والقرابة الواحدة إلى جماعة واحدة فردية متباعدة ومنقسمة عن بعضها البعض وهو ما سهل للاحتلال التغلغل في المجتمع الجزائري[1].

التجهيل: في محاولة إطفاء نور العلم في البلاد أخمد الاحتلال الفرنسي جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد والكتاتيب والزوايا التي دمرها فلم تبق منها سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب دفعتها العقيدة الدينية فحافظت على لغة القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف في تعليم القليل و لو بأساليب بدائية[2].

الإفقار: عمل الاحتلال منذ دخوله على سلب ما في يد الجزائريين من أموال وعقارات وفرض عقوبات في ضروب نشاطهم الزراعي والصناعي والتجاري وأثقل كاهلهم بفرض الضرائب، فمن ناحية الزراعة قام الاستعمار بواسطة السرقة والقتل بالاستيلاء على معظم الأراضي الفلاحية الغنية في القطر الجزائري[3].

أما في الصناعة: فلم تكن هناك صناعة تذكر عدا بعض الصناعات الصغيرة كالزيت والصابون والتبغ، وقد نجم عن هاته الأوضاع المزرية انتشار العديد من الظواهر منها.

الأمراض والأوبئة: فقد كان المرض منتشرا تبعا للحالة المادية ولواقع السكن وكذلك عرفت انتشار للأوبئة فقد تفشت هاته الظاهرتين في المجتمع الجزائري وذلك بسبب سوء الأحوال والمعيشة التي كان يعاني منها وكذلك السكن الهش والغير ملائم فمعظم الجزائريين

---

[1]. أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ، ص109.

[2]. **المرجع نفسه**، ص108.

[3]. **المرجع نفسه**، ص109.

كانوا مستقرين في مناطق ضيقة ونائية، وكذلك كانوا يسكنون في الأكواخ وكانت حياتهم في حالة اجتماعية يرثى لها[1].

_السكن: لقد اضطر الجزائري إلى السكن في البادية تحت الخيام أو في مدن القصدير التي لا يتجاوز المنزل فيها6 أمتار مربعة يسكنها خمسة أفراد

_انخفاض أجور العاملين المسلمين والعيش في ظل الحرمان والجوع[2].

_البطالة: حيث أبعد الكثير من الجزائريين عن وظائفهم مع التضييق لخمسة أفراد.

_الهجرة: حيث بدأ أعداد من الجزائريين في الهجرة طلبا للرزق ولاسيما إلى فرنسا.

ومع مطلع القرن العشرين تواصلت عملية الاستيطان الحر والرسمي، وحصل المهاجرون الأوروبيون على مساحة 427 ألف هكتار مابين عامي 1909و 1917 منها 200 ألف هكتار تسلموها بين عام 1901و 1914 بينها 73 ألف هكتار مجانا[3].

وقد أصبح العنصر الأوروبي عام 1917 يملك 288، 123، 2 هكتار من الأراضي الزراعية و159، 194 هكتار من أراضي الغابات، هذا وقد ظهرت في مطلع القرن العشرين ظاهرة قيام الملكيات الزراعية الكبيرة كبديل للملكيات الصغيرة واحتوتها، واستبعدت ملاكها من الأهالي وحولتهم إلى عمال بالأجرة اليومية وخماسين موسميين[4].

كما توسع الاستيطان الأوروبي في الأرياف، وتوسع في الحواضر كذلك وكان أكثر ازدهارا ونشاطا وتطورا وتوسعا، اجتذب عناصر أوروبية مختلفة اهتمت بممارسة الأنشطة

---

[1]. **أحمد توفيق المدني، المرجع السابق**، ص110.

[2]. **المرجع نفسه**، ص111.

[3]. عمار بوحوش، **المرجع السابق**، ص216.

[4]. **المرجع نفسه**، ص216.

التجارية، والصناعية والخدمات الاجتماعية والوظيف الرسمي[1]، ولقد انعكست هذه السياسة الاستيطانية على الجزائر فكانت لها آثار سيئة وعواقب وخيمة في ميادين مختلفة على الجزائريين:

فقد تم تحطيم ما دعي بالبرجوازية الجزائرية في المدن الكبرى وكانت تتألق من التجار والحرفيين والقضاة والمثقفين فشردوا كذلك وزاحموا في أعماقهم وأنشطتهم المختلفة من طرف الجالية الأوروبية التي كانت تتصف بالشراهة في ميدان الاقتصاد والغلظة والقسوة في ميدان السياسة والإدارة ضف إلى ذلك إرهاق الشعب الجزائري بالضرائب[2].

وفي سنة 1920 تعرض الشعب الجزائري لنكبات ومصاعب قاسية فتفشت بينهم الأمراض والأوبئة المعدية كالكوليرا والتيفوس وهجمت عليهم أمواج الجراد وداهمهم القحط والجفاف ففقدوا كل شيء وتحول أغلبهم إلى خماسين ومزارعين وعمالا موسميين بأجور زهيدة جدا لا تفي حتى بأبسط الضرورات اليومية لأطفالهم وعائلاتهم،وهكذا خلقت كل الظروف السيئة السابقة حالة يرثى لها في أحوال السكان الصحية، فكثرت الأمراض والأوبئة وانتشرت الوفيات بشكل خطير جدا وارتفعت نسبة الوفيات بين عامي 1945و1946 إلى أكثر من 30 في الألف، وعمت هذه الوفيات نتيجة البؤس والفقر وانخفاض في المستوى المعيشي وضيق الأكواخ وتكديس السكان فيها بكثرة حتى تحولت إلى حقول الأمراض المعدية وهكذا شرد المستعمرون الجزائريين من الأرض واستأثروا بها دونهم، ووزعوها فيما بينهم توزيعا غير عادل[3]، إذ من المستعمرين من يملك قطعة أرض تكفيه لحياته وحياة عائلته، ومنهم عدد محظوظ، نال ممالك شاسعة درت عليه ثروات لا يكاد يستطيع ضبطها[4]، فانتشرت نتيجة هذا

---

[1]. يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص35.

[2]. **المرجع نفسه**، ص36.

[3]. عمار بوحوش، **المرجع السابق**، ص215.

[4]. أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص117.

التشريد مجاعات فادحة وظلت هذه الحالة إلى غاية قيام الثورة الجزائرية الكبرى يوم الفاتح من نوفمبر 1954 هب الشعب الجزائري لاستعادة حقه المسلوب وأرضه التي أستأثر بها الاستعمار دونها ولم يترك لها إلا القاحل والبور منها، وفي المقابل عمد الاستعمار على تطبيق اقتصاد عصري ثنائي الاقتصاد، أي بدائي وعصري معا، أما فيما يخص تربية الحيوانات لاسيما الغنم على وجه الخصوص كان هو الإنتاج الحيواني الأساسي في الجزائر، حيث قدرت السلطات الفرنسية ثروة الجزائر من الغنم عند الاحتلال ما يقارب 8 ملايين رأس مضاف إليها ثروة هامة من الخيل والبقر والجمل والماعز بينما لا يتجاوز عدد السكان ثلاثة ملايين نسمة هذه الثروة الحيوانية وفرت غذاءا رخيصا في متناول الجميع[1].

المطلب الرابع: الأوضاع الثقافية.

شهدت الجزائر خلال القرن العشرين ظهور نخبة من المثقفين الجزائريين والمصلحين الدينيين الذين أرادوا إصلاح ما أفسده الاستعمار الفرنسي ويعود الفضل في ظهور حركة الإصلاح الديني وازدهارها في الجزائر[2]، إلى مجموعة من العوامل لخصها الشيخ البشير الإبراهيمي في النقاط التالية:

1/ دعوة الشيخ محمد عبده إلى الإصلاح والتي كانت قد وجدت لها أعداء داخل المجتمع الجزائري، إلا أنها أثارت في نفوس الناس التطلع إلى ماهو أفضل، فالحركات التحررية في المشرق وحركة الإصلاح الفكري والديني التي دعا لها المصلحين ساهمت بشكل أو بآخر في بث الوعي لدى طليعة الشباب الجزائريين.

---

[1]. أكرم بوجمعة، **أوظاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 28، أوت 2016، ص166.

[2]. مازن حامد المطبقاني، **جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية(1939، 1931)**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1985، ص 60.

2/ الثورة التعليمية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس بدروسه في الحياة والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه[1].

هذا ويعود سبب هذا الإصلاح إلى ماخلفه الاستعمار الفرنسي وما اقترفه من جرائم وكذلك سياسته الموجهة ضد الشعب الجزائري والمتمثلة في سياسة التجهيل التي أدت إلى تدهور الثقافة واللغة العربية، ففرنسا منذ دخولها إلى الجزائر سعت إلى تجهيل الشعب الجزائي وإلغاء ثقافته عن طريق تجويعه مما جعل الشعب الجزائري يبحث فقط عن مايسد رمقه[2].

لقد اتبع الاستعمار الفرنسي عدة سياسات هدف من خلالها إلى تدمير الهوية الوطنية ولذلك اتجه طريقا عنصريا في ميدان الثقافة الأساسية في محاربة لغة البلاد وثقافتها القومية العربية ونشر اللغة الفرنسية بدلا منها وفي نطاق محدود كذلك بالنسبة لأبناء البلاد وأول شيء أقدم عليه استيلاؤه على معاهد الثقافة[3]، والمساجد والمدارس، والزوايا ثم حول معظمها إلى كنائس وثكنات، وقامت بمسح اللغة والثقافة الوطنية وذلك من خلال تعبئة الحقد ضد الثقافة العربية وأصحابها، فمنذ بداية القرن العشرين أصدرت الإدارة الاستعمارية عدة قوانين وتشريعات ضد اللغة العربية والتي من بينها:

1/ قانون 8 مارس 1938 الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ويمنع تعليمها تبعا لذلك في المدارس.

2/ قانون22 جويلية 1945 الذي ينص على كل معلمي اللغة العربية، معرفة اللغة الفرنسية كشرط أساسي لتوظيفه في المدارس[4].

---

1. **مازن حامد المطبقاني، المرجع السابق** ص60.
2. يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص58.
3. مازن حامد المطبقاني، **المرجع السابق**، ص66.
4. يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص66.

3/ دستور سبتمبر 1947 نص على الاعتراف باللغة العربية وتدريسها إلى جانب الفرنسية إلا أن الإدارة الاستعمارية لم تطبق ذلك.

إن الاستعمار الفرنسي عمل على غلق أبواب مدارس التعليم حتى يتسنى له منع أبناء الجزائر من التعلم حتى ولو كانت بلغتها فضيقت عليهم المجال حتى تعلم الفرنسية لأن هدفه هو التجهيل وحرمان العقل من التنور حتى ولو كان بلغة غير وطنية[1]، إن جريمة الاستعمار الفرنسي في حقل الثقافة قد استمرت مع الشعب الجزائري حتى بعد الاستقلال فنلاحظ بأنه كان هنا كانخفاض كبير في المستوى الثقافي وفي ازدواجية اللغة والثقافة عند تلك الفئة المتعلمة[2].

أما من الجانب الديني، فقد تأثر سلبا نتيجة الاحتلال ولهذا نجد منذ البداية أن السلطات الفرنسية قد عمدت على التدخل المباشر في الشؤون الدينية الإسلامية ولم تكتفي بمصادرة الأوقاف والإجهاز على جماعة أو مؤسسة لها أدنى دور ديني[3]، أو ثقافي، بل بسطت نفوذها على جميع الشؤون الإسلامية كتعيين القضاة والأئمة وإعلان المواسم الدينية وغيرها مما أثر سلبا على تقوى المسلمين حيث كانوا يشعرون بفراغ مساجدهم من الشعب الكافي للمواعظ الدينية، لأن الأئمة تم تعيينهم من قبل الإدارة الفرنسية لأداء الفرائض الدينية فقط، واقتصرت مهامهم على أداء الفرائض الدينية فقط، وتعاليم الطقوس الدينية التي لاروح فيها[4]، ولا غاية من ورائها مما أدى إلى تفشي البدع والخرافات في أوساط المسلمين، هذا كله أدى إلى تدهور الحياة الدينية بالجزائر مع مطلع القرن العشرين فساد الجهل والخرافة والشعوذة، داخل المجتمع

---

[1]. **يحي بوعزيز، المرجع السابق**، ص67.

[2]. **المرجع نفسه**، ص66.

[3]. رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الوطنية (1939، 1956)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 88، 96.

[4]. **المرجع نفسه** ، ص96.

الجزائري بدعم من الإدارة الفرنسية هدم المسجد الكبير بالجزائر العاصمة 109، لولا تدخل الجزائريين وتقديم احتجاج لشارل جونار، لمنع هذا الهدم[1].

الخلاصـــــــــــة:

بعد دراستنا لهذا الفصل نستنتج في الأخير بأن مالك بن نبي قد عاش فترة صعبة ميزتها الحروب التي طبعت تلك الفترة الاستعمارية والتي عاشها الوطن العربي بصفة عامة، فنلاحظ بأن مالك بن نبي قد عايش فترة حرجة انعكست على حياته وفكره، فما نستخلصه بأن أفكار مالك بن نبي كانت وليدة الحياة الاجتماعية التي عاشها والمعاناة التي أثرت فيه وفي نمط تفكيره، مما ساهمت في إخراج مفكر حمل على عاتقه هموم أمته وسبل النهوض بها، فنستنتج بأن هاته الشخصية قد صنعتها البيئة الاستعمارية، فعلى الرغم من قلة كتبه إلا أننا نجدها تشمل مختلف الجوانب الحياتية للفرد العربي والمسلم، التي من شأنها أن تخرجه من ظلمات الجهل إلى طريق التقدم والتطور، أما من الناحية الثانية، فنلاحظ بأن مالك بن نبي قد عاش في فترة تميزت بصدور عدة سياسات تعسفية من طرف الاستعمار حاول من خلالها طمس الهوية الجزائرية العربية، ودمج الشخصيات المثقفة في المجتمع الفرنسي من أجل منع أي محاولة تحرر أو تنوير من شأنها أن تخلص المجتمع من الاستعمار.

[1]. شاوش حباسي، **من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر(1830، 1962)** دار هومة، الجزائر، 1998، ص 35.

الفصل الأول:

موقفه من القضايا السياسية العربية

تمهيـــــد

سنحاول في هذا الفصل الحديث عن أهم الأحداث السياسية التي عرفها الوطن العربي وعرض موقف مالك بن نبي من كل حدث حيث شهد الوطن العربي خلال فترة القرن العشرين العديد من الأحداث والقضايا التي كان لها وقع في نفوس المجتمع العربي، فكما نعلم بأن الوطن العربي كان يمر بمرحلة صعبة، ميزتها الصراعات السياسية، ومحاولات بعض الوطنيين التخلص من وطأة الاستعمار والتحرر منه ومن براثنه، فكانت هاته الحركات التحررية هي الطابع الغالب على الوطن العربي في مشرقه ومغربه، فلقد شهد المغرب العربي على مستوى الساحة السياسية بعض الأحداث كانت محط اهتمام الباحثين والمؤرخين، ومن بين هذه الأحداث مقتل الزعيم التونسي الهادي شاكر ونفي ملك المغرب محمد الخامس اللذان كان لحدثيهما انعكاسا جذريا على نفوس المغاربة بشكل عام، فلقد استطاعا هذان الحدثان أن يسلطا الضوء على ما يحدث من جرائم ضد الشعبين المستعمرين.

أما الجزائر فكانت لها حصة الأسد من اهتمام بالغ أولاه لها كل من عاصر تلك الفترة من صحفي ومناضل ومن مؤرخ، فالحركة الوطنية والثورة الجزائرية كانت ولازالت محط اهتمام جميع الباحثين في التاريخ الجزائري المعاصر، أما عن المشرق العربي فكان محور اهتمامه هو القضية الفلسطينية والحرب العربية الإسرائيلية وانعكاساتها على الوطن العربي، كما عرف المشرق ظهور شخصية تاريخية على الساحة السياسية، وهو أحد رموز القومية العربية جمال عبد الناصر، وتطرقنا في هذا الفصل إلى موضوع الديمقراطية باعتبارها من أهم القضايا السياسية التي شغلت جموع السياسيين العرب والمنظرين لها الذين حاولوا تطبيقها على أرض الواقع ومن هنا جاء موقف مالك بن نبي من كل هاته القضايا فيا ترى فيما تمثل موقف مالك بن نبي من هذه الأحداث؟

المبحث الأول: القضايا السياسية في المغرب.

المطلب الأول: اغتيال الهادي شاكر التونسي.

في ليلة الأحد الثالث عشر من شهر سبتمبر عام 1953 حوالي الساعة الثانية يعد منتصف الليل توفي الهادي شاكر*، حيث تم اختطافه من قبل فرنسيين ، وفي الصباح الباكر تم اكتشاف جثته مستشهدا على الطريق الرابطة بنابل في جهة الوادي السعيد، وكان قد مزقه رصاص الرشاشات[1]، لقد كان اغتياله من أشد الجرائم وقعا على التونسيين وهو الزعيم الشعبي المحبوب ومن أبرز قادة الحركة الوطنية التونسية وعضو في الديوان السياسي لقد كانت حياة الهادي شاكر مثالا في الإيمان والعمل والتضحية[2]، ومن هنا طرح مالك بن نبي موقفه من قضية اغتيال الهادي شاكر، حيث يرى مالك بن نبي بأن اغتياله في تلك الظروف السائدة يتمثل في صورتين واضحتين فالصورة الأولى تتمثل في أنه عمل سياسي وتصفية حساب والصورة الثانية تتمثل في أنه عملية اغتيالية[3]، فقد تكون هذه العملية الاغتيالية هي نتيجة حتمية فرضت على المجرم كنتيجة لعمل سابق يدفعه إلى سلسلة من الجرائم والقانون وحده من يحده من هذه الجرائم،ومن هنا يطرح مالك بن نبي تساؤل عن القانون الذي يحد من جرائم

---

[1]. علي البهلوان، **تونس الثائرة**،د ط، مؤسسة هنداوي، سي آي سي، المملكة المتحدة، بريطانيا، 2018، ص444.

***.الهادي شاكر**: من مواليد مدينة صفاقس عام 1908، وترعرع بها وتعلم في مدارسها، وانضم إلى صفوف المكافحين الوطنيين منذ الصغر وكان عضوا نشيطا في الحزب الحر الدستوري بعد أن أسسه الشيخ الثعالبي، شارك مع الحبيب بورقيبة في تجديد الحزب الدستوري، وكان من أكبر الدعاة في مؤتمر قصر هلال 1934 إلى تجديد هذا الحزب وإعطاء قيادته لشباب عامل مخلص ، وكان موقفه من أكبر عوامل تأسيس الديوان السياسي، نفي الهادي شاكر إلى الصحراء، وبعد عودته استأنف نشاطه الحزبي بقوة فأسس المنظمات القومية الكبرى، وأخذ قسطا وافرا في قيادة الشعب وفي ثورة تونس عام 1938، قام الهادي شاكر بعقد اجتماع في سنة 1952 وترأسه وناقش فيه القضية التونسية، توفي في 13 سبتمبر 1952 بعد اختطافه من قبل الفرنسيين، حيث عثر عليه مستشهدا، للمزيد ينظر: علي البهلوان، **المرجع نفسه**، ص 442.

[2]. **المرجع نفسه**، ص444.

[3]. مالك بن نبي، **في مهب المعركة إرهاصات الثورة**، ط3، إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981، ص 64.

الاستعمار بكل أشكاله، فالاستعمار ليس لديه قانون يحكم فيه وفي وحشيته فأصغر شخص في الاستعمار يرتدي منهم لباس المليشيا بالشوارع، فهو يعتبر قد تجاوز سن الرشاد في الإجرام، فأصبح يغتال القانون ذاته، وهنا يطرح مالك بن نبي مثالا عن شاب يتم اقتياده إلى محاكمة مزعومة فيتم اغتياله في اليوم نفسه وفي طريقه إلى المحكمة، فهو يرى بأن الاستعمار ليس لديه قانون يحكمه فبالنسبة له هو وحش ذو رؤوس وأيدي متعددة فهو في كل مكان يغتال الأشخاص بلا خوف وبدون تأنيب حسبه[1].

أما البوليس فهم جزء من هذا الإجرام كما يرى مالك بن نبي ويعود لطرح سؤال آخر من يؤنبه؟ فالكل مشارك في الاغتيال أما عن الذي يتجرأ على القيام برد فعل أول الاحتجاج فسوف يكون السجن مآله أو الإعدام، فسوف يقول لهم قائلهم بلغة الصعاليك حسب ما يرى مالك بن نبي (كفى، كفى)، وهنا تتجسد نظرية مالك بن نبي المتمثلة في القابلية للاستعمار والتي تمنع المستعمر من الذود عن نفسه أو الدفاع عنها بسبب الخوف الذي غرسه الاستعمار في نفسه، والتي كبلته ومنعته عن المطالبة بأبسط حقوقه[2].

إن الاستعمار بالنسبة لمالك بن نبي هو محيط مجرمين يضعون قانونهم الخاص فوق القوانين والأخلاق، فحتى من اغتيال الهادي شاكر لم يكتبوا عليه سوى سبب قتله، فكما يقول بن نبي إن الاستعمار يعلم تمام العلم بأن الشعب التونسي لا يستطيع صد هذه الجريمة وقمعها فهو يرى بأن الاستعمار لا يضع أي اعتبار وأي قيمة لدم العباد من الدار البيضاء إلى الجزائر وصولا إلى تونس فالجريمة ليست مهمة بقدر ما هو مهم الهدف والسبب الذي ورائها[3].

فالاستعمار منذ سنة 1945 اتبع سلسلة من الجرائم المحتمة فأصبح في قبضة الجريمة فإذا انتهى من واحدة وجد نفسه مدفوعا لجريمة ثانية ليكفر بها عن الأولى فتكون الثانية أفضع

---

[1]. مالك بن نبي، **في مهب المعركة، المصدر السابق**، ص65.

[2]. **المصدر نفسه**، ص65.

[3]. **المصدر نفسه**، ص66.

بكثير من السابقة، أما عن مبررات اغتيال الهادي شاكر فقد هدف الاحتلال من خلالها إلى إحداث فزع في الشعب التونسي، وأن يكون تحت قيادة الإرهاب، وذلك من أجل الحد من نضاله وقمع مقاومته وإضعافها، لكن هذه الجريمة لم تضعف الشعب التونسي، مما يدل على فشل المحتل في خطته.

ومن هنا يرى مالك بن نبي بأن هذا الرد يضعنا في تساؤل كبير ويعمق النطاق حول أسباب اغتيال الهادي شاكر والتي تبقى مجهولة ومتصلة بأحداث دول الجوار وبالخصوص ما حدث بمراكش عندما تم نفي ملك المغرب محمد الخامس في ظروف يشوبها الغموض[1].

المطلب الثاني: نفي الملك محمد بن يوسف المغربي

لقد نجح محمد بن يوسف* في إثبات شخصيته سنة بعد سنة وذلك منذ توليه العرش ويعود سبب ذلك إلى أنه كان واسع الثقافة مدرك لخطر الاستعمار ومدى فضاعته، ولذلك سعى جاهدا لمحاربة الاستعمار وهو ما شكل خطرا على فرنسا وعلى سياستها بالمغرب[2]، فالملاحظ لفترة حكم هذا الملك على المغرب يرى بأن عهده قد عرف العديد من الأحداث حيث

---

[1]. مالك بن نبي، **في مهب المعركة، المصدر السابق**، ص68.

[2]. عبد الرحمن، ابن زيدان، **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، د.ط، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1937، ص 139.

***.محمد الخامس:** هو محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن شريف ولد يوم 10 أوت 1910 بالقصر السلطاني بفاس، وهو الابن الأصغر للسلطان يوسف، أدخل للمكتب المعد لتعليم أبناء الملوك والأمراء للقراءة، تولى الحكم بعد وفاة أبيه وعمره 18 سنة، ومن هنا بدأت تبرز شخصية هذا السلطان فلقد كان واسع الثقافة ويجيد الفرنسية وهو ما شكل خطر على الاحتلال الفرنسي وعلى سياستها بالمغرب، ولقد عرف عهده العديد من الأحداث حيث لجأ الاستعمار إصدار قانون الظهير البربري، قام الملك محمد الخامس بالعديد من الإصلاحات وعمل على تطهير الأفئدة من الجهل والخرافات والأمية والتخلف، ناضل في الحب الوطني المؤسس في أفريل 1937، وفي سنة 1953 تم نفيه من قبل الاحتلال الفرنسي ولم يعد إلا بعد الاستقلال التام لبلده 1956، حيث دامت مدة نفيه 27 شهرا. للمزيد ينظر عبد الرحمن ابن زيدان، **الدرر الفاخرة، المصدر السابق**، ص 140.

لجأ الاستعمار إلى إصدار قانون الظهير البربري الذي صدر في **16 ماي 1930** والذي يهدف إلى فصل سكان المغرب عن بعضهم، بالإضافة إلى سياسة القمع والتشريد والاعتقال، لقد ناضل محمد بن يوسف الخامس على مقاومة الاستعمار ومحاولته لنيل استقلال بلاده وذلك مع العديد من القادة الوطنيين من الحزب الوطني المؤسس في أفريل 1937[1].

وفي سنة 1952 تم نفي محمد الخامس إلى جزيرة كورسيكا،بعد مؤامرة حيكت ضده من قبل الاستعمار الفرنسي، ومن قبل بعض الأعوان في المغرب، هذا وقد دامت مدة نفيه 27 شهرا، وبعد أن أعلن عن نفيه من قبل الاستعمار تم وضعه تحت حراسة تامة[2]، وهو ما فسرته جريدة لوموند الفرنسية بأنه مجرد ترتيبات أمنية.

لكن مالك بن نبي يرى عكس ذلك فهو يرى بأنه ليس مجرد احتياط وإنما يخفي من ورائه الاستعمار نية مبيتة، فكما قال بن نبي في إحدى مقالاته إن الاستعمار لم يكن يريد الحوار معه وهو حر، فكيف له أن يحاوره وهو في قبضته، فالاستعمار يمكنه الآن فرض ضغوطات على السجين يجعله يتقرب إليهم من وجهة النظر، أو يجبره على تصريح يجعل منه القاعدة الشرعية في حكم الرباط، وتصدق نبوءة مالك بن نبي فهاهي جريدة لوموند تقول بأن الملك محمد الخامس يعترف تحت تأثير الوحدة والتهديد، وهو ما دفع مالك بن نبي إلى التساؤل بأي شيء اعترف جلالة الملك؟ رغم عدم امتلاك النص الذي أقر به السجين إلا أنه تم نشر بعض السطور منه في جريدة لوموند.

إن هذا النص مهما كانت قيمته التاريخية فالاستعمار أراد أن يضفي عليه الشرعية الدبلوماسية، إن هذا يدفعنا إلى النظر في هذا الوضع من الجانب الإنساني، فالنص الذي وضع بين أيدينا في جريدة لوموند أن الشيء الملاحظ فيه هو الجهد الذي بذله الناشر في

[1].عبد الرحمان ابن زيدان، **المصدر السابق**، ص140.

[2]. روبير أصراف، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، تر: علي الصقلي ومحمد كازيم، ط1، CRJM، الرباط، المغرب، 1997، ص 111.

محاولته السيطرة على القارئ وجذبه حيث أنه لم يترك له مجال للتعليق[1]، وكأنه أعطاه حق قراءة الاعترافات الخاصة بالملك بنصها الحرفي لكن أين تم هذا الاعتراف وكيف ومتى هو مالا نستطيع معرفته، إنه بعد مطالعتنا لهذا الفتات المقتطف من الاعتراف حسب مالك بن نبي لا يسمح لنا إصدار حكم عام وصحيح عليها، فصياغة هذا النص تدفعنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات حوله مثلا عندما يقول سيدي محمد شاه ويضع كلمة شاهد بين مزدوجتين[2].

هنا نتساءل ماذا تفيد كلمة شاهد وعلى ماذا تدل، فعلى قدر سهولته ووضوحه على قدر غموضه وهو ما يضعنا في صورة غير مألوفة وكأنها تقف أمام هذه الأحداث موقفا لا يتفق مع طبيعتها، فشطر الكلمات الموجودة داخل النص يأتي كأنه تكذيب للواقع التاريخي المتصل بالأحداث التي زامنت خلع الملك عن عرشه، وكان لملك أصبح يعترف اعترافا ضمنيا بأن الوضع بمراكش لم يكن سببه الجلاوي، الذي استأجر من قبل الإدارة الاستعمارية ولكن في حقيقة الأمر هو المسئول عن الوضع السائد آنذاك.

إن لتصريح الملك مفعولا رجعيا حسب مالك بن نبي فلو كما قالت الصحيفة فهو يعترف أيضا بأنه المتسبب في ما حدث بالمغرب ، وهو ما يريده الاستعمار، إن الاستعمار يملك كل وسائل الضغط التي تمكنه من الحصول على أي اعتراف تريده، ولكن كما يبدو فإن الاستعمار سعى جاهدا لكسب ما يريده منه بشكل أو بآخر من هذا السجين الذي وضع بين أيديهم، ولكن ربما يكون الضغط أشد من الملك وذلك من خلال رغبته في الانتقال مع عائلته إلى إقامة جديدة بفرنسا، حيث أنه يمكن أن يكون كشرط أو وسيلة ضغط على المحتل مقابل اعترافات الملك التي تتضمن أن إقامته مرضية بقدر ما تسمح به الإمكانيات المحلية[3].

---

[1]. مالك بن نبي، **في مهب المعركة، المصدر السابق**، صص62_ 63.

[2]. **المصدر نفسه**، ص64.

[3]. **المصدر نفسه**، ص65.

المطلب الثالث: موقفه من الحركة الوطنية الجزائرية

لا يكاد يذكر اسم مالك بن نبي في عصرنا الحاضر إلا وتم إقرانه بفكرة الحضارة، فالحضارة ومشكلاتها هي التي ظلت تشغله طيلة حياته، فانكب على دراسة التاريخ متأملا سننه وتتبع خطوات سير الحضارات بحثا في فهم عوامل البناء والتهديم فيها،مركزا على الحضارة الإسلامية، فمن البديهي إذن أن تكون نظرته للحركة الوطنية الجزائرية نظرة حضارية سوءا في سيرها، أوفي اتجاهها، أوفي أزماتها، أو في البحث عن الحلول الناجعة لها للخروج بها إلى النور[1].

ولمالك بن نبي تجربة في الحركة الوطنية الجزائرية، وفي الفترة التي تم اختيارها بالذات، التي هي بين الحربين العالميتين، فلعل اختلاف مالك بن نبي مع زعماء هاته الحركة الوطنية مع اختلاف اتجاهاتهم وتنوعها أوثبات مالك بن نبي على خط واحد هو الذي جعلنا نقول عنه أنه يمثل اتجاها لوحده وخاصا، حيث أنه يمكن أن نطلق عليه اسم الاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية الجزائرية، مع العلم بأن هذا الاتجاه لم يقتصر على فترة مابين الحربين العالميتين بل ظل بن نبي ثابتا على رأيه إلى غاية وفاته عام 1973، يتضح لنا ذلك من خلال مؤلفاته العديدة والتي تدور حول محور الحضارة[2].

لقد ظل بن نبي يتتبع سير الحركة الوطنية الجزائرية عن كثب منذ أن بدأ يعي محيطه في بداية العشرينات، وهو العهد الذي استأنف فيه الشعب الجزائري رسالته وبدأ تاريخه الجديد، فالحركة الوطنية حسب مالك بن نبي إنها تنقسم إلى قسمين: الحركة الإصلاحية في كفة والحركات الحزبية في كفة ثانية[3]، حيث تعود جذور هذه الحركة الأخيرة إلى نهاية الحرب

---

[1]. محمد العربي معريش، **مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين (1920/ 1938)**، **مجلة الثقافة**، العدد 85، 1985، ص 203.

[2]. **المرجع نفسه**، ص205.

[3]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص207.

العالمية الأولى ومع ظهور رواد الفكرة الوطنية كعباس بن حمانة في شرق البلاد، وسي ابن رحال في غربه، اللذين تعارفا وكونا أول وفد جزائري وتوجه إلى باريس للمطالبة بحقوق الشعب الجزائري لدى الحكومة الفرنسية في باريس، وقد تزامنت هذه المطالب في وقت كثر فيه الحديث عن مبادئ ولسون الأربعة عشر، وفي وقت ظهر فيه الأمير خالد كممثل للشعب الجزائري ومدافع عن حقه في نيل حريته، ولما تم نفي هذا الأخير قام بتأسيس جمعية النخبة المغربية ، وصحيفة الأمة بمساعدة بعض الجزائريين المقيمين في ضواحي باريس[1].

إذن فما يمكن قوله حسب مالك بن نبي بأن بداية الثلاثينيات من الفترة الماضية لم تكن هي الفترة الخصبة بالنسبة للإصلاح في الجزائر فحسب بل تبعه إصلاح الحركة الحزبية أيضا فهي بدورها قامت بتجديد نشاطها وأنشأت صور أخرى للوطنية التي تجسدت في مؤسس وحدة النواب بقسنطينة[2]، مع فرحات عباس والدكتور مالي ومن لف لفهم، كما يبدأ ظهور اسم جديد بدأ تداوله على الألسن وهو اسم الدكتور بن جلول كزعيم وطني، هذا في وقت بدأ نجم مصالي الحاج في الظهور كشخص وكفكر الذي ساهم في بعث منظمة نجم شمال إفريقيا، الذي أفل بباريس منذ ذهاب الأمير خالد إلى الشرق[3].

وبذلك نشأت صورة القومية الجزائرية، بجناحيها، الجناح الكادح الطامح إلى البرجوازية تقوده كتلة من المناضلين المتواطئين مع الجناح البرجوازي التابع للاستعمار المتمثل في الحركة اليسارية، لكن في الواقع لقد كانت الحركة الشعبية في فرنسا تتعاطف مع نجم أفريقيا الشمالية[4]، في بداية الأمر وهو ما حمل بن نبي الحكم على الجناح الكادح وقيادته المتمثلة في زعيمها

---

[1]. ماالك بن نبي، **مذكرات الطفل، المصدر السابق**، ص256.

[2]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص 209.

[3]. **المرجع نفسه**، ص210.

[4]. مالك بن نبي، **مذكرات الطالب، القسم الثاني، المصدر السابق**، ص67.

مصالي الحاج بالتواطؤ مع الحركة اليسارية ويجد ذلك تفسيره من ناحية النجم[1]، على أنه كحركة حزبية كان في حاجة إلى من يساعده في الوقوف على قدميه نظرا لانعدام الخبرة من ناحية ومن ناحية ثانية لأن السلطة الفرنسية كانت تفرض رقابة مشددة ومضايقة على كل تجمع وطني مهما كان نوعه، أما الحركة الشعبية، فكانت تهدف إلى اكتساب هذا الحزب الناشئ لصالحها أي تحرير الطبقة العاملة ومحاربة الاضطهاد والظلم في فرنسا والجزائر خدمة للدولة الاشتراكية الفرنسية إن لم نقل في إطار الأممية العالمية[2].

وأما الجناح البرجوازي المتواطئ مع الاستعمار، أي النخبة المثقفة والمتخرجة من المدارس الفرنسية، فقد كان هذا الجناح يثق فعلا في رسالة فرنسا الحضارية، وفي هذه الفترة بالذات، بين الحربين حيث يرى بن نبي بأن الحل بالنسبة للأهالي أنه لنيخرج من الدائرة الفرنسية لا غير، على أن ذلك أيضا يمكن أن يجد تبرير له[3]، فالنخبة جمعت من مناهل الثقافة الغربية المحضة ولم يتسنى لها التعرف على الثقافة العربية الإسلامية لذلك نجدها تدافع بالوسيلة الثقافية التي اكتسبتها،كذلك يمكن أن نبرر سبب ذلك في أن الظروف السائدة في ذلك الوقت كانت تقتضي المرور بهاته المراحل من أجل التعرف والتمييز بين ثقافتنا وثقافة المستعمر ثم المطالبة بالاستقلال غير أن التجربة أثبتت أن هذه الفئة أو الجناح بقي وفيا للثقافة الغربية على العموم والفرنسية بصفة خاصة[4].

وعلى أي حال، فقد تسربت هذا الاتجاهات وغيرها داخل صفوف الطلبة المغاربة في فرنسا، حيث كان العمال يتزاحمون لسماع مصالي الحاج والهتاف له، وكان بن نبي من أبرز

---

[1]. مالك بن نبي، **مذكرات الطالب، المصدر السابق**، ص 67.

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص155.

[3]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص212.

[4]. مالك بن نبي،**مذكرات الطالب،، المصدر السابق** ص67.

الأعضاء الذين شاركوا في مصير نجم شمال إفريقيا المزمع بعثه من طرف مصالي الحاج[1]، ولم يكن يدري بأن طموح هذا الشخص كان مظهرا للمرض الشديد الذي سيجتاح الجزائر ويقضي على طاقاتها بالظهور والتظاهر والاحتفالات والمظاهرات وهو ماتفطن إليه بن نبي فغير صلته بالحزب وزعيمها إيمانا منه بأنها مظاهر السقوط لا البناء، خاصة بالنسبة لمنظمة حملت على عاتقها بعث الشعب وقيادته نحو الاستقلال[2]، فإما أن تبنى الدولة حضاريا أو لا يكون للاستقلال معنى، ولذلك حول وجهته إلى الصراع الدائر بين أوساط الطلبة المغاربة، وقد سعى أبناء تونس والمغرب على توحيد الصفوف لكن الاستعمار لم يتوانى في محاولاته لإفشال هذا المشروع.

إن ما يستخلصه مالك بن نبي من تلك الاتجاهات والحركات الحزبية ككل بأنها كانت تحمل هدف واحد وهو الصراع على أن يصبحوا زعماء وأبطال لذلك شاركوا في الانتخابات وسلكوا بالشعب ملتويات السياسة بدعوى اختصار الطريق في حين أنهم زادوا في طولها[3]، حيث أن مالك بن نبي يقول لولا تدخل مصالي الحاج في الأمر لما وجدت الجزائر نفسها أمام الكثير من المشكلات التي عانتها في الاستقلال.

فلقد كان بن نبي على وعي تام بالمهزلة التي بدأت في الجزائر منذ أن ظهرت على مسرحها السياسي(وحدة النواب) وصراع المصالح الذي تشرف عليه السلطة الاستعمارية متظاهرة بغضبها على هذا وذاك[4]، ويعود مالك بن نبي لطرحه هذا الذي يثبت صحة رأيه عندما قام فرحات عباس بالنشر في إحدى الجرائد مقال تحت عنوان (أنا فرنسا) الذي أحدث موجة عارمة من الاستنكار فاجأت الشعب حيث غدا الكل يستنكر يا للخيانة، قرأ مالك بن نبي

---

[1]. مالك بن نبي، **مذكرات الطالب، المصدر السابق**، ص ص 139،67.

[2]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق** ، ص212.

[3]. مالك بن نبي، **مذكرات الطالب، المصدر السابق** ص43.

[4]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص212.

الخبر إذ صدمة تهزه كما لم تهزه قضية من قبل فقام بتحرير مقال ردا على فرحات عباس قام بنشره في جريدة الأمين العمودي اختار لها أسم مثقفون أم متثيقفون*، فمالك كان على وعي تام بالمهزلة التي بدأت في الجزائر، أي ذلك الاختلاس الكبير الذي بدأت خيوطه تظهر على مسرحنا السياسي منذ ظهور اتحادية النواب[1].

فكما يرى مالك بن نبي بأنه ليس صراع أفكار وإنما صراع مصالح تشرف عليها السلطات الاستعمارية العليا،وازداد تخوف مالك بن نبي على الإصلاح عندما شرع الأب في تسلم مقاليد الحياة العامة فخشي على جمعية العلماء من أن تسلم المشعل إلى أصحاب الشهادات الجامعية، فمالك بن نبي كان يتوقع من المثقفين كل مكروه، فكان رأيه السياسي قائما على مبدأ هو أن نظاما اجتماعيا ما لا يقوم إلا على نظام أخلاقي، فالنخبة المثقفة التي اتبعت بكل وضوح طريق الخيانة على حد تعبير بن نبي خيانة الشعب باستخدام الزعماء من هذه الفئة لإلقاء الحيرة في الضمائر، وكانت النتيجة أن بدأ الوطن يخرج رويدا رويدا عن جادته بعد أن كانت عبارات الإصلاحيين تشدهم بقوتها إلا أن النوم كان يخذرهم عن أن ينشروا وعيهم وجهدهم باستمرار[2].

فكانت النتيجة انحرافا وحلت مكان الحكمة الانتهازية السياسية وهي التي وقعت فيها الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمشاركتها في المؤتمر عام 1936، ويتضح رأي مالك بن نبي بشكل جلي عندما تم اتهام الشيخ الطيب العقبى* باغتيال عباس كحول، وهو ما حذر منه مالك بن نبي فالحركات الحزبية فعندما تم انتقال قيادة الشعب إليهم، فخاضوا به ميدان الدروشة السياسية حسب رأي مالك بن نبي بشكل متطور بعد الانتقال من الأرياف إلى المدن، وبدا كل جزائري، ذي اهتمام سياسي يعلن بطاقته في الحزب الاشتراكي الفرنسي[3].

---

[1]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق، ص 155.**

[2]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص213.

[3]. **المرجع نفسه**، ص214.

قد يتبادر إلى الذهن أن الحركة الحزبية لها ضلع في توعية الشعب إزاء بعض المشكلات غير أن بن نبي يستبعد هذا الرأي بحجة أن الجرائم لم تنطلق من نقطة الصفر، بل انطلقت من المعارك التي خاضها لإصلاح المؤتمر الإسلامي الذي تدخل بعد الدخول في ميدان الانتخابات، ويذهب إلى أبعد من هذا إذ يرى بأن الحركات الحزبية على عكس ذلك فهي المسئولة على تعطيل الثورة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية[1].

المطلب الرابع: الثورة الجزائرية

في عشية الفاتح من شهر نوفمبر عام 1954 اندلعت الثورة الجزائرية المسلحة من أجل تحرير الوطن من سلطة الاحتلال الفرنسي التي دامت أكثر من قرن، فما هو موقف مالك بن نبي من هذه الثورة؟ وكيف تعامل مع قادتها؟[2].

لقد اعتبر مالك بن نبي الثورة الجزائرية تجسيدا لأفكاره على أرض الواقع فيقول في كلمة الإهداء في كتابه في مهب المعركة(إلى شهداء الثورة الجزائرية الذين حققوا بدمائهم الأحلام التي تعبر عنها هذه الصفحات)، إذ لم يجعل بن نبي من نفسه المنظر الوحيد لثورة أول نوفمبر لأنها أيضا ثمرة جهود جمعية العلماء المسلمين التي بدأت في الثلاثينات{ وفي الواقع إذا وضعنا أنفسنا في رؤية زمنية تعود بنا إلى الماضي[3]، وتشمل الفترة الواقعة بين سنة 1930}،وهي تقريبا السنة التي أسس فيها العمل الإصلاحي، وبين سنة 1954 وهي السنة التي بدأت فيها الحركة المسلحة، فإننا نجد أن تاريخ هذا البلد يسير في تطور تصاعدي.

ومن هذا المنطلق يقوم مالك بن نبي بإعطاء تعريف لمصطلح الثورة فهو يرى بأنها ما هي إلا حدوث تغير نتيجة لانتفاض بشر وتمردهم عن وضع معين يهدفون من خلاله إلى

---

[1]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص215.

[2]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص25.

[3]. **المرجع نفسه**، ص26.

إحداث تغيير جذري على الوضع السائد، ويوضح مالك بن نبي نظريته حول مفهوم الثورة فيقول بأنها هي أسلوب تغيير و له منهج وطبيعة خاصة، فالثورة لا تشمل الجانب السياسي فقط بل قد تشمل مختلف الجوانب الاجتماعية والنفسية التي هي في طبيعة الفرد البشري[1].

فلكل ثورة منهجها يتضمن المبادئ التي تسير عليها كما يتضمن فحوى القرارات التي ستمليها عليه ظروف الطريق فالمنهج هو الركن الركين الذي يضمن استمرارية الثورة فكلما ابتعدت الثورة عن منهجها وتخلت عنه[2]، ستنحرف حتما عن مسارها الحقيقي وستفشل ولو على المدى البعيد، ولذلك فأي ثورة يجب عليها رسم إطار واضح يجعلها لاتحيد عن طريقها ويبعدها عن الغموض و الضبابية لأنه أي انحراف متوقع، يجعل من الثورة تراوح مكانها[3].

و يختصر مالك بن نبي واجبات الثورة من أجل ضمان نجاحها أن تكون في ثلاثة نقاط رئيسة:

1/ حماية نفسها من كل المحاولات التخريبية التي يكون فيها أصحابها سلطة جانبية في وطن ثوري يؤثرون فيها حتى لحساب الخارج بما في أيديهم من وسائل السلطة.

2/ الثورة في حاجة إلى أخلاقيات صارمة تحكمها.

3/ الثورة دائما في حاجة إلى النقد والنقد الذاتي الذي يصحح لها طريقه ويوجهها.

إن نجاح الثورة أو فشلها هو بقدر ما تحتفظ بمحتواها أو تضيعه في الطريق وهذا كله يخضع لقانون، فالثورة لاترتجل بل هي اطراد طويل، يحتوي ماقبل الثورة والثورة نفسها، وما بعدها، والمراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيه بمجرد إضافة زمنية، بل تمثل فيه نموا عضويا

---

[1]، محمد البنعيادي، **مالك بن نبي ثوريا**، متوفر على الرابط التالي: http://www.binnabi.net. يوم الجمعة 17ماي 2019 على الساعة: 13:00.

[2]. **المرجع نفسه.**

[3]. **المرجع نفسه.**

وتطورا تاريخيا مستمرا، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور، فقد تكون النتيجة زهيدة ومخيبة للآمال[1].

وبالعودة إلى رأيه في الثورة الجزائرية يرى مالك بن نبي بأن كل الطاقات الأخلاقية والسياسية وكل الطموحات والضغوطات المتراكمة خلال تلك الفترة هي التي تسنح للبلد أن يتجاوز المرحلة الصعبة من تاريخه، وأن يدخل في خضم ثورته، التي ستكون بالضبط ذروة هذا التطور التحضيري، إن رأس المال الثوري الذي توافر عشية الفاتح من نوفمبر من سنة 1954 كان في الأساس ثمرة الجهود التي بذلتها الحركة الإصلاحية في ذلك الوقت[2].

عندما وصل مالك بن نبي إلى القاهرة عام 1956،حظي مالك بن نبي باستقبال كبير في مقر ممثليه جبهة التحرير الوطني آنذاك حيث أشرف على استقباله كل من أحمد بن بله، ومحمد خيذر، أما الدكتور لامين دباغين فقد أعرض عنه[3]، وكان الأولان في القاهرة منذ 1952 حيث كانا يمثلان رفقة آيت حمد والشاذلي المكي الوفد الخارجي لحزب مصالي الحاج أما لامين دباغين فكان الرجل الثاني في حزب مصالي الحاج إذ تم تعيينه من طرف عبان رمضان على رأس ممثلي جبهة التحرير الوطني[4].

وفي 1سبتمبر 1954 التقى مالك بن نبي ببن بله وعبر له عن رغبته في خدمة الثورة وذلك من خلال صورتين أساسيتين وهما ممرض للجرحى في ميادين القتال في جبال النمامشة حيث كان يضن أن تواجده هناك سيتيح له الكتابة عن الثورة عن قرب[5]، لكن هذا الطلب لم يتم

---

[1]. محمد البنعيادي، **المرجع السابق**،http://www.binnabi.net

[2]. مولود عويمر،**المرجع السابق**، ص26.

[3]. نور الدين بوكروح، **مالك بن نبي المنفى والثورة (1956 ، 1963)**، تر: عبد الحميد بن حسان http://www.binbadis.net (يوم الأحد 17 ماي 2019: 00: 22

[4]. **المرجع نفسه.**

[5]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص26.

الرد عليه من قبل الجبهة وهومادفع مالك بن نبي بأن يكتب مقالا بتاريخ 10 سبتمبر 1956، كان مطلعه: إنني لا أعرف أين سأكون عندما تصل رسالتي هذه إلى البلد،كما بعث برسالة إلى قادة الثورة الجزائرية، تم نشرها في كتابه في مهب المعركة، وفي سنة 1957، ألف مالك بن نبي كتيبا تحت عنوان(النجدة الشعب الجزائري يباد) وهي صرخة ودعوة للضمير العالمي لأن يقف إلى جانب المطالب الشرعية للجزائريين وعلى رأسها الاستقلال والتحرر من سطوة الاحتلال، هذا وقد تكلم مالك بن نبي عن الثورة الجزائرية في برنامج صوت العرب الذي كانت تبثه إذاعة صوت القاهرة[1].

لقد كان مالك بن نبي غير راض عن بعض قادة الثورة خاصة بعد مؤتمر الصومام عام (1956)، لأنه حسب رأي مالك بن نبي قد أحدث انقساما خطيرا داخل صفوف الثورة وكانت المعارضة للصومام قوية لم تستطع لجنة التنسيق التغلب عليها، وانتقد توجهاتهم الغربية والاشتراكية ورأى في مواقفهم ابتعادا عن روح أول نوفمبر وناقش هذه الأفكار في ندواته الأسبوعية في القاهرة، وواصل هذه الانتقادات بعد الاستقلال كما هو موضح في كتبه الأخيرة: بين الرشاد والتيه، ومن أجل التغيير[2].

لقد اعتبر مالك بن نبي أن مؤتمر الصومام عدل بصورة جذرية منهج الثورة، وهكذا ألغى الكلمة التي تمثل التراتيبية الثورية العليا، فكلمة مجاهد استبدلت بكلمة مناضل، ومن هنا نستطيع القول حسب رأي مالك بن نبي بأن الثورة التحريرية قد خرجت من يد الثوريين لتقع في قبضة السياسيين، فهذا المؤتمر رجع بمفهوم الثورة إلى الوراء بدل أن يتقدم بها[3]، لأن المحاورين المقبولين كانوا يدورون حول فكرة مسبقة مفادها الحوار مع المسئولين الفرنسيين وهي فكرة

---

[1]. محمد البنعيادي، **المرجع السابق**، http://www.binnabi.net

[2]. أعمال الملتقى الدولي بتلمسان أيام 12/ 13/ 14 ديسمبر 2011 تحت عنوان **مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد**، ج2، بحوث الملتقى الدولي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص 280.

[3]. مولود عويمر، **المرجع السابق** ص26.

"منطقة ذات حكم ذاتي جزائري"[1]، وهو ما دفع مالك بن نبي إلى التساؤل: هل في تاريخ الثورات جميعا سوى ثورتنا على سبيل المقارنة ما يسمى منطقة حكم ذاتي للجزائر؟ لقد كانت هذه الخطوة الأولى للوراء في مسيرة الثورة، والتي تبعتها خطوات وأهمها خطوة مؤتمر الصومام وتبعتها الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية التي أبرزت نزعة الولايات والمناطقية والمخلفات التي سيتركها الاستعمار.

فبن نبي اعتبر نظام الحكم الذاتي للمناطق بأنه يشبه مسيلمة الكذاب الذي دخل في لعبة الإبهام من أجل أن يقطع رأس الثورة نفسها، وبعد ذلك لم تعد الثورة قيادة، بل أصبحت مصلحة إدارية تتطلع لتأمين احتياجات العظمة أكثر من متطلبات المحاربين، لقد آثر مالك بن نبي أن يبقى بعيدا عن المعركة الضارية التي كانت تجري في قيادة الثورة بين الداخل والخارج[2]، أي بين السياسة التي تعرف عليها في الجزائر وانتقدها التقت في القاهرة ومعها تلك الأفكار المسبقة التي نظر بها إليهم، ولم يتوقف مالك بن نبي عن نعتهم إياهم بأقسى النعوت مثل الزعماء الأقزام وشرذمة الأشرار والثلة الغربية.

وفي 13 مارس 1957 حيث يصفه ورفقاؤه بالسادة الذين كانوا يفضلون خدمة الثورة وهم في بحبوحة الجمعية الجزائرية أو البرلمان الفرنسي وهم اليوم يتنعمون في فنادق فاخرة، لقد مورس القمع الوحشي في الجزائر[3]، لكن الهدف المسطر قد تحقق وقد ألقي القبض على الزعيم صاحب فكرة الإضراب العام، وهو العربي بن مهيدي، ثم تم اغتياله، وفي 8 أفريل 1957 اختطف العربي التبسي في الجزائر العاصمة واغتيل من طرف منظمة اليد الحمراء، وهي الوجه الظاهر للمخابرات الفرنسية، وهي من قتلت العربي التبسي،وعلى إثر ذلك سارعت الصحافة

---

[1]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص27.

[2]. نور الدين بوكروح، **المرجع السابق**.http://www.binbadis.net .

[3]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 27.

الاستعمارية بإلصاق تهمة هذه الجريمة لجبهة التحرير تحت ذريعة أنه اغتيل لأنه كان متهم بخيانة الجبهة[1].

وفي 10 أفريل من نفس السنة، أصدر مالك بن نبي توضيحا فند فيه مزاعم الصحافة الاستعمارية متعجبا من صمت القيادة الرسمية للثورة كما وجه بتاريخ 24 أفريل 1957 وفي خضم أحداث معركة الجزائر الشهيرة[2]، وككل الجزائريين كان مالك بن نبي يعيش في حالة غليان في أعماقه، وهو ما دفعه إلى إصدار مطوية تحت عنوان النجدة الشعب الجزائري يباد ندد فيها بالتعذيب والتقتيل الجماعي للجزائريين، ذاكرا أن عدد القتلى قد بلغ نصف مليون،

لقد كان مالك يدعو في حديثه إلى الشعب بإجراء تحقيق في مؤتمر استثنائي[3]، إذ المواقف الجادة السليمة التي كانت أثناء الحرب لا تنتهي إلا إذا كان الشعب على علم بكل ما جرى، من أجل وقاية البناء السياسي والاجتماعي في الجزائر المستقلة، الذي لا يبنى على الخيانة و اللامسئولية[4]، إذن مما نخلص إليه بأن بن نبي في هذه الفترة وابتداء من عام 1958، كان شديد القلق، فمالك بن نبي كان يعرف حق المعرفة من الثوار الحقيقيون ومن الذين خرجوا بالثورة من مسارها إلى لعبة التفاوض التي أتقن الاستعمار إدارته، وذلك بحكم زمالته للعمل ونشأته معهم، وكان شعوره بالعزلة ومحاربة رجال الهيئة التحريرية له، هي استمرار لشبكة الاستعمار التي أحاطت بكل الشعارات التحريرية[5].

---

[1]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص ص 616،631.

[2]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص27 .

[3]. نور الدين بوكروح، **المرجع السابق**.http://www.binbadis.net

[4]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص632.

[5]. **المرجع نفسه**، ص 631.

المبحث الثاني: موقفه من قضايا المشرق العربي

المطلب الأول: القضية الفلسطينية.

لا تزال القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي تحرك وجدان الشعوب العربية والإسلامية، فبالرغم من تصاعد المشكلات العربية وازديادها، فقد بقيت أم القضايا العربية والجرح الذي ينزف حتى الآن فلقد نبهت الصحف العربية اليَقظَة العرب والمسئولين إلى مخاطر التوجه الصهيوني نحو فلسطين منها المقتطف والمنار عام 1889 والأهرام 1908[1]، فبعد استقلال الوطن العربي عن الدولة العثمانية تم تقسيم الأراضي العربية في العراق والشام مابين النفوذ الفرنسي والبريطاني ومناطق أخرى تحت إشراف دولي وبرز مايسمى بوعد بلفور وزير خارجية بريطانيا عام 1917 وفيه أعلن بلفور عن المساعدة بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين.

ومع نهاية عام 1917 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الموافقة على تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية والأخرى يهودية ووضعت القدس كمنطقة دولية حيث رفض العرب هذا القرار، فقامت بريطانيا بعد ذلك بإنهاء انتدابها على فلسطين في أواخر 14 أيار 1948، وأعلن المجلس اليهودي في تل أبيب قيام دولة على الأراضي العربية الفلسطينية[2]، ومن هذا المنطلق طرح مالك بن نبي رأيه في هذه القضية مستهلا حديثه عن هذه القضية لحظة خروج الإنجليز من البلاد من دون سابق إنذار.

فكما هو متعارف عليه في الأعراف الدولية فإنه وبعد خروج المحتل من أي منطقة فإنه يجب عليه تسليم السلطات إلى السلطة المحلية من أجل أن تتحمل مسؤولياتها الإدارية والسياسية

---

[1]. نجيب صالح، **تاريخ العرب السياسي (1856/ 1956)**، ط1، دار اقرأ، بيروت، لبنان، 1985، ص259.

[2]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، ط1، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1978، ص 105.

وكذلك كافة شؤونها الداخلية والخارجية[1]، لكن هذا لم يحدث فالمحتل خرج من دون إحداث أية بلبلة فإنه هنا يحدث شك وغموض في الأمر، فمالك بن نبي يرى بأن خروج المحتل قد ترك ورائه لغزا محيرا ومعناه هو أن السكان سيبقون تحت رحمة من له سلاح وهو ما وقع بالضبط خلال الأيام الأولى من شهر أبريل عام 1948[2].

يرى بن نبي بأن الناس قد عاشوا حمى الفرح وانطلقت أصوات أولى الحل والعقد في ذلك العهد تقول صاخبة أو خافتة إننا سنقضي على الصهيونية، قضاء مبرما ومما ينبغي تسجيله للتاريخ في تلك الأسابيع المشئومة: هو عدم اتخاذ القيادة العربية موقفا واضحا، يحد من إجراء وتعطيل الاطراد السياسي العسكري الذي نتج عن انسحاب الجيش البريطاني.

ولكن ما يمكن ملاحظته هو أن التفوق العسكري قد فاتهم منذ اللحظة الأولى، حتى من جانب الكم وهو ما يوضح خطورة الموقف وهو ما جعلهم يقتنعون بتفوقهم العددي[3]، على عكس العرب اللذين لم يكن لهم سوى حل واحد وهو فتح الأبواب للمتطوعين الذين كانوا يأتون من أعماق الجزائر ومراكش مضحين بالغالي والنفيس ومستعدين للاستشهاد في سبيل القدس، أما من الناحية السياسية، فقد كانت القيادة العربية تستطيع أن تعلن عن الجمهورية الفلسطينية، وهو الإعلان الذي قد يكشف عن السرائر ويمزق القناع عن النفاق الذي استطاعت به الدول الكبرى أن تعترف به بإسرائيل باسم ديمقراطية مزعومة[4].

فلو أن العرب كانوا قد أعلنوا عن الجمهورية الفلسطينية حسب رأي مالك بن نبي لكانوا قد قطعوا السبيل عن ذلك النفاق وأثبتوا بصدق بأنهم أصحاب حق مشروع وذوو يدا واحدة ولكن يا للأسف عندما يتم تفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، وعندما تعجز

---

[1]. مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، **المصدر السابق**، ص106.

[2]. **المصدر نفسه**، ص107.

[3]. **المصدر نفسه**، ص108_ 109.

[4]. **المصدر نفسه**، ص110.

الرصاصات العربية على أن تقتل من يطلقها، وطلقات المدافع تعجز لأنها ليست بالمقياس المناسب للمواجهة والوقوف في وجه العدو، وهو ما يدفعنا إلى القول حسب مالك بن نبي بأن كل هذا كان مبيتا و مرتبا، فإسرائيل لم تهدف إلى كسب الجولة بقدر ما كانت تهدف إلى تحقير الشعب العربي[1]، وما يجب علينا أن نضعه جنبا إلى جنب هما واقعتين أساسيتين حسب رأي مالك بن نبي وهما : ميلاد إسرائيل وهجرة السكان العرب المطرودين من بيوتهم، وهما الحدثان اللذان كانا قد اتخذا على العالم العربي حجم الكارثة، فالهزيمة التي حلت بالخليط من الدول العربية وهي على ما يبدوا بأن هذه الهزيمة قد أيقظت شعوب الشرق المتوسط من سباتهم الذي غمستهم فيه قياداتهم وإن من أكثر الآراء التي كانت هي نفسها وقائع تأذن بالتفاؤل فهي سلسلة ردود أفعال ثورية تتابعت حلقاتها مباشرة بعدها النكبة الفلسطينية وأولى هذه الثورات ما وقع في اليمن ونهاية النظام الملكي في مصر، ثم أتت العاصفة التي مسحت العرش الهاشمي وكنست حطامه من بغداد، إن كل هذه الأحداث كانت تعبر أكثر من غيرها، عن الوضعية الجديدة التي أصبحت تسود العقول والنفوس في العالم العربي بعد المأساة الفلسطينية[2].

إذن فإن ما يمكننا قوله بأنه ومنذ عشرين عاما لم يكن من اتخذ موقفا تفاؤليا قد تعدى حدود المعقول في القضية الفلسطينية، ويقول مالك بن نبي أيضا بأن من الأحداث التاريخية العظيمة والتي علق عليها العرب آمالهم وتوقعوا منها آثار كبيرة في العالم العربي ألا وهي مؤتمر باندونغ الذي كان قد عقم في الطريق هو الآخر فلم يلد شيئا ولم يأتي بالجديد، ويواصل مالك بن نبي حديثه عن القضية الفلسطينية[3]، تحت عنوان هيئة الأمم تدين شعب فلسطين، حيث يقول إن هيئة الأمم أصدرت حكمها فأدانت شعب فلسطين، وهكذا ينتهي بالنسبة إلينا

---

[1]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص110_111.

[2]. **المصدر نفسه** ص129.

[3]. **المصدر نفسه**، ص130.

أسبوع الغثيان، وهنا يتساءل مالك بن نبي في هذا الأمر لماذا هيئة الأمم أصدرت حكمها عن شعب فلسطين فقط وحكمت عليه بأنه مذنب فحسب ولماذا لم تصدر حكمها عن الأعمال الوحشية التي مورست في حقه والتي طردته من دياره وشردته من دياره التي استقر بها منذ آلاف السنين، إن هيئة الأمم بهذا القرار تكون قد حكمت على نفسها أيضا وهي بغير شك تكتب صفحتها الأخيرة في التاريخ[1].

إن عهد تصفية الاستعمار لازال مستمرا، منذ أن دقت شعوب العالم الثالث أبوابه التي انغلقت على حرياتهم، منذ أكثر من نصف قرن، وفي كل الأوطان تتمتع هذه الحركات بعطف الشعوب وأحيانا نقوم بتأييد السلطات، وفي وطننا يجدون بالإضافة إلى ذلك[2]، الجو الذي يكهرب روحهم الثورية، فالثورة في حاجة اليوم إلى الدفاع عن قضيتها في الداخل والخارج، دفاعا أصبح معه للحركات التحررية أدب وتاريخ، فتنشر نشرات عن حركاتها وينشر عنها، وقد تبتدئ هنا مشكلة فعندما نريد التعرف إلى إحدى هذه الحركات بطريقة مجزية وسريعة، خصوصا إذا كانت الملابسات أو موقعها الجغرافي يضعها (كالثورة الفلسطينية) في نقطة تقاطع للديانات والثقافات والحضارات والمصالح الإستراتيجية المتعارضة وفي مركز شبكة المناورات المنسوجة على يد أولئك الاختصاصيين المشرفين على لعبة الأمم[3].

إن كثرة الوثائق تكون أحيانا أولى بتضليل الفكر في قلتها، ومن الوثائق التي مثلا تختص بجانب واحد من القضية الفلسطينية إلى مجرد المنشور أو البلاغ الذي يشيد ببطولة عصابة من الفدائيين، أو يفند العمل البربري الصهيوني الأخير، كحرق المسجد الأقصى، فالقارئ إذا لم يكن منقادا لغرض خاص لا يجد لنفسه مجالا للتسكع الفكري أمام المأساة

---

[1]. **مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص129.

[2]. **المصدر نفسه**، ص130.

[3]. **المصدر نفسه**، ص ص 137_ 138

الفلسطينية بل يرى نفسه مجبرا على الاندفاع في لهيبها والدخول نحوها بأيسر الطرق[1]، وهنا تدفعنا هذه الوقائع والأحداث حول ما إذا كانت هناك لعنة أشد من هذه التي منذ صلح فرساي إلى تأسيس إسرائيل في عام 1948 أنكرت أمام الرأي العام في الغرب حقيقة جلية كفلسطين والشعب الفلسطيني وهي حقيقة أقرتها آلاف السنين من التاريخ.

إن الفدائيون الفلسطينيون قد كشفوا للجيل الذي يشاهد تحليل الذرة وأن الذرة الإنسانية لا تحطم فعلا، وأن الأجهزة الضخمة التي تريد تحطيمها قد يصيبها العطب، فرجال فلسطين ونساؤها وأطفالها أضحوا في وضع لم يبق لهم فيه سوى التجنيد، إذ لم يبق لهم لا سقف ولا أرض ولا مال، لقد ظهر الشعب الفلسطيني من الضباب، وخرج من مآويه الحقيرة التي أعدتها الصداقة الدولية على حدود بلاده، وإذا كان يجب علينا أن نعطي الصورة قالبا آخر هو أقرب لواقع الصراع الثوري، ضد سلطة استعمارية.

إنه صراع ماعون العدم مع الحديد، وهكذا نرى بأن ماعون العدم مع الحديد قد صمد فعلا حتى إن القيادة الإسرائيلية ساومت مرغمة لتخليص جيشها من المأزق بأن يترك عتاده على أرض المعركة، وقبلت إسرائيل الشرط الذي قدمته منظمة فتح، فالاتجاه الصحيح بالنسبة لقضية فلسطين في محتواها العربي، ولكن ليقدر به أيضا أهميتها الدولية في فترة لا نرى فيها الفدائي يمسك في مشرب بندقيته وجوده فحسب، بل ربما أيضا السلم العالمي[2].

المطلب الثاني: موقفه من النكبة الفلسطينية.

بعد إعلان القوات البريطانية انسحابها من الأراضي الفلسطينية وإصدار قرار التقسيم المعلن من قبل هيئة الأمم المتحدة سنة 1947، والذي نص على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وإسرائيلية، هذا الإعلان الذي قابله الفلسطينيين والعرب برفض قاطع هذا الرفض تجسد

[1]. **مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص 139

[2]. **المصدر نفسه**، ص143.

في حرب مسلحة شنها العرب ضد إسرائيل وكان الهدف من خلالها إلغاء قرار التقسيم وطرد القوات الصهيونية من الأراضي المقدسة وكذلك بسب اختلال القوات الصهيونية معظمها وتحويل سكانهم إلى لاجئين وكان الهدف من ذلك هو تدمير الهوية الفلسطينية واحتلال الأراضي الفلسطينية من قبل الحركة الصهيونية[1]، لقد اندلعت هذه الحرب في سنة 1948 في فلسطين وشارك في هذه الحرب بعض من الدول العربية والتي من بينها(سوريا، لبنان، المملكة المصرية، المملكة العربية السعودية، اليمن، المملكة الأردنية الهاشمية) حيث شُنت هذه الحرب ضد المليشيات الصهيونية وهذه الحرب كان لها وقع كبير على الأراضي الفلسطينية وعلى العالم العربي وهذه الوقائع جعلت الكتاب والمؤرخين يلتفتون إليها ويصبون اهتماماتهم حولها، ومن بين هؤلاء نجد مالك بن نبي حيث طرح موقفه من هذه القضية[2].

يرى مالك بن نبي بأن العالم العربي قد بدأ برد الفعل على الأحداث الكبيرة التي سببها العدوان الصهيوني في الشرق الأوسط، إن مالك بن نبي بدأ حديثه من خلال ترحمه على أرواح الشهداء الذين سقطوا في ميدان المعركة من أجل الوطن العربي الذي استرجع وحدته المعنوية في الظروف العصيبة التي يواجهها[3].

إن المستويات الكبيرة التي أبرزتها الأيام الخطيرة والأخيرة كانت قد قذفت بالإنسان من حياة يومية سطحية إلى ملحمة كبر بها جُمجمَهُ فوضعته في مستوى الأحداث[4]، هذا التغيير النفسي له بطبيعة الحال، أثره في الحياة السياسية، هذه الوحدة التي لطالما تمنتها الشعوب العربية

---

[1]. موفق عبد الله الشهابي، **الحرب العربية الصهيونية _ حرب 1948_** قدم هذا البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على دبلوم الدراسات الفلسطينية،برنامج دبلوم الدراسات الفلسطينية، قسم الأبحاث والدراسات، أكاديمية دراسات الاجئين، 2016 ، ص 11.

[2]. **المرجع نفسه**، ص 12،13.

[3]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص115.

[4]. **المصدر نفسه**، ص111 .

واشتكت من الفرقة، هاهي ذي اليوم[1]، تجد حلولا عاجلة والتي يبدوا بأنها ستبقى بأيدينا بعد أن استعصى علينا هذا من قبل، فما لم تحققه الخطب السياسية ومواعظ الجامعة العربية من وحدة عربية، تحقق اليوم في لحظة أمام الشدة، لقد سكنت المشاغبات وعدنا لا نستمع إلا إلى النداءات المملوءة بالإخاء، فعلى ما يبدوا بأن الفرد في العالم العربي، يستطيع الانسجام مع الظروف الاستثنائية أكثر من الظروف العادية، فالفرد العربي يتعامل مع المعجزات التي تحرك ذاته فإذا حركته فكرة أو قضية كبرى فعل المستحيل كما دلت الثورة الجزائرية على الظاهرة نفسها التي تتكرر مع اختلاف في الموقع الجغرافي فقط، وهذا هو خير دليل على موضوعنا هذا، إن أي شعب من الشعوب لا يكتب تاريخه فقط (بالرعد والصواعق) كما يقول الفيلسوف نيتشه[2].

فمن الطبيعي أن تتحرك الضمائر وتستيقظ إذا مسها ضر، ولابد لأي شعب إذا ما دقت ساعة الخطر أن يكون في مستواها، ولكن تبقى الحياة نسيج أحداث كبيرة وصغيرة، فنحن اليوم نرى مجتمعات جديدة تتكون وتنموا أمام أعيننا ونلمس على الطبيعة، اطراد نموها تحت تأثير أحداث كبيرة وصغيرة التي تثري المجتمعات فنستنتج منها دروسا، والأحداث التي يعيشها العالم العربي منذ أيام قد أثرته فعلا بطريقة تجعله أكثر انسجاما مع الشروط التي تحقق مصيره ووحدته وأننا نرى الوحدة تتحقق أمام أعيننا هذه الوحدة التي دعا إليها الكثير من الدعاة للتحقق اليوم في ومضة عين في هذه الأيام العصيبة لتصبح أثمن ما كسبته الثورة، فالعرب الذين يسقطون الآن في الميدان يعرفون ثمنها، لكن ما علينا معرفته هو بأي ثمن سيحافظ عليه العرب لأننا حتى إذا لم نستطع لحد الآن إصدار الحكم النهائي إلا إذا أصبحت الأسباب نفسية على البلدان العربية وفي سياستها هذه القواعد التي تجري عليها حياتهم كل يوم[3].

---

[1]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص112.

[2]. **المصدر نفسه**، ص113.

[3]. **المصدر نفسه** ،ص113.

إنها لمشكلة الغد، لأن ما لدينا من تجربة ثورية في العالم، وفي البلاد العربية بوجه خاص يجعلنا نقول إن لكل ثورة ما بعدها مواصلة للثورة وإما أن يكون في اتجاه معاكس يتنكر لها ويمسخها، وما يمكن تأكيده أن الاستعمار سيسعى للوصول إلى هذه الخطة التي تقوم على تشويه الثورة، وسيسعى الغرب بكل السبل إلى توريط العرب في مأزق عسكري، الهدف من خلاله سيكون كسر الوحدة المعنوية العربية التي تحققت أكثر من سعيها للحفاظ على الكيان الصهيوني وسيبقى الاستعمار على هذا النحو حتى تعيدهم إلى نقطة البداية حتى يتم إشغالهم بأنفسهم و تغمسهم في التفرقة السياسية[1]، فكما هو متوقع فالعدوان ضد البلاد العربية انطلق في اليوم والساعة اللذين حددهما الاستعمار في مخططه، عدا ذلك فهو يتصرف بطريقة أخرى إنه يهيئ كل ما يقلب الوضع رأسا على عقب حيث أنه يضع القنبلة ثم ينسحب بكل تواضع تاركا لسواه مهمة تفجيرها أمام العدسات الكبيرة وأجهزة الإعلام والإذاعة[2].

إن الاستعمار يوظف إذن من يضع توقيعه على أعماله في الشرق الأوسط وهو إسرائيل الذي يوقع على كل عدوان في مكانه، إن الاستعمار حينما لا يريد أن يظهر أمام العالم، يشرع في تكليف سواه بوضع اسمه مكانه، وهذه الطريقة أخذت تزداد أهميتها بقدر ما تزداد حساسية الناس نحو السلم في هذا العصر وبعبارة أخرى فإنها ليست هي التي ستفجر القنبلة التي صنعتها، وأعدتها لليوم الموعود ضد العرب وعلى أية حال فالخسارة التي مني بها العرب كانت كبيرة والتي يمكن تلخيصها في ما قاله رئيس الثورة للشعب الجزائري بقوله: إن الغلبة تحققت إلى حين، لكن هذا لا يعني أننا خسرنا الحرب في معركة، لكننا لم نخسر الحرب[3].

---

[1]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص114.

[2]. **المصدر نفسه**، ص117.

[3]. **المصدر نفسه** ، ص118.

لقد شعر كل جزائري بألم يوم أعلن نبأ الهزيمة وعرفت أسبابها الفنية، إذ قضي الأمر منذ تحطمت الطائرات العربية في مكانها، لكن هذا السبب يدفع مالك بن نبي إلى التساؤل وهو لماذا لم تعلن القيادة العربية عن تلك الأسباب منذ اللحظة الأولى التي تحطمت فيها أولى الطائرات حتى يتم تفادي قدر الإمكان الصدمة النفسية في الوطن العربي وبقي دون وقاية وحماية لوحده في أرض لا يجد فيها الجندي غابة استوائية تحميه من العدو[1].

إن هذا الأمر يدفع مالك بن نبي إلى طرح تساؤل آخر وهو هل كان من صالح القيادة العربية أن تكتم السر؟ هنا يجيب مالك بن نبي عن هذا السؤال فهو يرى بأنه و مما لاشك فيه هو أن نية القيادة في الاحتفاظ بالسر كانت نية طيبة، لأنها لاتريد إزعاج الرأي العام، لكن هذا التقدير كان خاطئا إذ الواقع سيكشف السر حينها يتعرض الرأي العام لصدمة أكبر مما لو علموا من قياداته فعموما إذا نظرنا إلى القضية في خواتيمها نلاحظ بأن صحافتنا مافتئت تتحدث وسائل الإعلام على ضرورة الحذر واليقظة، فالوطن العربي تم فقده بنكسة عسكرية لا تنقص من ميزات أبنائه في القتال[2]، كما يعرفها الجميع، فهذه النكسة كشفت لنا عن بعض الجوانب النفسية التي كان لها ضلع في النكسة عام 1948.

فبالرغم من الخسارة التي لحقت بالعرب إلا أننا نستطيع القول حسب مالك بن نبي بأن العرب يجب عليهم تحقيق وحدتهم المقدسة التي شاهدناها في أولى أيام الحرب فإذا تمسكوا بهذه الوحدة سيحققون النصر في مجالات أخرى، فليس هناك مجال للشك يدفعنا إلى معرفة السبب الذي دفع بإسرائيل إلى الإلحاح والتصريح بأنها مستعدة للتفاهم مع كل حكومة عربية على حدة حتى تفرق العرب مرة أخرى،فعلى الرغم من أن الاستعمار لم يكسب من هذه القضية أي شيء إلا أننا نستطيع القول بأن إسرائيل قد تفطنت إلى أمر مهم وهو أن قوة العرب تكمن في وحدتهم وأخوتهم لذلك عمدت إلى شن العدوان واستهدفت من خلاله شل الجهود العربية

[1]. **مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص117.

[2]. **المصدر نفسه**، ص119.

التي تخدم الجانب الاجتماعي محاولة بذلك قطع وشل أي حركة يبنى على أساسها المجتمع العربي[1].

المطلب الثالث: موقفه من جمال عبد الناصر

يعد الرئيس المصري جمال عبد الناصر* من بين الرؤساء المصريين الذين أحدثوا جدلا واسعا في الأوساط العربية وذلك نضرا لسياسته وقراراته الحاسمة التي كان يتخذها، فلقد عرف عنه الحنكة السياسية ووقوفه في وجه الاستعمار الأوروبي[2]، هذه الشخصية التي كثر الحديث عنها في تلك الحقبة والتي تميزت بالعديد من الأحداث والتي كان طرفا فاعلا فيها، لقد كان جمال عبد الناصر من بين الرؤساء الذين كثرت الكتابة عنهم من طرف الباحثين المؤرخين والمتخصصين في التاريخ، وذكر اسمه في مذكرات القادة والرؤساء والقادة الذين كانت لهم علاقة وطيدة به، ومن بين الشخصيات التي تحدثت عنه نجد مالك بن نبي الذي كان على علاقة به، فكما أشرنا سابقا بأن مالك بن نبي قد سافر إلى مصر خلال فترة حكم جمال عبد

---

[1] **مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، المصدر السابق،** ص 120.

***جمال عبد الناصر:** ولد في 15 يناير1918 بقرية بني مر إحدى قرى الصعيد المصري من قرى مدينة أسيوط 1970، عاش في كنف أسرة من طبقة الزراعيين، تقلد العديد من المناصب في الدولة المصرية الحديثة حيث عين كضابط في الجيش ورئيس الوزراء(1954/ 1956) ثم رئيس مصر 1956/ 1970، وقاد ثورة الضباط الأحرار 1952 للإطاحة بالنظام الملكي، عرف عن عبد الناصر الكثير من الجدل في العالم العربي، نظرا لقراراته الكبرى، له العديد من الإنجازات للعالم العربي، أسس الوحدة السورية المصرية(1958/ 1961) قام ببناء السد العالي ودخل في حرب ضد إسرائيل، وكان من بين الداعمين للثورة الجزائرية.(للمزيد ينظر بثينة عبد الرحمن التكريتي، **جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، وقفية جمال عبد الناصر الثقافية، بيروت لبنان، 2000، ص 57)

[2]. بثينة عبد الرحمن التكريتي، **المرجع نفسه،** ص 57.

الناصر وبقي هناك إلى حين استقلال الجزائر، ومن هذا المنطلق سنحاول معرفة رأي مالك بن نبي في هذه الشخصية[1].

لقد مدح مالك رائد القومية العربية ونهضتها الرئيس جمال عبد الناصر في أكثر من موضع في كتبه فعده مثالا للفكر القومي، ومالك بن نبي يرى بأن جمال عبد الناصر قد عمل جاهدا لإنشاء نهضة عربية منطلقا في أساسها من صميم حياة العرب وتاريخهم آخذة معناها من الوسائل الفنية الضخمة إذ يقول مالك بن نبي في مدحه للفكر الناصري بأننا اليوم نتوقع بفضل ما يطرأ ويدور في المجتمع العربي الناشئ من نهضة جديدة تحقق مجتمعا أفضل[2]، وعلى ضوء هذه الكلمات نفهم ما عنى به جمال عبد الناصر في تصريحاته حيث قال: إن المجتمع يتطلب تنمية اقتصادية روحية.

فمالك بن نبي يرى بأن جمال عبد الناصر قد خطى بالنهضة العربية خطوات كبيرة وسار بها في الاتجاه الصحيح الذي يحقق شرط الانسجام مع القانون العام[3]، وهو الشرط الذي يخص وحدة المصير، لأن أي قضية تخص وحدة المصير والتي تمر بها الأمة العربية وبالتزامن مع الظروف التي تمر تدفعنا إلى ضرورة إخلال السلام وهو ما نادى به جمال عبد الناصر، والأحداث تكشف لنا تمسكه بهذا المبدأ ومن بين هذه الأحداث دعمه وتأييده للثورة الجزائرية[4]، فهي خير دليل على تمسكه بالوحدة العربية، فالتخطيطات التي قام بها جمال عبد الناصر في الجمهورية العربية المتحدة التي تقوم تحقيقا لانسجام النهضة العربية مع ما يتصل

---

[1]. حسن موسى، محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، قدمت هذه الرسالة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2005، ص 155.

[2].**المرجع نفسه**، ص155.

[3]. مالك بن نبي، **تأملات**، ط1، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق،، سوريا، 1979، ص 180.

[4]. **المصدر نفسه**، ص 181.

بالجانب الثاني من القانون العام، وهو مايتعلق بعوامل التسريع في التاريخ وسرعة التطور في العالم[1] ،ففكرة التخطيط والتنمية تلعب دوراً هاما حسب رأي مالك بن نبي في العالم الحديث،فالأمم الغربية لم تقم ولم تنمو إلا عن طريق التفكير والتخطيط المحكم وهذا ما حاول جمال عبد الناصر القيام به للنهوض بدولة مصر العربية الحديثة، فهو حاول أن ينشئ دولة ذات اقتصاد قوي فالفكرة تؤثر في الفرد من الجانب النفسي والاجتماعي فهي تشخص الهدف قبل تحقيقه، مما تدفع الفرد إلى بذل المجهود والتفاني في العمل من أجل إنجاحه،

إذن يمكننا أن نقول بأن النهضة العربية أخذت، تجاه الضرورات الخارجية، هذا الاتجاه الصحيح بفضل سياسة الحياد الإيجابي التي التزم بها جمال عبد الناصر، والتي أخذت تتجه اتجاها صحيحا، إزاء ضرورات الداخل بفضل المشروعات المخططة والتي أخذت طريقها إلى التنفيذ في الجمهورية العربية المتحدة، لكن ما يجب قوله هو أنه لتحقيق النهضة العربية يجب أن نتبع سياسة واضحة ومحددة، هذه السياسة تكون مناسبة إلى حد ما أن تحقق ضرورات الخارج، لأن مبدأ الحياد الإيجابي، لا يتوقف تنفيذه إلا على إرادة فولاذية، لا تحيد عن سياسة الحياد، ولاشك أن جمال عبد الناصر قد برهن على أنه لا يحيد مهما كانت الظروف، لقد أيد مالك بن نبي دعوة عبد الناصر إلى القومية العربية آملا منه أن يحقق الحضارة العربية، وتسريع إيجادها من خلال التخطيط المبني في نظر مالك بن نبي على معادلته الحضارية الإنسان والتراب والوقت، مبينا بأن المشروعات التي وضعتها مصر بقيادة جمال عبد الناصر ستحقق قفزة في تاريخ الأمة العربية[2].

لقد استطاع جمال عبد الناصر أن يغير نظرة الشعب المصري إلى الأرض وذلك من خلال ما أحدثه من ثورة في الإصلاح الزراعي التي غيرت حالة الفلاح المصري فبعد أن كان

[1]. مالك بن نبي، **تأملات، المصدر السابق**، ص181.

[2]. محمد حسن العقبي، **المرجع السابق**، ص155.

منبوذ مسترق في أرضه حيث أصبح عاملا مرتبط بالأرض وأصبح منتج ومستهلك، إن هذا التحول الاقتصادي الذي طرأ على مصر كان بمثابة الخطوة الأولى في طريق التصنيع[1].

إن مالك بن نبي قد مجد السياسة الاقتصادية لمصر في عهد جمال عبد الناصر من خلال تطورها نحو الاشتراكية القومية في الداخل والاشتراكية الدولية في الخارج، بحيث تحتفظان باستقلال كلي فهذه الحلول لا تستتبع أي اتجاه مذهبي[2].

إن المسئوليات الملقاة على عاتق الزعماء والقادة تعد من أخطر المهام، فكثيرا ما تصادفهم عقبات ومغريات، وهو ما يجب أن ينتبهوا له والحذر منه لأن الشعوب العربية وغيرها لم تتحرر بعد من طرق التفكير والعمل التي كانت تسير عليها الأفراد خلال حقبة الاستعمار وعصر الثورة[3]، فأي بناء لنجاحه يجب أن تبعد عنه الأخطار التي تدور حوله ولئن كانت العقبات التي تتحكم في النشاط ثوري أن ينتصر عليها ضخمة وتستلزم أشرف التضحيات وأطهر البطولات فإن إغراء الفكر الثوري كبير لكي يتخذ طريق السهولة وهذا هو أخطر إغراء قد يتعرض له الزعماء والقادة، لهذا يجب على القادة أن يلعبوا بمفتاح تطبيق الواجب منذ البداية، إن السياسة التنموية التي اتبعها جمال عبد الناصر التي هدفت إلى تنمية الاقتصاد الموحد وتزدهر شيئا فشيئا، فهذه التحسينات تفيد في مجال التعاون الاقتصادي الإقليمي[4]، فالقومية الاقتصادية كالقومية السياسية، تتأثر بالحقائق الراهنة، لأن الاقتصاد يتطور نحو الاشتراكية القومية في الداخل والاشتراكية الدولية في الخارج، فهاتين المشكلتين تحتفظان

---

[1]. مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ط 3، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2001، ص 28، 29.

[2]. محمد حسن العقبي، **المرجع السابق**، ص 155.

[3]. مالك بن نبي، **فكرة الأفريقية الآسيوية، في ضوء، مؤتمر باندونغ**، تر: عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001، ص 110.

[4]. **المصدر نفسه**، ص111.

باستقلال كلي إزاء السياسة وأيا ما كانت الحلول التي نرى لهما، فإن هذه الحلول لا تستتبع بالضرورة أي اتجاه مذهبي[1].

المطلب الرابع: موقفه من الديمقراطية.

إن من أبرز ما لحق الحياة العربية والإسلامية منذ ما اصطلح على تسميته بعصر النهضة، هو فشل معظم التجارب التنموية، سواء كان ذلك في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي، ولعل من أهم أسباب ذلك الفشل، هو طريقة تعامل العقل العربي مع مشاريع التنمية، حيث اكتفى بمجرد النقل الآلي لما اكتشفه عند الآخر، ذلك الذي مثل بقوته وغلبته قمة الإدهاش والإبهار للعقل العربي الذي كان يعيش مرحلة ما بعد سقوط حضارته، فالعالم الغربي سعى جاهدا على غرس الأفكار وزرعها في الوطن العربي، والديمقراطية كمصطلح غربي، كان لها النصيب الوافر في الوطن العربي فمالك بن نبي كان من بين الشخصيات الذين كان لهم رأي في هذا الموضوع[2].

لقد استهل مالك بن نبي حديثه عن الديمقراطية في قوله أنه قد ورثناها مثل باقي الدول التي خضعت للدول الاستعمارية، واحتكت بثقافتها وحضارتها في إطار الاستعمار، لقد ورثنا هذا الاتصال بحكم القانون الذي يفرض على المغلوب عادات وتقاليد الغالب، فنحن ورثنا المقاييس المرتبطة بحياة العالم الغربي، فهذا الموروث أثر على تفكيرنا فأصبحنا نتناول في كتاباتنا وفي حديثنا موضوعات جديدة مثل موضوع الديمقراطية في الإسلام[3]، ويواصل مالك بن نبي حديثه عن الديمقراطية حيث يقول بأننا سلمنا بها خضوعا لمسايرة العرف الذي فرضته علينا الحضارة الغربية، والديمقراطية التي أجبرنا على إضافتها وتقبلها في الحضارة الإسلامية،

---

[1]. مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ص29.

[2]. عبد الوهاب بو خلخال، **قراءة في فكر مالك بن نبي**، ط1، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 152، الدوحة، قطر، 2012، ص 49.

[3]. مالك بن نبي، **تأملات،المصدر السابق**،ص65.

مجبرين غير راضين بها، إن هذه الثقافة الدخيلة على المجتمع العربي تدفعنا إلى التساؤل حول هذا الموضوع من خلال السؤال التالي: ما هي العلاقة بين الإسلام والديمقراطية؟ هنا يجيب مالك بن نبي عن سؤاله هذا من خلال إعطائه مفهوما للإسلام والديمقراطية[1].

يعرف مالك بن نبي كلمة الإسلام في اللغة العربية ويمعناها الدارج، إنها لاشك بأنها من ابتكار القرآن الكريم، أما مصطلح الديمقراطية فيقول مالك بن نبي بأننا لا نعرف متى درج هذا المصطلح في قواميس اللغة العربية بوصفها مفردة مستوردة ولا نعرف تاريخ حدوثه في لغته الأصلية فكل ما نعرفه عنه بأنه صيغ في اللغة اليونانية أي منذ خمسة قرون قبل الميلاد[2].

إذا فمما فهمناه من التعريف فإنه ليس هناك علاقة بين المصطلحين، فالصلة التي بينهما مفقودة بالنسبة إلى الزمان والمكان وهو ما يتضح من خلال قوله(نظرا لهذا التباعد من حيث التاريخ ومن حيث الجغرافية نستنتج بأنه ليس هناك ديمقراطية في الإسلام) إن هذا التباين والاختلاف الموجود بين المصطلحين يدفعنا إلى رفع اللبس عنهما، فكلا المصطلحان يحتويان على مضمون ثري فحتى تتيسر لنا الموازنة بين المصطلحين يجب ضبطهما جيدا، فإذا كانت الديمقراطية تعني سلطة الشعب أو بتعبير أدق سلطة الإنسان، فإن معنى الإسلام وكما ورد في الأحاديث الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قال(الإسلام هو أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان)[3]، إذن فبعد هذا التعريف نستنتج بأن هذان المصطلحان مختلفان ولكل مصطلح مكانه وبيئته الخاصة التي نشأ بها وهو ما يتوجب علينا حسن استخدامها لأنه إذا لم نحسن ذلك سيؤدي بنا إلى الخروج عن المفهوم الصحيح لهما وقد يترتب علينا انهزاما فكريا، يجعلنا نخرج عن المألوف ويدخلنا في إيديولوجيات خاصة تدخلنا في

[1]. مالك بن نبي، **تأملات، المصدر السابق**، ص 66.

[2].**المصدر نفسه**، ص65 .

[3]. **المصدر نفسه**،ص67 .

ثورات، باسم الحرية[1]، أما بخصوص الديمقراطية من الواجهة الاجتماعية بشقيها الذاتي والموضوعي، موضحا ذلك من خلال تقسيمها إلى ثلاثة شروط وهي:

1/ الديمقراطية كشعور نحو الأنا

2/ الديمقراطية كشعور نحو الآخرين

3/ الديمقراطية كمجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية لحل الأزمة التكوين وتنمية الشعور في الفرد.

إن هذه النقاط الثلاثة وحسب مالك بن نبي تتضمن بالفعل مقتضيات الديمقراطية الذاتية والموضوعية، أي كل الاستعدادات النفسية التي يقوم عليها الشعور الديمقراطي والعدة التي يستند عليها النظام الديمقراطي في المجتمع، فلا يمكن أن تتحقق الديمقراطية واقعا سياسيا إن لم تكن شروطها متوافرة في بناء الشخصية وفي العادات والتقاليد القائمة في البلاد، فالقانون العام بالنسبة إلى هذا الشعور هو نتيجة لاطراد اجتماعي معين، فهو بالمصطلح النفسي[2]، هو الحد الوسط بين طرفين كل واحد منهما يمثل نقيضا للآخر، النقيض المعبر عن نفسية العبد وشعور العبد المسكين من ناحية والنقيض المعبر عن نفسية المستعبد المستبد من ناحية أخرى، فالإنسان الحر أي الإنسان الجديد الذي تتمثل فيه قيم الديمقراطية، والتزاماتها، هو الحد الإيجابي بين نافيتين، تنفي كل واحدة منهما، هذه القيم وتلك الالتزامات: نافية العبودية، ونافية الاستعباد، إذا كان المقياس العام للحرية هو المقياس الذي كان يقاس بها كون المبدأ الديمقراطي، إذا فالديمقراطية ليست كما نفهمها فهما سطحيا عندما نتناول معناها الدارج، أي في حدود اشتقاق المفردة، ليست مجرد عملية تسليم سلطات إلى الجماهير وإلى شعب يصرح بسيادته نص خاص في الدستور، كما يرى مالك بن نبي بل هي عملية تسليم سلطات تقع بين

[1]. محمد حسن العقبي، **المرجع السابق**، ص121.

[2]. عبد الوهاب بوخلخال، **المرجع السابق**، ص50.

طرفين معينين بين ملك وشعب مثلا، فهي تشكل الأسس التي يقوم عليها الضمير الشعبي لأي بلد قبل أن ينص عليها الدستور[1]، وبعض النخب الساعية للحكم، والمتمثلة في أحزاب المعارضة التي لازالت ترى الشعب أيضا قاصرا، غير عارف بمصلحته، فهي لا تنظر إليه باعتباره صوتا انتخابيا، وأنه واع بأنه صوت لصالحها، وإن اختار غيرها يكون دون المستوى، إذا فأساس أي بناء ديمقراطي هو أن يتغلب على الحواجز والمعوقات التي تقف في طريق الديمقراطية والتي يكون أساسها الجانب النفسي[2].

فهذا الأساس هو الذي يعيد للإنسان إحساسه بإنسانيته والتي تدفعه إلى الدفاع عن حقه في الحياة كإنسان حر مكرم، فإذا لم نصل إلى هذا المستوى فإننا لن نستطيع القول بأننا مجتمع ديمقراطي، إذن فهل نستطيع بأن نقول بأن الشعوب العربية وصلت إلى الديمقراطية الحقة فالجواب سيكون لا والأمثلة والشواهد التاريخية كثيرة مثلما ذكرنا سابقا ما حدث في اليمن ومصر والعراق كلها ثورات جاءت بأنظمة متعفنة أكثر مما كانت عليه ولا يقتصر الحديث عن هؤلاء فقط بل جميع الدول العربية لم تصل لحد الآن إلى الديمقراطية المرجوة[3]، إن حديثنا عن الديمقراطية يقودنا إلى الحديث عن الحقوق والواجبات، فالفرد يميل بطبيعته إلى نيل حقوقه، وقد يتثاقل عن القيام بواجبه والأمة التي تصاب بمرض السهولة تصبح تطالب بالحقوق وتنسى الواجبات، وهذا هو منشأ سياسة الدجل التي يمارسها الزعماء الذين يتقنون خداع الشعب بشعارات براقة، فالمطالبة بالحقوق إغراء شديد يجذب لها الانتفاعيين فقط[4]، بينما كلمة الحق تفرق وتمزق، وهكذا ما خرجت دولة من العالم الثالث من ربقة الاستعمار إلا وتناحرت أحزابه على المطالبة بحق اقتسام الغنائم بدلا من أن يتكلموا في الواجبات،فهذا المرض ما يزال مسيطرا على العقول، فكثيرا ما نسمع عن قرية أو حي طالبو بفتح طريق، أو تنظيف شارع،

---

[1]. عبد الوهاب بوخلخال،**المرجع السابق**، ص51.

[2]. مالك بن نبي، **تأملات**،**المصدر السابق**، ص68.

[3].**المصدر نفسه**، ص67.

[4]. محمد العبدة، **المرجع السابق**، ص94.

بدل من أن يتعاونوا لإنجاز هذا العمل بأنفسهم، فالخلاصة التي نخرج بها هو أنه لتحقيق الديمقراطية هو أن يعرف كل فرد طريقة حصوله على حقوقه وكيفية تطبيق واجباته، فكل بناء ديمقراطي مشروط بتطبيق كل فرد لواجباته حتى يحصل على حقوقه، إذا تم تطبيق هذا سنتمكن من الحصول على الحرية الصحيحة المبنية على الديمقراطية التي تقوم بإحداث التغيير في قيمة الإنسان في حد ذاته[1]، إن الديمقراطية لم تخلص الإنسان من سلطته على نفسه ومن سلطة الآخرين عليه: إن الإنسان بشعوره بذلك التكريم يدرك حقيقة وظيفته الكونية، فلا يكون فقط مستهلكا لمجموعة من الحقوق والضمانات وإنما يصبح منتهجا لها يهدف إلى تحقيق رسالة كلفه الله بها رسالة الخلافة[2].

إن المسلم بهذا التصور يملك مضادا حيويا لكل نزعة منافية لمبدأ الشعور، بالآخرين، فهو يعي إنسانية أخيه الإنسان سواءا أكان مسلما، أو يهوديا أو نصرانيا، لأن الشبكة السوسيو نفسية التي ينسجها القرآن الكريم إنسانية، قبل أن تكون إسلامية بالمعنى التخصصي، مبنية على الحوار والمجادلة[3]، فهذا العمل الذي نعقد فيه حوارا هادئا مع الآخر يبعدنا شيئا فشيئا عن سلطة النفي والرفض التي أصبحت سائدة وللأسف الشديد في عالمنا العربي بين مختلف التيارات وهو أي _ الحوار_ الذي يمكننا من إبراز حقيقة الحرية الإسلامية المبنية على الوحي عكس المشروع الديمقراطي الغربي الذي تأسس على مبدأ أن يبقى الإنسان حبيس فكرة صنعها هو ولو جددها أحيانا ولذلك نجد بأن الديمقراطية بشتى أنواعها، سواءا أكانت غربية أو شرقية، وبالرغم مما حققته للإنسان الجديد، من حقوق لم تخلصه من سلطته على نفسه، ومن سلطة الآخرين عليه بطرق مباشرة[4]، فالإنسان باسم الحرية يمكنه أن يصيب نفسه بالأذى ويمكن أن

---

[1]. محمد العبدة،**المرجع السابق**، ص95.

[2]. **المرجع نفسه**، ص95.

[3]. فضيل بومالة، **مفهوم الديمقراطية في فكر مالك بن نبي، مجلة الملك فيصل، العدد 196**، 1985، ص،26

[4]. **المرجع نفسه**، ص27.

يخضع أيضا لسلطات تقهره وتلغيه كسلطة الدعاية والإشهار، أما القرآن الكريم فقد حرره ولكنه رسم له منهجا يجعله لا يحيد عن مساره الفطري[1].

مما نلاحظه بأن مالك بن نبي، قد دافع عن الديمقراطية الاجتماعية، على عكس الديمقراطية السياسية، لأنه في رأيه هو أن الديمقراطية الاجتماعية، هي من تولد الإحساس بالمسؤولية، وتجعل الفرد في المجموعة، مما تسهل طبيعة التعامل بينهم، وإذا تحقق هذا التعامل والتكاتف فيما بينهم فإنه بالضرورة سيحقق الديمقراطية الحقة، أما بالنسبة للديمقراطية السياسية فهي بالنسبة له لا تخدم الفرد بقدر ما تخدم المصلحة الشخصية، فالديمقراطية السياسية بالنسبة لمالك بن نبي لا تولد سوى الصراعات والأنانية الفردية[2].

الخلاصة

بعد دراستنا لهذا الفصل نستنتج بأن مالك بن نبي قد حاول تسليط الضوء على المشهد السياسي الذي كان سائدا في الوطن العربي حيث يرى بأن الاستعمار الفرنسي قد حاول قتل روح الحركات التحررية في كل من تونس فقامت باغتيال الهادي شاكر من أجل تخويف الشعب التونسي والقضاء على روح المقاومة وزرع الرعب فيه، وكل هذا هو يعد وسيلة من وسائل الاستعمار التي يستخدمها من أجل إخضاع الشعب لها ومنعه من المطالبة بحقوقه، وهو ما حدث في المغرب كذلك، أما في الجزائر فالحركة الوطنية قد غلب عليها الطابع السياسي وظهور العديد من الأحزاب السياسية، هاته الأحزاب هي التي زادت في تأزم الوضع وتأخر الثورة الجزائرية لذلك الوقت لأنه غلب عليها الطموح الشخصي، أما الثورة فإن مالك بن نبي يرى بأنها قد حادت عن مبادئها التي اندلعت عليها، أما عن القضية الفلسطينية فمالك بن نبي

[1]. فضيل بومالة، **المرجع السابق**، ص 27

[2]. Dilmi Zoheir **, Malek ben nabi (1905_ 1973)et les conditions d une nouvelle, renaisse de la soucite arabo musulmane** , université , de Montréal, faculté de theouagie, et de siences des rligions,Mémoire parenté a la faculté des études supérieures En vue de 1obention, du garde de Maitrise(MA),es, sciences des religions, Décembre,2013,p40

يرى بأنها هي قضية حق يجب على الجميع الالتفاف حولها من أجل استرجاع الحق المسلوب، ولأنها هي من المقدسات الدينية، أما جمال عبد الناصر فيرى مالك بن نبي بأنه مثالا للوحدة العربية ورمز من رموز القومية فهو يعد بالنسبة من بين الشخصيات الفاعلة في المجتمع والتي تستطيع أن تقوم بالمجتمعات وتطورها، وعن الديمقراطية يرى مالك بن نبي بأنها لن تتحقق إلا إذا قام كل فرد بتطبيق واجباته مما يسهل عليه أخذ حقوقه.

الفصل الثاني:

المسألة الاجتماعية والاقتصادية عند مالك بن نبي

تمهيـــد

تعد فترة القرن العشرين من بين الفترات التي شهد فيها العالم العربي، نوع من النهضة الفكرية التي ترجمت على أرض الواقع، من خلال العديد من الإصلاحات شملت مختلف الجوانب الاجتماعية وكل ما يخص الفرد العربي من مشرقه ومغربه، ويعود سبب ظهور هذه الحركات إلى ما تركه الاحتلال من انحلال أخلاقي واجتماعي مس البنية الاجتماعية للوطن العربي فظهرت في مصر حركة الأفغاني ومحمد عبده، وحركة الإّخوان المسلمين، أما في شبه الجزيرة العربية فنجد الحركة الوهابية، وفي المغرب نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فنلاحظ أن هاته الحركات قد سعت لإصلاح ما أدخله المستعمر من فساد اجتماعي مع اختلاف الطرق والوسائل الإصلاحية، ومن هنا نرى أن مالك بن نبي قد وقف موقفا خاصا عند كل حركة سواءا من الطريقة أو من شيوخها، فنحن من خلال هذا الفصل سنحاول معرفة النقائص التي وجدها مالك بن نبي وكيف حاول تصويبها.

وسنتطرق في هذا الفصل للحديث أيضا عن الوضع الاقتصادي في الوطن العربي، وما يعاني منه من تخلف الذي أدى إلى تبعية للغرب فحاول مالك بن نبي من خلال هذا الطرح تقديم الحلول اللازمة من أجل النهوض بالاقتصاد في الوطن العربي، فيا ترى ما هو موقف مالك بن نبي من هاتين المسألتين وكيف عالجهما مالك بن نبي؟

المبحث الأول: موقفه من الحركات الإصلاحية في الوطن العربي

المطلب الأول: الحركة الوهابية

لقد عرف عن الحركة الوهابية بأنها حركة إسلامية قامت في شبه الجزيرة العربية، على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب* وأمير الدرعية الشيخ آل سعود[1]*، فهذه الحركة كانت تهدف إلى الرجوع بالإسلام إلى جوهره الطبيعي وإتباع منهج السلف الصالح في القرآن والسنة، ويعود سبب ظهورها إلى العادات والممارسات التعبدية التي ظهرت في بلاد الشام[2] والتي تراها الوهابية مخالفة لجوهر الدين الإسلامي[3]، ولقد كان لهذه الدعوة صدا وانتشارا واسعا من قبل المسلمين والعرب، وتعتبر هذه الحركة من أقوى الحركات التي شهدها الوطن العربي خلال فترة التاريخ المعاصر والتي أسالت حبر العديد من المؤرخين فمنهم من عارض هذه الدعوة ومنهم من أيدها ومن بين المؤيدين لهذه الحركة نجد مالك بن نبي[4].

لقد كان مالك بن نبي يرى في هذه الحركة الوهابية بمثابة المنقذ للعالم الإسلامي، حيث كانت تمثل هذه الحركة في نظره صورة الإصلاح في الجزائر، ويرجع مالك بن نبي سبب ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية بأنها قد تأثرت بما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب من إصلاحات في الحجاز[5].

---

[1]. السيد أبو العلى التقوى، **الفرقة الوهابية في خدمة من؟**، دط، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، دس ن، ص23.

*محمد عبد الوهاب: ولد سنة 1703 في قرية العيينة في وادي حنيفة وتلقى تعليمه الديني المبكر عن والده الشيخ عبد الوهاب قاضي القرية الذي كان يتبع المذهب الحنبلي فنشأ محمد عليه، وبعد ما بلغ العشرين ارتحل من نجد طلبا للعلم فذهب إلى الأحساء ثم إلى البصرة، تقوم عقيدته على 4 أمور من بينها توحيد الألوهية والربوبية، قام محمد بن عبد لوهاب بتأسيس الحركة الوهابية، و ذلك بمساعدة أمير الدرعية الشيخ بن سعود.(للمزيد ينظر السيد أبو العلى التقوى، **المرجع السابق**، ص 23).

[3]. **المرجع نفسه** ص24.

[4]. **المرجع نفسه**، ص25.

[5]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص41.

لقد اتخذ مالك بن نبي موقفا مضادا للطرقية المنحرفة عن الشريعة منذ أن كان تلميذا في حلقة الشيخ عبد المجيد بمسجد تبسة، ويظهر أن مالك بن نبي قد مال إلى الوهابية في بداية، شبابه، ثم تحول بعد ذلك إلى الإصلاح عندما رأى في الحركة الإصلاحية الجزائرية نسخة محلية للوهابية، وليس هناك ما يدل على فهم بن نبي للفكرة الوهابية بكل تفاصيلها، فميله لها كان عاطفيا وحماسيا آنذاك بسبب عدائها للمرابطين والطرقيين آنذاك، فلقد بلغ حماسه لها لدرجة ظن أنها بمثابة المنقذ للإسلام من الانهيار[1].

فمالك بن نبي اعتبر الحركة الوهابية أساسا في الإصلاح الذي سيحرر العالم الإسلامي مما يعانيه من فساد،فالوهابية بما جاءت فيه من تركيز على ما يربطها بالماديات أمنت دفعا ثوريا ترك بصماته على كل دعاة الإصلاح بعدها وهذا الدفع لا ينتقص من قيمة تشددها في بعض الجوانب الشرعية، وأحكام بعض المواقف المتطرفة لبعض أتباعها مما أوصل بعض تصرفاتهم إلى حد المغالاة[2].

لكن ما يمكن قوله بأن الحركة الوهابية لم تكن كما صورها خصومه بأنها دعوة دينية من حيث أنها حملت لواء التوحيد، بل كانت دعوة إسلامية كاملة فهي تمثل رمز المقاومة والمواجهة للاستعمار الغربي ، لذلك نجد الاستعمار محاولا أن يؤدي هذه الحركة بكل الطرق، لقد تأثر دعاة السلفية بهذه الحركة في العراق ومصر والشام والمغرب جميعا، فالميزة التي تمتعت بها هاته الحركة هي فهم الإسلام فهما متكاملا قائما على أنه دين ونظام مجتمع ومنهج حياة[3]، ومن هذا المنطلق نجد مالك بن نبي يدعونا إلى التعرف على الوهابية والتمسك بها في وسط الطلبة والمثقفين المسلمين بباريس وحاول أن يقنعهم أنها الفكرة الإسلامية الوحيدة التي

---

[1]. فوزية بريون، **مالك بن نبي عصره ونظريته في الحضارة**، دط،دار الفكر، دمشق، سوريا، 2010، ص55.

[2]. أسعد السحمراني، **المرجع السابق**، ص42.

[3]. مولودعويمر، **المرجع السابق**، ص42.

تصلح بما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ عهد ما بعد خلافة بغداد[1].

لقد كان بن نبي يؤمن بقناعة بأن الإمام محمد بن عبد الوهاب هو مجدد القرن الثاني عشر هجري والوريث الشرعي للإمام ابن تيمية الذي حارب البدع وأحيى رسالة الإسلام بعد أن ضعف أثر الدين على العباد[2].

المطلب الثاني: حركة جمال الدين الأفغاني

يعتبر جمال الدين الأفغاني* من بين الشخصيات الإصلاحية التي استقرت في مصر والتي بدأت فيه أخصب سنوات حياته الفكرية والنضالية، وامتازت فترة مقامه بها(1871/ 1879) بالعطاء الغني والإثمار الأصيل والعميق، فلقد احتل فيها موقع الهجوم ضد خصوم الثورة والتجديد الديني والتحرر العقلي[3]، ولم يكن بها كما كان بأغلب البلاد التي عاش فيها، في موقع الدفاع، يجاهد لصد الهجمات ضد الخصوم على دعوته والإفلات من مكائد الأعداء المتربصين بنهجه الثوري في كل ميدان وفي مصر فكونَ وقاد أول أحزاب الشرق

---

[1]. أنور الجندي، **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، ط2، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، 1983، ص ص 254، 255.

[2]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 42 .

*. جمال الدين الأفغاني: هو محمد جمال الدين بن صفتر بن علي بن مير رضي الدين محمد الحسيني، شيخ الإسلام ، ولد ببلدة أسعد أباد في خطة كنر في كابل في سنة 1838، تعلم في منزل والده في تنظيم تعليمه بإشرافه وظل يتعلم هناك حتى بلغ العاشرة من عمره، عرف عنه حب الرحلات والسفر، حيث زار العديد من البلدان إلى أن استقر في مصر وهناك كانت أخصب سنوات حياته الفكرية والنضالية وامتازت فترة مقامه بها بالعطاء الغني والإثمار الأصيل والعميق، واحتل فيها موقع الهجوم ضد خصوم الثورة والتجديد كما كان بأغلب البلاد التي عاش فيها في موقع الدفاع ، يجاهد لصد هجمات الخصوم على دعوته والإفلات من مكائد الأعداء، وهناك التقى بمحمد عبده وأسس معه مجلة العروة الوثقى، توفي الأفغاني يوم 9 مارس 1897، (للمزيد ينظر محمد عمارة، **جمال الدين الأفغاني فيلسوف وموقظ الإسلام**، ط2، دار الشروق، مؤسسة جميع، القاهرة، مصر، 1988، ص ص 54).

[3].**المرجع نفسه**، ص 54.

الوطنية(الحزب الوطني الحر السري) الذي رفع شعار مصر للمصريين وعمل الديمقراطية السياسية، والتحرر من استبداد الحكم الفردي والنفوذ الأجنبي[1]، فجمال الدين الأفغاني يرى بأنه لكي يتم تحقيق الإصلاح يجب إتباع مجموعة من الآراء والأفكار والتي تمثل أساس المشروع الإصلاحي والذي يقوم على أربعة أركان وهي: الالتزام بمبادئ الإسلام، والاقتداء بسلف الأمة والثاني هو تحرير الأمة من الاستبداد الداخلي والخارجي، والثالث هو توحيد الأمة في جامعة إسلامية، والرابع هو الأخذ بأسباب القوة من العلوم والنظم الغربية.

فلقد برز الطابع السياسي لنشاط الأفغاني، وأدرك دور التنظيم وأهميته في حركة الإصلاح والتغيير وكانت الحركة الماسونية، في ذلك الوقت ذات سمعة حسنة إلى حد كبير، إن الأفغاني يعتبر من بين الشخصيات التي أسالت حبر العديد من الكتاب والمؤرخين ومن بين الذين تكلموا عن هذه الشخصية، لكن قبل طرح رأي مالك بن نبي في حركته الإصلاحية كان لابد لنا من أن نشير أولا إلى رأيه في هذه الشخصية[2].

يرى مالك بن نبي بأن جمال الدين الأفغاني هو رجل فطرة وهو فاتحة عهد في العالم الإسلامي الحديث، حيث أنه إعتبره الضمير الذي يعكس واقع العالم الإسلامي، وهو الرجل الصادق والحكم الصارم على مجتمع انتهى أمره في هدوء إلى الانحلال فهو قائد وفيلسوف الحركة الإصلاحية الحديثة حين حمل ما حمل من القلق ونقله معه أينما حل، فلقد أدرك بصادق فطنته ما أصاب مجتمعه من عفونة وفساد ولذلك سعى إلى إصلاح مجتمعه[3].

أما عن موقفه من الحركة في حد ذاتها فإن مالك بن نبي يرى بأن جمال الدين الأفغاني قد أخطأ في تشخيصه لمشكلة العالم الإسلامي لأنه رآها من منظوره هو كرجل سياسة لذلك

---

[1]. محمد عمارة، **المرجع السابق**، ص57.

[2]. **المرجع نفسه**، ص58.

[3]. مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ط2، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق سوريا، 1961، ص 43.

سعى لحلها من المنظور السياسي فبقي يرى المشكلة بأنها سياسة وتحل بوسائل سياسية، فمالك بن نبي يرى أنه من أعراض المرض في العالم الإسلامي والعربي هو المجتمع[1]، وليست السياسة هي جوهر هذا المرض، لذلك اجتهد الأفغاني في إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي من خلال تنظيم جموع الشعب وإصلاح القوانين دون أن يقصد إصلاح الإنسان لنفسه بدلا من محاولة البحث عن العوامل الداخلية التي أصابت العالم الإسلامي بالفساد والظلم والذل والهوان متجها إلى محاولة تغيير النظم والقوانين المحيطة بالإنسان[2].

أما عن الثورة فبالنسبة لمالك بن نبي هي التي تخلق قيما اجتماعية جديدة صالحة لتغيير الإنسان وهو ما لم يفعله جمال الدين الأفغاني حين أخطأ في تشخيص دوافع الثورة الإسلامية وما تخلفه من آثار خلاقة[3]، إن مالك بن نبي يرى بأن النزعة الثورية الجمالية(جمال الدين الأفغاني) قد جاءت على أساس الشعور بالغرب، فهي تؤكد بطريقة هذا الرأي، لأن اللغة التي استخدمها جمال الدين الأفغاني للتغيير هو أن نستورد سلاح مثلا من مصانع الأعداء والخصوم، كي نقلب عليهم الوضع، وهذه هي خرافة المسجون الذي ينتظر من ساجنه مفاتيح السجن على حد تعبير مالك بن نبي[4].

ولنجاح الثورة حسب رأي مالك بن نبي فإنه يجب التفريق بين مصطلحي المؤاخاة والأخوة فالمصطلح الأول والذي يقوم على أساس المؤاخاة بين المسلمين مثلما حدث مع المجتمع الإسلامي في بداية قيامه حينما تم التآخي بين المهاجرين والأنصار، أما إذا قلنا كلمة الأخوة أو المصطلح الثاني أو الأخوة الإسلامية فإنها تفقد معناها الحقيقي فهي بالنسبة لمالك

---

[1]. محمد حسن العقبي، **المرجع السابق**، ص 163

[2]. **المرجع نفسه**، ص 163

[3]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ط1، تر: عبد الصبور شاهين بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق سوريا، 1976، ص 49

[4]. **أشغال أول ملتقى للفكر الإسلامي بثانوية عمارة رشيد، بالجزائر العاصمة، مابين 24 ديسمبر إلى 1 جانفي 1968، بمبادرة مالك بن نبي تحت عنوان(معنى الحضارة)**، متوفر على الرابط التالي: http://www.youtube.com

بن نبي هي معنى مجرد أو شعور تحجر في نطاق الأدبيات القديمة، ومن هنا يقول مالك بن نبي بأن جمال الدين الأفغاني هو باعث النهضة، ولكنه لم يكن مصلحا بمعنى الكلمة[1]، لقد حاولت نظرية جمال الدين الأفغاني حسب رأي مالك بن نبي أن تحقق هدفين هما الأخوة الإسلامية، ومكافحة المذهب الطبيعي الذي كان كما يعتقد الأفغاني، بأنه كامنا في التيار الثاني المتأثر بأوروبا بسطحية لا تفي بالإقلاع، وقد تجلى هذا الموقف الذي تجلى في تعاليم أحمد خان ، هذا الموقف الشبيه بنشوء الجامعة المصرية، فبن نبي يرى بأن جمال الدين الأفغاني كان رائدا حين جهد في إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي[2]، أي ذلك الإنسان الذي وقع في فوضى عصر ما بعد الموحدين*، فعطل مفهوم الثورة الذي يبلور قيما اجتماعية صالحة للتغيير، وبالرغم من مساحة تأثير جمال الدين وحضوره السياسي فإن إنسان مابعد الموحدين لم يقلع شراعه[3].

لقد لاحظ مالك بن نبي بأن الأفغاني ركز على هدف الإصلاح السياسي، وعلى الرغم من أن بن نبي في اتجاهه الفكري العام يميل إلى التركيز على القاعدة الاجتماعية لمشكلة الحضارة الإسلامية إلا أنه يقبل بإمكانية التأثير العكسي للمستوى السياسي على شرط أن يقوم بالتغيير السياسي على أساس يمكنه من أن يكون ذا أثر خلاق، ما هو هذا الأساس؟ إنه بلا شك المؤاخاة[4].

---

[1]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي،المصدر السابق**ص52.

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص525.

* **إن مصطلح ما بعد الموحدين** الذي تفرد به بن نبي هو تعبير عن تحول في مسار دورة الحضارة وخروجها من تاريخها، ومعيار هذا الخروج قابلية مساحتها للسيطرة الاستعمارية الأجنبية، وهذا ما تعبر عنه المراحل الثلاث لكل حضارة، ما قبل الحضارة، الحضرة و ما بعد الحضارة، فالمؤرخون عادة ما يهتمون بمرحلة عند المنعطف الأخير حين تفقد الحضارة إيقاعها فتدخل في غار تاريخها أي ما بعد الحضارة.

[3]. **المرجع نفسه**، ص 525،526.

[4]. محمد شاويش، **مالك بن نبي والوضع الراهن**، ط1، دار الفكر دمشق، سوريا، 2007، ص 57

لقد أدرك جمال الدين الأفغاني بصادق فطنته ما أصاب مجتمعه من عفونة وفساد فاعتقد أنه بدلا من أن ينصرف إلى دراسة العوامل الداخلية التي أدت إلى هذا الوضع فنعتقد بأنه يستطيع أن يقضي عليها بالقضاء على ما يحيط به من نظم وقوانين[1].

لقد كانت النقطة الجوهرية التي أثارها بن نبي في تقويمه لمشروع الأفغاني هي رؤية لمنهجية التغيير التي تمحورت حول ضرورة إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي، حيث يرى الأفغاني أن إصلاح الأمة الإسلامية يمر حتما عبر إزالة النظم السياسية البالية والقوانين الجائرة التي وقفت حجر عثرة في وجه النهوض بالمجتمع[2].

يرى مالك بن نبي بأن منهاج الإصلاح الذي اتبعه الأفغاني لن ينجح إلا إذا قام على أساس إصلاح الإنسان الذي صاغه عصر ما بعد الموحدين، وكذا دراسة العلل المميتة الداخلية التي يعاني منها الإنسان العربي[3]، فالأفغاني حسب مالك بن نبي لم يكن مفكرا متعمقا في العلل الخفية للمشكلات لإيجاد دواء ناجح لها بسبب مزاجه الحاد الذي لم يسمح له بذلك، بل منعه من النظر المنهجي المخطط للمأساة الإسلامية، وهو بذلك لم يقدم للعرب والمسلمين مشروعا ثوريا متكاملا إلا أن قيمته الأساسية كانت في تلك الروحية المتطلعة إلى التغيير، والتي نجح في غرس بذورها مشرقا ومغربا، فكانت لها الريادة في مجال الإصلاح[4].

إن الأفغاني حسب مالك بن نبي لم يقتصر دوره على الإيقاظ والتحريك على أهمية هذا الأمر ومشقة مسؤولية القيام به، فعمله كان آلة التحريك والاستنهاض أولا، وثانيا وضع اللبنات الأولى للمشروع المستقبلي، التي شكلت الإرهاصات المبكرة للمشروعات والبرامج السياسية التي

---

[1]. أسعد السحمراني، **المرجع السابق**، ص 115.

[2]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص 110.

[3]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص58.

[4]. أسعد السحمراني، **المرجع السابق**، ص115.

وضعها تلامذته، أو من أتى بعد عصره من المتحدثين في هذه الموضوعات على اختلاف اجتهاداتهم[1].

المطلب الثالث: موقفه من حركة محمد عبده

يعتبر الشيخ محمد عبده* أحد أهم مفكري القرن التاسع عشر والعشرين، فهو العالم والمجدد والمصلح والفقيه، يعد الشيخ محمد عبده رمز من رموز النهضة العربية والإسلامية ومن بين الأوائل الذين سعوا لإنشاء حركة فكرية تجديدية تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري الذي ساد الأمة العربية آنذاك[2]، فلقد كانت حياته الفكرية خصبة جدا، وتمثلت جهوده الإصلاحية تلك في مجال التربية ومناهج التعليم وكذلك إصلاح الأزهر والإصلاح ومحاولة إصلاح علم الكلام وتجديده وكانت له مواقف كبرى جسدت عظمة الإنسان المصري العربي المسلم، فهذه الشخصية التي كان لها صدا واسع في الوطن العربي وأثرت في العديد من الشخصيات وبالمقابل واجهت إصلاحاته الكثير من النقد من طرف بعض المفكرين، والذين من بينهم مالك بن نبي[3].

قبل التطرق إلى النقد الذي وجهه مالك بن نبي إلى محمد عبده كان لابد لنا من معرفة رأيه في هذه الشخصية، يرى مالك بن نبي بأن الشيخ محمد عبده هو باعث النهضة الإسلامية

---

[1]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص111.

[2]. عبد الرحمان محمد بدوي، **الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2005، ص 17.

*.**محمد عبده:** ولد محمد عبده حسن خير الله في قرية محلة نصر، بمركز شبراخيت، بمحافظة البحيرة في 1849 في أسرة محافظة وعرف عنها التضحية والمقاومة، تلقى تعاليمه الأولى للقراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بالقرية، وبدأ ذلك وهو في السابعة من عمره، حفظ القرآن بالجامع الأحمدي، وتلقى دروسه الأزهرية في الجامع الأحمدي بعد أن استكمل تجويد القرآن، وفي سنة 1871 اتصل بالأفغاني وأسس معه العروة الوثقى، وقد كان محمد عبده يدعو إلى وجوب الإصلاح الاجتماعي، وإصلاح الأزهر (للمزيد ينظر عبد الرحمن محمد بدوي، **المرجع نفسه**، ص 17، 18) .

[3] .عبد الرحمن محمد بدوي، **المرجع نفسه**، ص 18.

الحديثة ومجددها وباعث الحياة فيها[1]، أما عن النقد الذي وجهه مالك بن نبي للشيخ محمد عبده له فهو كالتالي: يرى مالك بن نبي بأن الشيخ محمد عبده قد نشأ في بيئة زراعية في مصر، وهي الحياة التي كانت سائدة في مصر آنذاك وهو ما جعلها تنعكس على تفكير محمد عبده، فهو يرى أنه من أجل إصلاح المنظومة الاجتماعية[2]، يجب أولا إصلاح الفرد ولقد وجد أساس هذه الفكرة في كتاب الله العزيز في قوله تعالى(لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد 13/12 حيث نجد بأنه اتخذ من هذه الآية شعارا لتلك المدرسة الإصلاحية حيث يقول مالك بن نبي بأن نفس الفرد هي العنصر الجوهري في كل مشكلة اجتماعية، فكيف يغير هذه النفس، ويذهب مالك بن نبي في نقده للشيخ محمد عبده في أسلوبه الإصلاحي الذي يعتمد على إصلاح علم الكلام وهو ما يحط من قيمة بعض المبادئ الرئيسية للحركة الإصلاحية ويبعده عن الفكرة الأصلية للإسلام ومنهج السلف الصالح[3]،

فبن نبي يرى بأن علم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس إلا في ميدان العقيدة، أو المبدأ، فالمسلم لم يتخل مطلقا عن عقيدته ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها وتأثيرها في النفس، بسبب الجهل والغفلة، فالمنهج السيئ في عرض العقيدة وتقريرها هو ما أساء لها، وعليه فإن المشكلة ليست في تعليم المسلم العقيدة، بل هو كيفية تطبيقها وكيفية ردها إلى فاعليتها وقوتها الإيجابية على المجتمع، فتغيير النفس معناه قدرتها على تجاوز المألوف وهذا ليس من شأن علم الكلام، بل هو من شأن علم يسميه مالك بن نبي (تجديد الصلة بالله)[4].

إن محمد عبده قد أخطأ حسب مالك بن نبي حين ظن أنه قد يغير الواقع المحيط بالمسلمين عن طريق إصلاح علم الكلام ووضعه لفلسفة جديدة، فهذا الفهم الخاطئ حاد

---

[1]. حسن محمد العقبي، **المرجع السابق**، ص166.

[2]. **المرجع نفسه** ص 167.

[3]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق**، ص53.

[4].**المصدر نفسه**، ص54.

بالإصلاح جزئيا عن الطريق إذ حط من قيمة بعض مبادئ حركة الإصلاح الرئيسية كالمبدأ السلفي أي العودة بالفرد إلى الفكرة الأصلية في الإسلام والسبب هو علم الكلام بالذات لا يدق على الوتر الحساس للمشكلة[1]، فليست المشكلة في الإصلاح النظري للعقيدة بالنسبة لمالك بن نبي، ولكنها في إعادة الفاعلية الاجتماعية لهذه العقيدة، إن علم الكلام حسب مالك بن نبي يمجد الجدال وتبادل الآراء وهو في الوقت نفسه يشوه، المشكلة الإسلامية ويفسد طبيعتها[2].

إن علم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ والمسلم، حتى مسلم ما بعد الموحدين، لم يتخلى مطلقا عن عقيدته، فلقد ظل مؤمنا وبعبارة أدق ظل مؤمنا متدينا، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي، إذن من هذا المنطلق نرى بأن بن نبي أراد أن يحدد الأولوية في التوجه الإصلاحي مركزا على الفاعلية الاجتماعية للعقيدة، لأن فتح باب الإشعاع الروحي في الحياة الاجتماعية، معناه إعطاء نمط حضاري مميز عماده التوازن الروحي المادي[3].

لقد طرح مالك بن نبي بعض النقائص الخاصة بالمؤسسات والحركات الإصلاحية حيث يرى مالك بن نبي بأن لكل مؤسسة حياتها وتاريخها وتقاليدها، وبكلمة واحدة جمودها الخاص الذي يتحدى إرادة الإنسان فإلى جانب ما اتصف به الإنسان من تزمت ونزوع إلى المديح، لم تستطع التخلص منه عقول المصلحين فهو يقف أمامه عيوب ذات طابع جماعي كالجدل والحرفية والتشبث بأذيال الماضي فما السبيل إلى أن يتحرك العالم الإسلامي تحت أوزار القرون وأثقال التقاليد والعادات المتخلفة والمتراكمة[4]، لقد كان العالم العربي بحاجة إلى فكر ثوري كفكر جمال الدين الأفغاني الذي يدعو إلى الهدم من أجل البناء أو إلى فكر منهجي يجري عمليات

---

[1].مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق**، ص54.

[2]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص59.

[3].**المرجع نفسه**، ص 59.

[4]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق**، ص 57

التشذيب الضرورية لتحري النظام القائم على أوزرا التقاليد، لقد كان على المصلحون أن يميزوا بين خبيث التقاليد من طيبها، لقد واجه الشيخ محمد عبده وحده عبء النهضة كمفكر في عالم لم يتعود التفكير في مشكلاته، وهكذا لم تثمر جهوده في جامعة وهو يحاول دفعها إلى الانسجام مع الإصلاح[1].

لقد وصل مالك بن نبي في آخر المطاف إلى التقويم الإجمالي لمشروع محمد عبده، فرأى أنه رغم تقصيره في تشخيص مصدر الداء، الذي عطل الإنسان عن الفاعلية والنشاط فإن جزءا كبيرا مما حققه العالم الإسلامي راجع إلى مجهوده[2]، إن فشل محمد عبده في جعل أفكاره أساسا للنهضة الحضارية، فإن هذا لا يمنع من أن تصبح هذه الأفكار مصدرا لإصلاح ثقافي وفكري سيبقى أثره حتى اليوم، ويرى مالك بن نبي أنه لو تم الجمع بين فكر الأفغاني وفكر محمد عبده لكان أفضل، فحسبه لو استطاعت المدرسة الإصلاحية أن تقوم بتركيب، أفكارها وتجميع عناصرها(الأفكار الأصولية، والآراء السياسية) التي نادى بها كل من الشيخ محمد عبده والأفغاني، لأدى ذلك إلى طريق أفضل اليوم[3].

[1]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق**، ص58.

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص526.

[3]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص 117،116.

المطلب الثالث: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تأسست جمعية العلماء المسلمين سنة 1931، برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس* والبشير الإبراهيمي وبعض المصلحين الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم إصلاح الجزائر وشعبها وتكوين جيل يستطيع النهوض بالمجتمع الجزائري[1]، وكان تأسيسها بنادي الترقي في الجزائر العاصمة وذلك بعد سنة من إحياء الاستعمار الفرنسي ذكرى مرور قرن على احتلاله للجزائر، تشمل أهداف الجمعية الحفاظ على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية والدينية والتاريخية، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية للقضاء عليها، وكذلك إحياء الثقافة العربية ونشرها بعد أن عمل المستعمر على وأدها[2]، وكذلك كانت من أهدافها التعليم والتربية، وتطهير الإسلام من البدع والخرافات، لقد سعت الجمعية على ترسيخ الغيرة الوطنية لدى الجزائريين في وجه سياسة الاحتلال، واجتهدت في إعداد نخبة من الرجال والنساء ليكونوا عمدة لنهضة

---

[1]. محمد الميلي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الاحتفال بتظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 10.

***عبد الحميد بن باديس:** ولد سنة 1889 في قسنطينة من عائلة عريقة تعود أصولها إلى المعز الصنهاجي، انتقل ابن باديس إلى جامع الزيتونة بتونس وفي عام 1912 عاد إلى الجزائر بنية تعليم أبناء الوطن، حيث بدأ التعليم بالجامع الأخضر لقي دروسه الأولى وكان الحضور بدروسه كبير يظم أشخاصا من أعمار متفاوتة، ثم سافر إلى الشرق وعند عودته استقر بتونس بين 1914/ 1918، وعند رجوعه إلى الجزائر، اشتغل بالتدريس من جديد وكون إطارات انظم إلى صفوف المناضلين سنة 1925 دافع عن الهوية الجزائرية، أسس جمعية العلماء الجزائريين كأساس للإصلاح، توفي يوم 16أفريل 1940،(للمزيد ينظر: محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض** ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، دار موقم، الجزائر، 2008، ص 180).

[2]. فراس محمد فرسوني، **الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر**، رسالة مقدمة إلى جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير، في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، للدراسات العليا، 2009، ص 34.

الجزائر، وقامت في سبيل ذلك بإصلاح أساليب التعليم وطرق التدريس، وإصلاح الكتب المدرسية[1].

وتعد الجمعية رمزا من رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي كثرت الكتابات عليها من طرف الباحثين والمؤرخين والفلاسفة والمفكرين، ومن بين الذين طرحوا رأيهم في هذا الجمعية نجد مالك بن نبي[2].

قبل التطرق للحديث عن موقفه من الجمعية لابد لنا من الحديث عن رأي مالك بن نبي في المؤسس الشيخ عبد الحميد بن باديس، لقد مدح مالك بن نبي الشيخ عبد الحميد بن باديس في أكثر من موضع من كتبه، حيث عده معجزة البعث الإسلامي، وذلك عن طريق مواجهته للأفكار الهدامة، حيث قام بتنقية الثقافة الإسلامية من المقدسات الوهمية، والعمل على تخليص الجزائر من التقاليد الزائفة[3].

حيث يقول مالك بن نبي بأنها كانت تلك ساعة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك و يا لها من يقظة جميلة مباركة[4]، فمالك بن نبي يرجع ظهور الإصلاح في الجزائر إلى شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نفذ إشعاعه إلى الضمير الشعبي[5]، وقد عبر بن نبي عن منهج بن باديس في الإصلاح قائلا(أنه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن تكون الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما تكون نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى،

---

[1]. مازن حامد المطبقاني، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية(1931/ 1939)**، بحث مقدم لقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، كجزء من متطلبات الحصول عبى درجة الماجستير في الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ ، السعودية، 1985، ص 44.

[2]. محمد حسن العقبي، **المرجع السابق**، ص 171.

[3].**المرجع نفسه**، ص 171.

[4]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق**، ص26 .

[5]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص206.

حضارة الإسلام في العصور الزاهرة[1]، تلك هي السلفية التي دعا إليها ابن باديس والتي تعني التمرد على الحاضر والاستنجاد بالماضي، لقد كان مالك بن نبي ينظر إلى بن باديس نظر بأنه لا يمثل الإصلاح فهو بالنسبة له كان الرجل المتحضر المترف[2]، وقد غير مالك بن نبي وجهة نظره هذه وأحكامه السابقة حيث كان رأيه نتيجة للحالة الاجتماعية المسبقة أي الفقر التي عاشها والتي زرعت في نفسه الغيرة والحسد حيال العائلات الكبيرة وقد اعترف بذلك في مذكراته[3].

أما عن موقفه من الجمعية فلقد كان كالتالي: لقد أيد مالك بن نبي هذه الجمعية في مبادئها وأفكارها، لأنها تقوم على مفهوم التغيير النابع من أداء الواجبات وليس من خلال المطالبة بالحقوق، فهي عنده أقرب الحركات والقيادات إلى النفوس، لأنها تعمل على تغيير ما بالنفس وذلك كمقدمة لتغيير الإنسان، لقد أشرقت معها بوادر النهضة الكبرى[4]، فمالك بن نبي يرى بأن الإصلاح الذي يمثله ابن باديس والجمعية هو الذي سيحرر الجزائر، وأن الشعار الذي رفعته الجمعية هو الشعار الصحيح، حيث يقول لقد بذلت شطرا كبيرا من حياتي في سبيل الحركة الإسلامية[5]، وشهدت في مناسبات مختلفة بفضل جمعية العلماء التي قامت في الجزائر، الجزائر، وتكلمت مرات في معاهدها دون أن أكون عضوا من أعضائها وكتبت في الهامش دون أن تدعوني هذه الجمعية للمساهمة في شؤونها الإدارية لو قدمت لها الطلب من أجل ذلك.

لقد انتقد مالك بن نبي جمعية العلماء الجزائرية حين اقتصر نشاطها على مجرد ترداد ميكانيكي، لذلك الذي قيل في الماضي و انتقل إلينا مع الأسف عبر الكتب أكثر مما انتقل

---

[1]. مالك بن نبي، شروط النهضة،**المصدر السابق**، ص177 .

[2]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص207.

[3]. مالك بن نبي، **مذكرات شاهد على القرن ، الطفل**، ص131.

[4]. حسن موسى محمد العقبي، **المرجع السابق**، ص 172.

[5]. نور الدين مسعودان، **المرجع السابق**، ص131.

عبر السلوك، فمالك بن نبي انتقد كذلك التجارب الإصلاحية دون أن يشكك بحسن نوايا العلماء بل شكك في دقة تحليلهم للمشكلات.

حيث يبدأ انتقاد مالك بن نبي للجمعية عندما قامت بالمشاركة في المؤتمر الإسلامي الجزائري(1936) حيث اعتبرها انحرافا عن المسار الإصلاحي إذ تحول في نظره النشاط الفكري والعمل التربوي إلى خطابات سياسية ومنافسات انتخابية[1]، فمالك بن نبي يرى بأن الجمعية كان يمكن لها أن تبقى متعالية وتبتعد عن السياسة ولكن بمشاركتها في هذا المؤتمر تكون قد سقطت في وحل السياسة ودخلت في المعامع الانتخابية ومعارك الأوثان، حيث يقول بأنهم بانجرافهم هذا تلطخت ثيابهم البيضاء وهبطت معهم الفكرة الإصلاحية[2].ولئن كان هنالك شيء يؤسف له منذ عام 1925 فإن أكبر أسفنا سيكون على زلة العلماء التي كانت زلة نزيهة، لما توفر فيها من النية الطاهرة والقصد البريء ومع ذلك فإنه يجب ألا يغرب عن بالنا أن الحكومة الاستعمارية كانت هي السبب الخارجي[3].

لقد كان مالك بن نبي وهو مقيم بباريس يتابع أحداث الجزائر والتطور السياسي الذي حدث بعد ظهور قيادات تتوسل إلى فرنسا لإعطاء الشعب الجزائري بعض حقوقه، هذه القيادات التي أغرتها فرنسا بالتمثيل في المجالس والانتخابات[4]، فمالك بن نبي اتهم العلماء بالغفلة السياسية والسذاجة في التعامل مع جبهات الصراع الفكري، وعدم فهمها لأفكاره التي عبر عنها في كتابه شروط النهضة[5]، وبالعودة إلى المؤتمر الذي شاركت فيه الجمعية فإن الفكرة قد تكون صحيحة خاصة ، وقد شاركت فيه كل الجزائر بمختلف فئاتها[6]، هنا مالك بن نبي يعلق قائلا:

---

[1]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص16.

[2]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق**، ص 32.

[3]. **المصدر نفسه**، ص32 .

[4]. محمد العبدة، **المرجع السابق**، ص69 .

[5]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص16 .

[6]. محمد العبدة، **المرجع السابق**، ص71 .

(بأي غنيمة أرادوا أن يرجعوا من هناك (باريس) وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر) إذن فمالك بن نبي ينصب انتقاده حول ما آلت إليه الأمور في المؤتمر الجزائري فيتساءل مالك بن نبي حيث يقول: لماذا سارت الجمعية مع القافلة السياسية؟ لماذا تسلم القيادة (المعممة) زمام الأمر إلى القيادة (المطربشة) لماذا تسلم القيادة إلى ابن جلول الذي تبرأ من قبل الصحافة الفرنسية حول قضية مقتل مفتي الجزائر(بن كحول) وكانت فرنسا قد اتهمت الجمعية بقتله وهو اتهام باطل طبعا[1].

لقد صب مالك بن نبي جام غضبه على جمعية العلماء لأن خطوتهم كانت مقدمة لموت الإصلاح ذلك أنه يرى بأن مفتاح القضية في روح الأمة لا على أرض الخصم وتحقق ما توقعه مالك بن نبي فتشتت الجمعية بمقتل مفتي الجزائر الشيخ كحول واتهام الاستعمار لها بذلك وألقت القبض على الشيخ الطيب العقبي[2].

لقد كان بن نبي يرى في العلماء وهم الأمناء على مصلحة الشعب قد سلموا الأمانة لغيرهم، سلموها لمن يضعها تحت قدميه لتكون سلماً يصعد عليه إلى المناصب السياسية، سلموها للجناح القومي البرجوازي فرحات عباس وأمثاله الذي تقبلها منهم بكل سرور[3]، فمالك بن نبي يرى بأن العلماء لم يكن في استطاعتهم مواجهة هذا التيار، لأنهم بادئ ذي بدء لا يشعرون به لأنهم لم يكونوا على دراية بوسائل الاستعمار في مجال الصراع الفكري حتى يتفطنوا إلى هذا الانحراف وربما كان هذا سبب علاقة مالك بن نبي معهم خاصة مع الشيخ العربي التبسي[4]، لقد أرجع مالك بن نبي في هذا الصدد سبب الانحراف عن مسارها ودخولها في السياسة إلى جهل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقوانين الأساسية التي تقوم عليها

---

[1]. نور الدين مسعودان، **المرجع السابق**، ص133.

[2]. محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص215 .

[3]. محمد العبدة، **المرجع سابق**، ص72 .

[4]. نور الدين مسعودان، **المرجع السابق**،ص134 .

الظاهرة السياسية التي تقتضي منا أن ندخل في اعتبارنا صلة الحكومة بالوسط الاجتماعي كآلة مسيرة له، وتتأثر به في وقت واحد، وفي هذا دلالة على مابين تغيير النفس، وتغيير الوسط الاجتماعي من علاقات متينة وبهذا الرأي أكد صراحة على وجود اختلال كبير في فهم جمعية العلماء المسلمين لسنن التغيير[1].

المطلب الخامس: حركة الإخوان المسلمين بمصر

تعتبر حركة الإخوان المسلمين التي تأسست بمصر من أكبر وأُقوى الحركات التي شهدها في الوطن وهي تصف نفسها بأنها إصلاحية شاملة ، تأسست هذه الحركة على يد الشيخ حسن البنا، وكان ذلك في مارس 1928 وعمره لم يجاوز اثنين وعشرين سنة[2]، كانت تهدف هذه الحركة إلى إعداد الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه، وتحرير الوطن بتخليصه من الاحتلال، وكذلك إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق،أما عن خصائص حركة الإخوان المسلمين بمصر فلقد تميزت ب: البعد عن مواطن الخلاف، والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء، البعد عن الأحزاب والهيئات، إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات[3].

---

[1]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص123 .

[2]. إبراهيم جبرين عطا الله جويلس، **العقيدة في فكر جماعة الإخوان المسلمين _ دراسة تحليلية_** ، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة، بقسم أصول الدين في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل، فلسطين، 2014،ص ص 12، 14.

***حسن البنا:** هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ومنظم جماعتهم، ولد في المحمودية في محافظة البحيرة، قرب الإسكندرية، يوم الأحد 14 أكتوبر 1906، والده الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا، تلقى تعليمه في مدرسة الرشاد الدينية آنذاك الأحاديث النبوية حفظا وفهما، بعد تخرجه عين في دار العلوم ، وفي سنة1927 قام بالتدريس في مدرسة الإسماعيلية و أسس حركة الإخوان المسلمين مع ستة من الإخوان في سنة 1928 وعمره لم يتجاوز 22 سنة، توفي حسن البنا يوم 12 فبراير 1949 في حادث اغتيال حيث منع من العلاج وترك ينزف حتى الموت، للمزيد ينظر، ابراهيم جبرين، **المرجع نفسه**، ص 14.

[3].**المرجع نفسه**، ص14.

لقد كانت هذه الحركة محط اهتمام العديد من الباحثين والمفكرين ومن بين هؤلاء الشخصيات الذين اهتموا بهذه الحركة وكان له موقف منها هو مالك بن نبي فما هو موقفه منها؟

قبل التطرق إلى الحديث عن رأي مالك بن نبي في هذه الحركة لابد لنا من معرفة رأيه في شخصية حسن البنا* ومؤسس هذه الحركة، لقد كان حسن البنا في نظر مالك بن نبي مصلح وعالم مجدد(بعث في الناس إسلاما خلع عنه سدول التاريخ ويؤثر تأثيرا عميقا في سامعيه)[1] فما ذلك إلا لأنه لم يكن يفسر القرآن، بل كان يوحيه إلى الضمائر التي يزلزل كيانها، فالقرآن لم يكن على شفتيه وثيقة باردة، أو قانونا محررا، بل كان يتفجر كلاما حيا، ووضوءا آخذا يتنزل من السماء، فيضيء ويهدي ومنبعا للطاقة يكهرب إرادة الجموع، لقد كان مالك بن نبي يرى في حسن البنا على أنه زعيم وإمام يذكر المؤمنين بتعاليم القرآن الكريم، فحسن البنا لم يكن يتفلسف أو يتحدث بما لا يعرف أو يدخل في الغيبيات[2]، فتعاليم الزعيم كما لقبه مالك بن نبي هي تجربة شخصية لا تستوحى من وثيقة(أي حروف القرآن الكريم) ولكنها من مصدر الوحي ذاته فهي تجربة بدت ثمارها في صورة الحقيقة العاملة، في كل ميدان من ميادين الحياة، بل إنها في أساس هذه الحياة تغير نفسية الفرد[3].

أما عن موقفه من حركة الإخوان المسلمين فإن مالك بن نبي يرى فيها مصدر التفاؤل في مستقبل الإسلام لأنها اهتمت بجميع ميادين الحياة، فلم تكن دينية بحتة بل تعدى نشاطها إلى الخدمات الاجتماعية والنشاطات الثقافية والاستثمارات الاقتصادية[4]، إن بن نبي قد مدح

[1]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص23.

[2]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، **المصدر السابق**،ص159 .

[3]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 23.

[4]. حسن موسى محمد العقبي، **المرجع سابق**، ص177.

مؤسس هذه الحركة، وأما بالنسبة للحركة فلم يوضح رأيه فيها بشكل واضح إلا من خلال عباراته المطاطة بقوله أن الطريق الوحيد لنيل مطالبه هي طريق العمل الدءوب والمتواصل[1].

ولذلك أصبح الداعية الذي يمس بدعوته شغاف القلوب فتغير معالمها، وتهديها إلى الطريق الأقوم (طريق الأخوة) ومع كل ما يمر من تطورات في العالم الإسلامي والذي استودع هاته الأفكار والتي تتمكن من الضمير الإنساني فإنها تصبح جزء لا يتجزأ منه ولا يفنى، حيث تبقى في ضمير الإنسان حتى تحين لحظتها التاريخية التي تخرج فيها إلى النور وتتخذ منهجها الخاص بها، فالحركة التي تخص العالم الإسلامي باعتبارها محاولة من محاولاته التي تهدف إلى التخلص من فوضاه الراهنة، وهي تعد في التاريخ الإسلامي المعاصر أول محاولة إيجابية لاستحداث تركيب عضوي تاريخي، ربما تمخضت عن تجميع أفكار العالم الإسلامي المعاصر، وربما كانت هذه الأفكار هي العامل أو الجرس الذي يقوم على توحيد القلوب وصفاء النفس الإسلامية[2].

أما عن موقف مالك بن نبي من اضطهاد الحكومة المصرية لجماعة الإخوان المسلمين وهو السؤال الذي طرحه الباحث والدكتور مولود عويمر في كتابه مالك بن نبي رجل الحضارة، حيث يقول في نص سؤاله هو كيف نفسر سكوت مالك بن نبي عن اضطهاد الحكومة المصرية لجماعة الإخوان المسلمين؟ فيجيب مولود عويمر عن سؤاله هو أن مالك بن نبي قد وصل مصر في فترة حرجة وكانت أحداثها كثيرة، فهذه المرحلة اتسمت بحل الجماعة واعتقال الكثير من قادتها وأنصارها، وكان صعبا على كاتب يطلب لجوءا سياسيا أن يقف إلى جانب حركة منحلة قانونيا ويدافع عنها في ظل نظام مستبد[3]، فاحتكاك بن نبي ببعض قادة الإخوان المنشقين ورجال النظام المصري قد جعله في قرار نفسه يرى بأنها قد ابتعدت عن وظيفتها

---

[1]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق**، ص ص 159،160.

[2]. **المصدر نفسه**، ص160.

[3]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص24.

الأساسية، وهي التربية والتكوين والاشتغال بالسياسة والبحث عن السلطة، فيكون حكم بن نبي هنا شبيها بالحكم الذي أصدره على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أثناء مشاركتها في المؤتمر الجزائري في عام 1936، كما سبق ذكره[1].

المبحث الثاني: موقفه من المسألة الاقتصادية

المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد عند مالك بن نبي

لم يكن مالك بن نبي عالم اقتصاد أو منظر له، بل كان مفكر حضارة، دارسا لمشكلاتها متأملا في أبعادها ومن هذه الأبعاد البعد الاقتصادي فلقد خصص له دراسة كاملة تحت عنوان "المسلم في عالم الاقتصاد"، كيف نفهم طبيعة تخلفنا الاقتصادي الذي سلمنا له حالنا وأصبحنا في تبعية مقلقة، ولماذا فشلت مشاريعنا التنموية وزادنا تبعية للغرب، كل هذه الأسئلة طرحها مالك بن نبي ضمن مشكلات الحضارة، حيث حاول أن يجد حل للمشكلة الاقتصادية في مشروع النهضة الحضارية، ولكي نتمكن من معرفة الحلول التي قدمها مالك بن نبي للمشكلة الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع العربي، لابد لنا من معرفة مفهوم الاقتصاد عنده.

إن الاقتصاد عند مالك بن نبي ليس قضية إنشاء بنك أو تشييد مصنع، بل هو قبل ذلك بناء الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام المشكلات المختلفة فالإنسان عند مالك بن نبي هو محور العملية الاقتصادية التي هي الخميرة الأساسية لتشكيل ما يسمى بالحضارة مع عدم إغفال عنصر الزمن الذي له نفس القيمة الإنسانية وهذا ما يدفع بالأمة إلى تمجيد العمل[2] من خلال قيامها بالواجب وليس عن طريق المطالبة بالحق فقط.[3] وهناك عنصر آخر يتمتع

---

[1]. مولود عويمر، **المرجع السابق**، ص 25.

[2]. سليمان ملوكي، **النظرية الاقتصادية عند مالك بن نبي من خلال ثلاثية توجيه رأس المال، توجيه العمل وتوجيه الوقت، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، العدد 10**، جامعة المسيلة، 2013، ص 123.

[3]. **المرجع نفسه** ص 124

بالطابع النفسي ويجب أن يحسب له حسابه في هذا المجال، ذلك العنصر هو فكرة الزمن التي تعد أساسية جدا في تنظيم العمل في العالم الحديث تبعا لنظرية تايلور، هذا النظرية التي سيطرت على مفاهيم المقدرة الإنتاجية، فالوقت هو تعبير دقيق عن الواقع المادي.

إن الاقتصاد عند مالك بن نبي ليس فقط علما نتعلمه أو منحنيات بيانية أو أرقاما نتلاعب بها لأغراض ديماغوجية، ولكنه قبل كل شيء وعيا واستعدادا فكريا وسلوكيا أو بكلمة واحدة ثقافة، إن الاقتصاد ليس خارجا عن ذات الإنسان، بل هو جزء من جوهره وذاته، إنه النتيجة الأساسية للظاهرة الاجتماعية الآلية التشاركية والترابطية وهو الصيغة النهائية الكاملة لعملية تداخل العلاقات الإنسانية لحظة التبادل بين البشر بهدف ضمان مصلحة كل فرد والحفاظ على مصلحة الجميع، إنه تراكيب ذهنية قبل أن يكون مسألة مواد أولية أو مال أو تكنولوجيا أو حصص في السوق، يعتبر النظام الاقتصادي في بلد ما الصيغة التفاعلية بين الإنسان وتراب بلاده بكل ما فيه من ثروات وفقا لقانون أخلاقي إنساني يوجه عمل الأفراد، وينظم علاقته الاقتصادية بغيره فلا يجوز لنا بأي حال فتح الباب للإشباع المادي في العملية الاقتصادية بحجة أن الحياة للأقوى، إنه من الحتمي عليه أن يكون موجها بالأفكار والثقافة المستوحاة من صميم الروح الإسلامية التي تعد العمل الاقتصادي حفظا للحياة، وتقدما يعيد للعالم العربي مكانته، ويساعده في تأدية رسالته، فالنظام الاقتصادي له دور هام في تحرر المجتمع وتقدمه[1].

إن النظام الاقتصادي الذي لا يلامس الحقيقة الثقافية للمجتمع وأفكار ضميره الشعبي ولا يوافق القيم السائدة ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية لا يمكنه أن يلبي حاجات ذلك المجتمع، وتلك هي العجلة الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية واستمرار تلك الحركة [2].

لقد أعطى مالك بن نبي مفهوما للاقتصاد و الاقتصادانية فيميزها مالك بن نبي على أنها

[1]. أسعد السحمراني، **المرجع السابق**، ص 235

[2]. بولرباح عسالي، **أولوية الربيع الاقتصادي في ضوء كتابات مالك بن نبي**، جامعة الجلفة، الجزائر، ص 23، 24

مجرد فقاعة غاز لا تحوي أي واقع اقتصادي، بل هي أسوأ، إنها مجرد ظرف يبدي ألوان قوس قزح كلألأة براقة، إنها تحوي أوهاما خلابة ضائعة وتناقضات تدعو للسخرية فكما يقول مالك بن نبي إنها تعني الاستبداد أي تقييدا جديدا لحرية التصرف فهي تلتهم المشرع الاقتصادي للقيم الأخلاقية والمدنية فهي قد أفرزت من طرف كائنات أمية جسدت القابلية للاستعمار وتجسد التخلف اليوم، إن الاقتصادانية حسب ما يرى مالك بن نبي هي إن أرادت أن تفتعل خيرا فإنها تتصور شؤون المجتمع الإنساني تصور تسيير لمطعم، يتم حسابه لعمليتين اثنتين: جمع لما يدخل من مال وطرح للنفقات، وعندما يمسي مذهب اقتصاداني نافيا لسنن التاريخ البشري، فيجرد تجريدا مذهبيا من القيم الثقافية والاجتماعية التي تنشد كل جهد للنهوض الاجتماعي القائم على الإنسان[1].

إن ما يمكن قوله عن مفهوم الاقتصاد هو أن النظام الاقتصادي الذي يصلح لتطوير بلد معين، لابد أن يكون نابعا من الواقع الجغرافي والتاريخي والبشري لهذا البلد، وبمعنى أدق لابد أن يكون موجها بثقافة، وأفكار أصيلة تلامس الحقيقة الكامنة في الضمير الشعبي، وتراعي القيم السائدة في قانون العلاقات الاجتماعية،والسلوك الإنساني، وبعدها تراعي الإمكانات وكنوز الأرض المتوفرة، فالتطور الاقتصادي التقدمي لايكون بالاستعارة والشراء، بل يكون نابع من إبداع وواقع الفرد العربي، وقدراته البشرية والمادية.

إن مالك بن نبي يعطينا الفروقات الواضحة بين الاقتصاد والاقتصادانية والتي نوضحها في الجدول التالي[2]:

[1]. مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق**، ص 36، 37

[2]. البشير قلاتي، **الأفكار الاقتصادية عند مالك بن نبي**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص 10

الاقتصاد	الاقتصادانية
علم	جهل
تخطيط	عشوائية
منهج	فوضى
واجب	حق
سياسة	بوليتيكا
إبداع	تقليد
إنتاج	ريع
بناء	تكديس
حضارة	بدائية
تنمية	ركود
تقدم	تخلف

إذن من خلال هذا الجدول نستنتج أن مالك بن نبي، يدعو إلى إعادة النظر في طريقة البناء الاقتصادي يقوم على أسس متينة وتدفعنا إلى التقدم والتطور و محاولة الابتعاد عن الاقتصادانية التي ما هي إلا أداة للتخلف بمختلف صوره[1].

المطلب الثاني: شروط الإقلاع الاقتصادي

لم يكتفي مالك بن نبي بإعطاء مفهوم عام للنظرية الاقتصادية بل نجد الحركية ذاتها تطبع تحليله لجوهر الأزمة الاقتصادية في الوطن العربي، إن الفكر الاقتصادي عند مالك بن نبي له أبعاد وأسس حيث يراها بأنها هي الأسس التي يجب إتباعها لكي يتم تحقيق الإقلاع الاقتصادي المطلوب[2]، فالأمة العربية وبتعدد أنماطها الاقتصادية تملك في إطار التكامل الاقتصادي المقدرة على إحداث علاقات اقتصادية دولية جديدة وأشكال تبادل أخرى بين

[1]. البشير قلاتي، **الأفكار الاقتصادية عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص 11.

[2]. البشير مصيطفى، **المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، معهد الاقتصاد، الجزائر، مجلة الموافقات**، المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر، العدد 3 جوان 1994.

الأوطان التي لا تستطيع مواجهة الظروف الاقتصادية العالمية بمفردها ولا تستطيع الصمود في وجهها والنمو إلا إذا تكاثفت عقولها وأيديها وأموالها في ورشة عمل مشتركة، هنا يطرح مالك بن نبي سؤال ما هي الشروط التي توفر له صيغة الفاعلية وإمكانية الخروج من دائرة النظرية إلى دائرة الخطة؟ فإمكانية الخروج من دائرة النظرية الاقتصادية المعبر عنها بالتفاعل بين قطبي الإنتاج والاستهلاك[1].

إن الإجابة على هذا السؤال المطروح تتطلب منا أن نقوم بتقسيم هذه الشروط ضمن إطار منهجين يخصان فهم آليات تحقيق التوازن المذكور، وهناك تقسيم ثاني يخص طبيعة الأدوات المستعملة في طرق تنفيذ المشروع الاقتصادي، وهذه الطرق النوعية التي تعتبرها صلب المسألة الحركية الاقتصادية طالما استوفت شروطها[2].

إن مرحلة الانطلاق أو الإقلاع تشكل عند مالك بن نبي جوهر التحليل حيث أنه يبقى علينا تشخيص وضعية ما قبل الانطلاق ورسم شروط ضمان استمرارية النهوض الاقتصادي مع نقطة الإقلاع، فالمرحلة الأولى التي يجب أن نوفر لها قدرا مناسبا من تفكيرنا تستدعي ترتيبا في الأوليات تتحقق من خلال معالجة عملية دقيقة لمرحلة الانحطاط أو ما قبل الإقلاع إن مرحلة الانحطاط تتسم بتوفر جملة من الإختلالات (سلوكية، سياسية، فنية، إستراتيجية) التي أدت إلى فقدان سبل التقدم على الصعيد الاقتصادي[3]، فالاختلال الاقتصادي يكون الشعور والوعي الاجتماعي بها ثم اتساع دائرة هذا الشعور والوعي الاجتماعي بها ثم اتساع دائرة هذا الشعور على المستوى الشعبي كعامل مساعدا للاقتراب من مرحلة الإقلاع لأن ذلك يهيئ جانبا من شروط الثورة الاقتصادية حسب رأي مالك بن نبي والتي تساهم في إيقاظ الإحساس بفساد النظريات الغربية المطبقة في مجال التنمية والتي جربت في البلاد العربية، فتحديد مواطن الخلل التي نقوم بمعالجتها في إطار مرحلة الإقلاع، أما الإقلاع الاقتصادي فهو

[1]. البشير مصيطفى، **مجلة الموافقات، العدد 3 جوان** 1994، **لمرجع السابق.**

[2]**.المرجع نفسه.**

[3]. **المرجع نفسه.**

الصورة المنطقية الطبيعية لنضج أدوات وآليات الحركية الاقتصادية القائمة على مستوى مترابط وهي المستويات المختلة في المرحلة السابقة، ومن بين هذه المستويات نجد:

_المستوى الاجتماعي: فعلى المستوى يعني أنه يجب التحريك وإعادة التوازن بين الحقوق والواجبات، وإذا كان كل فرد له الحق في الطعام مثلا فإن واجب كل فرد القيام بواجب العمل بالنسبة لكل ساعد قادر على العمل والمحافظة على الاتجاه الذي يعتبره مالك بن نبي شرطا من شروط الإقلاع الاقتصادي[1].

_المستوى النفسي: إن العملية التنموية تتطلب شروطا نفسية خاصة فضلا عن الشروط المادية والفنية والمعرفية ولأجل ذلك يستدعي الاقتراب المنهجي من فك رموز المعضلة الاقتصادية وإعادة صياغة التكوين الشخصي للفرد بدءا من العادات ونسق النشاط والمواقف تجاه المشكلات الاقتصادية مما يعيد له الاعتبار والثقة بالنفس[2].

_المستوى الفكري: في هذا المستوى نشعر بالحاجة إلى وعي اقتصادي لتعمير البلاد العربية، ووعي بالقوانين والمفاهيم والآليات للتغيير الاقتصادي ضمن إطار المذهب الإسلامي من أجل إعادة صياغة النماذج الإنتاجية والاستهلاكية والتبادلية التي تحسن ركائز الاقتصاد وعلى رأسها المال الذي يعد أساس البناء، إن غياب هذا النوع من الوعي هو الذي مهد للاستعمار الاقتصادي الجديد على الصعيد الإنتاجي أين فرضت على الأمة أنماطا ووظائف إنتاجية غريبة مثل إنتاج العنب الموجه لصناعة الخمور، إن التثمين الاقتصادي الحقيقي لدور الكميات النفسية يتطلب إعادة بناء وعي تنموي مقابل الطاقات النفسية والاجتماعية الكامنة والتي تظل في مرحلة الانحطاط حبيسة الاحتمال في حين تصير عند الإقلاع من عناصر الإمكان الاقتصادي.

---

[1]. **البشير مصيطفى، مجلة الموافقات، العدد 3 جوان 1994، المرجع السابق.**

[2]. **المرجع نفسه.**

إذن إن المشكلة الاقتصادية لا تكمن في البناء والتشييد بقدر ماهي أهم فهي قضية تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات، وذلك يرجع لارتباط عالم الاقتصاد بالقيم الحضارية، فلا يمكن للمرء أن يتصور خطة تقتنع بالأرقام إن لم يكن إنجازها اخذ في الاعتبار قيمة الإنسان في رتبة القيمة الاقتصادية الأولى بشرط أن تكون إرادته شرارة مقتبسة من إرادة حضارية، فالقضية ليست قضية إمكان مالي بل هي قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية، وبالإضافة إلى المراحل التي تطرقنا إليها فإن مالك بن نبي مالك بن نبي قد أعطى مجموعة من الشروط إضافة إلى ما سبق من بينها: دور المال في اختزان العمل فالاستثمار المالي والاستثمار الاجتماعي يقومان على تحقيق الديناميكية الاقتصادية على أساس مبدئي، فالأساس الأخلاقي لعمليتي الإنتاج والتوزيع هو المعادلة البيولوجية والمعادلة الاجتماعية للفرد في التجارب الحديثة،وضرورة الاكتفاء الذاتي،

لقد رأى مالك بن نبي بأن الإنسان العربي أضحى تابعا ومقلدا للأفكار التي صاغت تجارب غير تجاربه، وخبرات أجنبية عنه، فأمسى العنصر الوطني المثقف مشلولا[1]، فهو في موقف اختيار وتفضيل بين (آدم سميث وكارل ماركس) بينما كانت القضية ولازالت قضية تطعيم ثقافي للمجتمع العربي، يمكنه من استعمال إمكانياته الذهنية والجسمية، وبصورة عامة تجعل كل فرد فيه ينشط على أساس معادلة اجتماعية تؤهله لإنجاح أي مخطط اقتصادي، إذن من خلال ما رأيناه من شروط التي رآها مالك بن نبي هي أساس الإقلاع والنهوض بالاقتصاد العربي وبنائه على أسس صحيحة[2].

لقد لاحظ مالك بن نبي الترابط بين القيم الاقتصادية والأخلاقية، وكذلك العلاقة بين الحق والواجب، والإنتاج والاستهلاك، فهو يرى بأن كل وطن عربي كفيل بحل مشكلاته أو بعضها على الأقل داخل حدودها، وعلى الأمة العربية أن تعيد النظر في اقتصادها وذلك تجنبا

[1]. عمر بن قينة، **شخصيات جزائرية**، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1983، ص76.
[2]. **عمر بن قينة، المرجع السابق**، ص77.

للتبعية والخطأ الذي قد يضطرنا تصحيحه بالرجوع إلى الوراء[1]، إن حاجة البلاد العربية شديدة لإعادة النظر في حياتها الاقتصادية لتحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها طبقا لفكرة العيش للجميع والعمل على كل فرد، وفي استطاعة العالم العربي أن يعيد للتراب وظيفته وبوسائله حتى في الميدان الفني إذا قرر استعادة العقول العربية المغتربة لأسباب مختلفة، ويعطي مالك بن نبي مثالا عن التكامل داخل المجتمع العربي بليبيا ومصر والكويت، فليبيا تمتلك التراب، ومصر تمتلك الفائض من العدة البشرية، والكويت تمتلك فائض من المال المعطل، لو اجتمعت هذه العوامل الثلاثة في خطة تجريبية لأدرك العالم العربي كله أن شروط الإقلاع والاكتفاء الذاتي هي تحت يده عندما يريد النهوض الاقتصادي بتعميم التجربة الثلاثية التي أشرنا إليها حتى تصير هذه التجربة لبنة عربية، فالعالم العربي يتمتع بإمكانيات هائلة يعوزها التآزر، والاستغلال والتفاهم وحسن الاستثمار[2].

المطلب الثالث:مفهوم التخلف وأسبابه.

تعد مشكلة التخلف التي يعاني منها المجتمع العربي من أكبر المشاكل التي تعرقل سيره إلى الأمام وتضعه في خانة الدول المتخلفة التي لا تتحكم في زمام أمورها الاقتصادية لأنها لا تنتج شيئا أو بحسب تعبير: كارل ماركس: لا تنتج قيمة إضافية، ولو وضع مشكلة التخلف ضمن نظرة شاملة ومتكاملة لحقق اقتصادا يمكنه من مواجهة الضرورات الداخلية والخارجية التي تحيط به، ومن هذا المنطلق عالج مالك بن نبي هذه المشكلة.

قبل التطرق للحديث عن أسباب التخلف سنقوم بتعريف التخلف حسب رأي مالك بن نبي يعرف بن نبي التخلف بأنه هو حاصل ضروب الافعالية الفردية، أي غياب الفعالية في المجتمع ، إذن فالتخلف يعني عند مالك بن نبي عدم الفعالية لدى الفرد في المجتمع، فمالك بن نبي يقرن

[1]. عمر بن قينة،**المرجع السابق**، ص78.
[2]. **المرجع نفسه**، ص 79.

النمو كحالتين متناقضتين وهما: الفعالية وعدم الفعالية على المستوى الفردي والجماعي، فحسب مالك بن نبي أن الفعالية الفردية تقود إلى التخلف على المستوى الجماعي بأكمله، وهو ما يصدق أيضا على الفعالية الفردية التي تقود المجتمع إلى النمو،وللتخلف جغرافية وتاريخ حسب بن نبي،أما الجغرافية فهي تشمل المساحة التي تنتظم على وجه التقريب نصف الكرة الجنوبي، أما من الناحية التاريخية فهناك شكلان للتخلف:

أ/ الشكل الذي يعزى إلى عوامل مرضية كالتقهقر الذي انتاب الماضي والحاضر تطور المجتمعات التي كانت نامية سابقا، كما هي الحال بالنسبة للمجتمع العربي.

ب/ الشكل الذي يعزى إلى عوامل دائمة ومزمنة من الركود في المجتمعات البدائية[1].

وهنا يتطرق مالك بن نبي إلى أسباب تخلف المجتمعات العربية بأنها تعود إلى مجموعة من العوامل، حيث يرى مالك بن نبي أن التخلف يعود سببه إلى الإنسان العربي الذي لم يعد يتعلم طريقة استعمال وسائله الأولية: أي التراب والوقت بصورة فعالة أو أن الإنسان قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال، بسبب الانفصال الذي حدث للحضارة الإسلامية والعربية بين الفكر والضمير بعد معركة حطين عام 537هـ[2].

يرى مالك بن نبي بأن المجتمعات العربية تواجه اليوم تحديين هما التحدي الداخلي الذي يتمثل في ضرورة البناء من الداخل، وتحدي خارجي يتمثل في التكيف مع التطورات الخارجية، وتقف أمام المجتمعات العربية صعوبات ومشكلات تعيقها عن تحقيق ما تصبو إليه، ويحاول مالك بن نبي اختزال هذه الصعوبات في ارتباطها بتكويننا وفطرتنا الاجتماعية فيما يلي:

1/ **الحالة النفسية التي يتواجد عليها الأفراد والمجتمع العربي:** إن المجتمع العربي عانى من مشكلتين مشكلة الاستعمار وما ترك من آثار نفسية على الأفراد والجماعات وبعد الاستقلال

[1]. عدنان خليل باشا، **إشكالية التخلف والمعادلة التنموية عند مالك بن نبي، مجلة الملك فيصل، العدد 196**، ص33.
[2]. **المرجع نفسه**، ص34.

أصبح يعاني مشكلة التخلف بكل أشكاله وصوره، فانقسم المجتمع على ثقافتين، ثقافة خاصة الغربية، والثقافة العامة المرتبطة بالأصول والمعايير الاجتماعية للأمة العربية، يضاف ذلك من تحديات ما قطعه المجتمع الغربي من أشواط لا يستهان بها من تقدم المجتمع ومدنية متطورة، كل هذا خلق لدى المجتمع العربي حالة نفسية سلبية قائمة على التردد وضعف الإرادة وقلة الحزم، وهو يرجع أسباب تلك المشكلات إلى طبيعتها لا إلى ضعفه النفسي في مواجهة هذه المشكلات وإيجاد حلول لها[1].

2/ الخلل الموجود في العوالم الثلاث(الأشياء، الأشخاص، الأفكار):

يرى مالك بن نبي أن هذه الصعوبات والمشكلات مردها إلى الفرد المثقف(عالم الأفكار والمرتبط أساسا بالثقافة والعامل ورجل المصنع (عالم الأشياء)، والمرتبط بالسياسة، وذلك حينما نتحدث إلى السياسيين، فالقضية منوطة أولا بالثقافة التي تكون عالم الأفكار وتحدد علاقتنا به وبالسياسة التي تكون عالم الأشياء وتحدد علاقتنا به والجدير بالذكر هنا أن الثقافة بما تقوم به من توجيه للطاقات الفردية، تعمل على تحقيق بناء الفرد في الداخل بالنسبة إلى مصلحته، ولتحقيق مكانه في المجتمع بانسجام تلك المصالح مع مصلحة المجتمع.يرى مالك بن نبي بأن المجتمع لا يتغير بوصفه كائنا اجتماعيا تغيره الظروف وحسب مالك بن نبي فإنه يجب على العالم أن ينظر إلى المشاكل الاجتماعية من زاوية الفعالية(المنطق العملي) ولا يعني هذا أن نغفل الجوانب الروحية في الإنسان،فمالك بن نبي يرى أن معالم التخلف الرئيسية وسماته تتمثل في[2]:

أ/ **تحلل العلاقات بين أشخاص المجتمع:** ذلك أن عوامل الأشخاص والأفكار والأشياء لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها(عالم الأشخاص) يضاف إلى ذلك

[1]. بوعزة صالح، **قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة، وحدة بحث ، تنمية الموارد البشرية، جامعة محمد لامين دباغين**، سطيف2، ص 26.

[2]. **المرجع نفسه**، ص27.

شبكة العلاقات الاجتماعية أو مجموع العلاقات الاجتماعية التي تنظم في إطارها عوامل الأشخاص والأفكار والأشياء ويظهر على السطح عدم استخدام، أو سوء الاستخدام الجاد وأدى إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه، وحين ترتخي شبكة العلاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه.

ب/ **فوضى الأفكار والتكديس:** فالمجتمعات النامية هي التي تحقق الانسجام والتوازن بين عالم الأفكار والأشياء والأشخاص، لكن فوضى التكديس والنزعة الذرية والخلط في عالم الأفكار هو ميزة البلدان المتخلفة والتكديس ظاهرة اجتماعية تظهر في المجتمعات في مراحل تخلفها، لأنها في هذه المرحلة لا تفكر ولا تنظم أعمالها طبقا لأفكار وقوانين، وإنما تكدس الأشياء، ويرى مالك بن نبي أن المجتمع العربي يعتريه مرض نفسي يجعله عاجز وهذا المرض يتمثل في التكديس ذلك أن الأزمة الممتدة في ضميره تكمن في نقص الأشياء، لذا لجأ إلى تكديس أغلب الأشياء والذي هو ظاهرة عامة في العالم العربي، فكم من ورشة ومؤسسة تعمل على جلب الوسائل الحديثة لكن بدل استغلالها في مشاريع تنموية، تقبع في مستودعات ومخازن، تفقد قيمتها يوما بعد يوم[1].

3/ **دخول المجتمع العربي في أزمة ثقافية:** عندما تحلل الفرد من قيود الضغط الاجتماعي الذي يمنع أي نشوز فردي في السلوك وتخلى عن مبدأ النقد المتمثل في الحديث الشريف(من رأى منكرا فليغيره بيده)فكانت النتيجة: مظاهر سلبية ثقافية أسماها مالك الصبيانية في التفكير، والتناقض، ورفض الإصلاح، وعدم القبول بالنقد، والخيانة، والتحريف، والمداهنة والانتهازية والغلو والتقديس للأشخاص والأشياء والتقليد الأعمى و الامسئولية، وتضخيم الذات والخجل من الماضي والتراث، وتباهي التقليديين به من جهة وظاهرة خجل التقدميين من التراث والنفور منه من جهة أخرى وهو ما يطلق عليه مالك بن نبي باسم التقاطب المزدوج[2].

[1]. العابد ميهوب، **مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي، علوم الإنسان والمجتمع، العدد 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عاشور زيان،** الجلفة، الجزائر، 2012، ص 147.

[2]. **المرجع نفسه**، ص148.

4/ **التجزئة في التفكير**: وما يصاحب ذلك من افتقاد الدقة وافتقاد العقل التطبيقي بالفصل بين النظر والتطبيق والانفصام بين القول والعمل، والشعور بالنقص والانعزالية والانتكاس والخواء.

5/ **الجمود بسبب الإفلاس الخلقي والاجتماعي**: والفلسفي وما ينجم عن ذلك من سلبية وفتور، والقعود عن الواجب والمطالبة بالحق والخنوع والاستسلام للواقع والركون إلى الماضي والتباهي به وكساد الفكر وكساد الطاقات الاجتماعية واستنزاف الوسائل الترابية والزمنية.

إن التخلف وكما رأى بن نبي هو مشكلة وهذه المشكلة ستبقى هكذا إذا ما لم نسارع في التخلص منه ومن تبعيتنا للغرب و محاولة إيجاد حلول التنمية التي تخلصنا من مشكلة القابلية للاستعمار الاقتصادي الذي حاول تحليلها بمختلف أبعادها وإيجاد حلول لها والتي لن تكون إلى بمشروع وخطة اقتصادية تنموية ذات مذهب واضح وناجح[1].

المطلب الرابع: مفهوم التنمية وأساليبها

يقصد بالتنمية عند مالك بن نبي هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده وفي كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له وفي هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه، فلتحقيق التنمية يتطلب أن يرتفع الشعب بفكرته إلى الأحداث الإنسانية وأن يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو عدمها، فالعناصر الضرورية التي يمكن انطلاقا منها الحديث عن أي مشروع تنموي هي الإنسان والتراب والوقت كل هذا في إطار الدافع الديني[2].

ويؤكد مالك بن نبي على أن الهدف من كل تغيير اجتماعي هو الوصول إلى الحضارة، فغاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية، وهو ما نطلق عليه اسم الحضارة، ومادامت التنمية كما سبق أن تحددت لنا بعض أبعادها هي عملية تغيير اجتماعي،

[1]. عدنان خليل باشأ ،**المرجع السابق**، ص 34.
[2]. سامر مظهر قنطقجي، **النظرية التنموية في فكر ابن خلدون ومالك بن نبي، www.kantakji.com** ، ص 5.

فإن كل جهود التغير ينبغي أن تتكتل لتفضي في الأخير إلى الهدف الأساسي وهو الحضارة، لقد أمعن مالك بن نبي في النظر إلى مشكلات التخلف المزمنة متجاوزا الظواهر الطافية على السطح إلى الجذور المتغلغلة في الأعماق وباحثا عن السنن والقوانين الكفيلة بتحول الشعوب من حالة العجز إلى القدرة والفعالية ومن مشكلة الاستعمار إلى مرض القابلية للاستعمار، ومن حالة التكديس، إلى حالة البناء والتشييد، ومن المطالبة بالحقوق إلى القيام بالواجب أولا، والانتقال من عالم الأشياء والأشخاص إلى عالم الأفكار، ومن هنا نبدأ بحل مشكلة التخلف[1]، ويجب أن نصل إلى قناعة حسب رأي مالك بن نبي وهي قناعة حتمية بأن مفاتيح حل المشكلات هي في الذات لا عند الآخر،إن مشكلة النهضة حسب بن نبي تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب، ومشكلة الوقت فلا تكدس المنتجات لبناء نهضة بل تحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها، إن مالك بن نبي قد أقر بأن مشكلة الحضارة أو التنمية بمفهومها الحالي لا تحل باستيراد منتجات حضارية[2].

فالتنمية لا تشترى ولا تستورد بل هي تراكيب ذهنية ومعادلات اجتماعية قبل أن تكون مسألة بحث عن الأموال من أجل العمل والاستثمار، بيدَ أن أنماط التنمية تمثل نقطة التركيز الأساسية لفكرة النمو، فالنظرية الاقتصادية تبحث في كيفية الوصول إلى أعلى درجة للرفاهية الاقتصادية عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد النادرة والاعتماد على العنصر البشري، في هذا الإطار يمكن أن نتكلم عن أنماط التنمية والمتمثلة في النمو المتوازن والذي يعني أن عملية التنمية تبدأ بالقضاء على مشكلة ضيق السوق فانخفاض الإنتاجية في البلدان العربية يترتب عليه انخفاض في الدخل ومن ثم انخفاض الحافز على الاستثمار، وبذلك تكون إستراتيجية النمو المتوازن تكمن في وضع برنامج استثماري يتوجه إلى المشروعات الصناعية، غير أن هناك طرح آخر يرى بأنه لتحقيق اقتصاد تنمية يجب الاعتماد على القدرة في اتخاذ القرارات

[1].سامر مظهر قنطقجي، **المرجع السابق**، ، ص06.
[2]. الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2006، ص226.

وبصورة خاصة اتخاذ قرار الاستثمار بأعلى فعالية ممكنة[1]، ومهما يكن الأمر فإن الاستثمار سوق يخلق فرصا أخرى للعمل والإنتاج وبالتالي يشكل دفعا جديدا للتنمية، وعلى هذا الأساس فإن التكامل هو الطريق السليم لتأمين وتطوير النشاطات الاقتصادية من أجل تحقيق اقتصاد التنمية، إن مالك بن نبي يرى بأن أي مبدأ اقتصادي لا يمكن أن يكون له أثره الإيجابي ومقدرته التامة على التأثير إلا في الظروف التي يتفق فيها مع تجربة اجتماعية معينة ولكي تؤتى النظريات الاقتصادية ثمارها داخل المجال الاجتماعي يجب ألا يقتصر على دراسة علم الاقتصاد في المعاهد والجامعات بل يمكن أن يطبق هذا العلم على التجارب الجماعية، فإذا صار الاقتصاد في الغرب، ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية وقانونا جوهريا لتنظيمها، فإنه في الشرق ظل عكس ذلك حتى أن نظرية ابن خلدون التي تناولت العوامل الاقتصادية في التاريخ، قد ظلت حروفا ميتة في الثقافة العربية حتى نهاية القرن الأخير، لإحجام مجتمعنا عن وضع نظرية، كما حدث في المجتمع الشرقي الذي بقي متشبثا بالزهد كمثل أعلى منذ قرون فأهملت النظرية وانفصل المبدأ عن العمل في حين كان الواجب يقتضي ترابطهما، فكثرت حاجات المسلم والعربي وقلت وسائله وبقي يرتجف خوفا من الجوع، وقد غذى الاستعمار فيه هذا الخوف ونماه ليخدمه، إن مالك بن نبي يعطي أهمية للمبدأ الاقتصادي وتلاؤمه مع الظروف الاجتماعية، ويرى مالك بن نبي أن شروط الديناميكا الاقتصادية تتجلى في مسلمتين أساسيتين هما[2]:

1/ **لقمة العيش حق لكل فم:** وهو اختيار يجب تدوينه في الدستور كعقد أخلاقي اجتماعي.

2/ **العمل واجب على كل ساعد:** بمثابة ضرورة تفرضها المسلمة الأولى كشرط لاستمرار التفاعل وضمان جدلية على مستوى الإنتاج والاستهلاك.

---

[3].شعيب شنوف، مداني عصمان، **الاقتصاد العالمي العادل مالك بن نبي نموذجا، الملتقى الدولي الأول، الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل**، المركز الجامعي، غرداية، يومي 23_ 24 فيفري 2011 ص، .30.

[1]. مرزوقي بدر الدين، **الأسس الحضارية للظاهرة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي قراءة نقدية في بعض المفاهيم الحديثة**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، جوان 2016، ص 670.

إن مالك بن نبي ومن خلال معادلته الحضارية يتضح لنا أن المنتج الحضاري لأي شعب من الشعوب هو المادة الأولى التي يقوم عليها استمراره وأمنه القومي، وبقدر ما يملك من طاقة بشرية فاعلة وإرادة طبيعية للبقاء وقدرة على تفاعل المنتج الحضاري وامتزاجه بعقيدة راسخة تضمن تماسكه ووفرة عطائه، وبقدر ما يكون منتجه الحضاري أكثر وفرة و أدى إلى البقاء والتماسك سينعكس في تحقيق الأمن والاستقرار وبذلك يتحقق الاستثمار وينبني العمران ويعمر، وإذا كان من بين أهداف التنمية الشاملة للقضاء على التبعية للغير فلاشك أن الامتثال لما أشار إليه بن نبي سيحقق نهضة عربية حقيقية تضمن أمنا غذائيا على أقل تقدير، إن التحدي الذي يواجه الأمة العربية اليوم ذو جانبين: [1]

1/ الوعي بالأفكار السابقة خاصة بأن استيراد المنتج الحضاري لا ينتج حضارة.

2/ العمل على الاستفادة من المنتجات الحضارية الغربية وذلك ب:

أ/ بناء الإنسان الواعي الحامل لهموم أمته[2].

ب/ توفير الشروط الملائمة لاستغلال الأراضي والاستفادة منها(بالزراعة والاستصلاح)

ج/ استثمار الزمن:

إن مالك بن نبي يعطي أولويات للتنمية على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الداخلي يرى بن نبي أن مشكلة التنمية في هذا المستوى هي خلق شروط الإقلاع الاقتصادي ودفع المجتمع نحو الحركة وحتى نصل إلى تحقيق هذا الهدف الإستراتيجي ينبغي أن ننظر في وسائلنا وإمكاناتنا الذاتية بحيث تكون هي الأساس الذي ننطلق منه في رسم خططنا التنموية وبصورة عامة فإن الرصيد الاقتصادي لأي بلد متخلف لحظة إقلاعه لن تكون

[1]. البشير مصيطفى، **مجلة الموافقات**، العدد 3 جوان 1994، **المرجع السابق**.

[2]. سامر مظهر قنطقجي، **المرجع السابق**، ص 9.

غير: ما يملك من مواد خام في السوق وفي باطن الأرض، وكذلك العمل المتوقع الذي يمكن أن نحوله إلى واقع بعد ساعات العمل، وظف إلى هذا فلاحته والتي تزيد أو تنقص بدرجة وسائله البدائية[1].

أما على الصعيد الخارجي: فنقصد بذلك جملة الآليات والكيفيات التي يجب أن تتبعها البلدان المتخلفة لتحقق إقلاعها التنموي، فإذا كانت الأولويات الداخلية ممكنة التحقيق في حجم الدولة الواحدة، لأنها مشاكل تقبل الحل في هذا المستوى، فإنه هناك أولويات أخرى، لا يمكن للبلدان المتخلفة تحقيقها إلا في ظل تعاون إقليمي أو دولي ينسق الجهود ويضبط الخطوات[2].

إن مالك بن نبي يدعو الدول العربية كمجموعة دولية لها إمكانياتها وقدراتها الضخمة، إلى إعادة النظر في تنظيم حياتها الاقتصادية على شروط تحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها، تمكنها من تحقيق اكتفائها الذاتي ومواجهة الظروف الدولية الصعبة، ويطرح في هذا الإطار مشروعات تمهيدية يمكن من خلال تطبيقها أن تكون لبنة أولى نحو التكامل الكلي، مثل مقترحه حول تمويل مشروع ذي مصلحة عامة كخزان أسوان، حيث يمكن أن تشترك فيه مصر والسعودية، باعتبارها بلدا تصعب الزراعة فيه نظرا لطبيعتها الصحراوية أو بمقترحه حول اتفاق ثلاثي يجمع مصر والسودان والسعودية لري وإخصاب منخفض القطارة وستكون هذه المشاريع بما ستحققه من نجاح تعزيزا نفسيا واقتصاديا لخطوات لاحقة على طريق الوحدة والتكامل الاقتصادي، أو الحضارة ولذلك لن تستقيم أمور البشرية عموما إذا أغفلت الجوانب النفسية والأخلاقية والاجتماعية والعقدية والعنصر الجامع لتلك الجوانب هو الدين[3].

[1]. مرزوقي بدر الدين، **المرجع السابق**، ص670.
[2]. الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، ط1، دار الهادي بيروت، لبنان، 2006، ص 222.
[3]. **المرجع نفسه**، ص 236

المطلب الخامس: علاقة البترول بالاقتصاد.

يعتبر البترول من أهم الموارد الطبيعية التي يعتمد عليها الوطن العربي، وذلك لأهميته الاقتصادية ودوره في تحقيق استثمارات مالية هامة، فالنفط العربي يتميز بعدة ميزات بارزة، أهمها سهولة العثور عليه، وقلة تكاليف إنتاجه وتطويره ووفرة آباره وموقعه الإستراتيجي بين الشرق والغرب، فنظرا إلى أن الحقول النفطية الرئيسية تقع في المناطق البرية القريبة من المياه العميقة، أي المناطق القريبة من موانئ التصدير، فإن تكاليف إنتاج النفط العربي أرخص بكثير من تكاليف إنتاج النفط في المناطق الأخرى من العالم.

ولقد شعر مالك بن نبي بالقيمة الحيوية التي يحتلها البترول العربي ووزنه الاقتصادي، وهو ما استشعره الاستعمار الأوروبي الذي حاول بث التفرقة العربية، فكما يرى مالك بن نبي أن أي سياسة موحدة بين العرب سيتهدد بها مستقبل الدول الغربية وستنعكس عليهم، لذلك سعت بعض الأقلام والأبواق المأجورة بمحاولة لإقناع العرب بأنه سلاح ذو حدين.

ولكن في الحقيقة فإن الاستعمار كان يخاف على نفسه من هذا السلاح ولذلك انتهج أسلوبين اتجاه العرب وهما: التخويف من جهة والاستمالة من ناحية أخرى حتى يحقق فائدتين، فالاستعمار يعرف بأنه وبسياسته هذه لن يتفق العرب ولو اتفقوا على كل شيء سوى شيء واحد فإن الاستثناء سيكون انتصار لصالح الاستعمار، ولذلك نجد أن الدول الغربية تعقد اجتماعات لمناقشة هذا الوضع والاتفاق حول سياسة واحدة ومن هنا سيصبح البترول العربي وجها لوجه مع الإمبرياليون.

ومن هنا سوف نرى المكائد التي سوف يديرونها للعرب لتمييع موقفهم[1]، ومن هنا طرح مالك بن نبي سؤال وهو ماذا يجب أن نفعل كي لا يرتخي هذا الموقف؟ وكيف سيتم إبراز التأثير البترولي العربي في الموقف الراهن؟ إن لكل سياسة تتطلب شيئا فشيئا من المثالية توحي

[1]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص161.

بمسوغاتها[1]، وشيئا من الواقعية تحدد وجوه تطبيقها والطرق الفنية للانجاز فالمثالية لكي تتوفر يجب أن تكون لديها قاعدة متينة وأن تكون من فولاذ كي لا يرتخي الموقف العربي ولا يتزعزع عليها بناء الوحدة الاقتصادية العربية مهما كانت الأعاصير والمناورات والمحن فالمثالية التي نتحدث عنها لا تتنافى مع الواقعية بل تقتضيها على مستوى كبير.

ومن هنا فإننا نقول بأن الواقعية تختلف في الأوطان العربية وهذا الفارق ليس في التاريخ لأنه واحد بل يعود للاستعمار ومن هنا فالمثالية لا تكفي لوحدها، فهي تتدخل لتحديد التزامات كل بلد من الوطن العربي، ولتفرض العقوبة المعنوية لكل مخالفة يكتبها هذا البلد أو ذالك[2]، على أن تكون الالتزامات تلك فوق طاقة أي بلد وأن نتخذ التدابير اللازمة لمساعدة أي بلد على القيام بالتزاماته هذا الجانب هو ما تتولاه الواقعية فتجعلنا نلاحظ بأن أعضاء المجموعة ليسوا كلهم مرتبطين بقضية البترول في مستوى واحد، فبالنسبة لبعض الدول العربية كالكويت والعراق والسعودية(في وضعه الراهن) يشكل البترول المورد الوحيد ويكون تقريبا كل ميزانيتهم أما بالنسبة للأعضاء الآخرين كالجزائر فالبترول يضيف فقط إلى المدخول العام ومصر ومراكش لا يهمها الأمر لأنها مجموعة تفرض عليها الظروف القاسية أن تحدد سياسة بترول لم تحدد بعد.

إن هذه الأوطان جميعها تجعل من حالة البترول مشكلة وقضية حياة أو موت بالنسبة إليها، فإذا كانت الصيغة العربية الكفيلة التي تضع حدا لهذه الأوضاع في الحساب هي أن تقوم بإقامة سوق عربية مشتركة، فإنهم سيجدونها حتما هي النموذج الأوروبي[3]، ولكن ما يجب الإقرار به أن الدول العربية لا تستطيع المنافسة في السوق العالمية أمام الكتل الاقتصادية المتكاملة الأوروبية أو الولايات المتحدة الأمريكية أو الصين وهو يتطلب من الدول العربية

---

[1]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص162.

[2].**المصدر نفسه**، ص162

[3]. **المصدر نفسه**، ص ص 163_ 164

مراجعة نفسها،و تطالبها بذلك ظروف أقسى من تلك التي أوحت بالسوق المشتركة الأوروبية، إن الدول العربية عليها أن تدرك بأن قضية البترول واستقلاله هي مجرد خطوة أولى نحو استقلالهم الاقتصادي ظف إلى ذلك الرقعة الجغرافية العربية وعدد سكانها ومساحتها وما تنطوي عليه من خيرات قد تحقق الشروط الأولية للاستقلال الاقتصادي فمشكلة البترول هي وحدها كفيلة بتحريك الضمير في العالم العربي نحو وعي اقتصادي ينسجم مع الوضع الراهن[1]، وهو ما سيكون كخطوة تساعد على وضع الاقتصاد العربي على قواعد سليمة لأن من يسعى لتحرير البترول في الخارج من ربقة الاستعمار عليه أن يتحرر هو منربقةالبترول في الداخل أي لا يجب علينا الاعتماد عليه كليا في النهوض بالاقتصاد دون أن ننسى أن العرب يجب عليهم أن يقوموا بتحديد نظام العملة المناسب[2].

خلاصـة: بعد دراستنا لهذا الفصل نستنتج بأن الحركات الإصلاحية التي عرفها الوطن العربي وعلى الرغم من محاولاتها الإصلاحية إلا أن مالك بن نبي كان يرى فيها بعض النقائص و هاته النقائص هي التي لم تسمح لها بالاستمرار، فما نستخلصه هو أن مالك بن نبي يرى بأن مسار الحركات الإصلاحية كانت تشوبه بعض النقائص تعود إلى المنهج الذي اتبعه المصلحين في حد ذاتهم، وهنا مالك بن نبي أعطانا طريقة إصلاح هاته الحركات وطريقة السير بها من أجل ضمان نجاحها واستمرارها، أما في الجانب الاقتصادي فنستخلص بأنه للنهوض بالاقتصاد العربي لابد لنا من التخلص من التبعية للغرب، وكذلك الحفاظ على الموارد الطبيعية، وكذلك ترشيد الاستهلاك حتى نستطيع التخلص من التخلف الذي يسود المجتمع العربي والركود الاقتصادي، ولن يكون ذلك إلا من خلال إتباع سياسة تنموية تضمن لنا السير في ركب التقدم، ولن تنجح هاته الطريقة إلا من خلال تكاثف كل الجهود الفردية والجماعية للمجتمع الواحد في الوطن العربي.

---

[1]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**، ص165.

[2]. **المصدر نفسه**، ص 166، 167

الفصل الثالث:

المسألة الثقافية والفكرية عند مالك بن نبي

تمهيـــــد:

تعتبر مشكلة الثقافة والأفكار من بين أهم المشكلات التي شغلت فكر مالك بن نبي وذلك لما لهما أهمية كبرى وانعكاسا على حياة الفرد والمجتمع، فالثقافة هي سلوك لدى الفرد، وهي تؤثر على الوسط الاجتماعي من مختلف جوانبه، حيث أنه يتم فيها بناء المجتمع بناء صحيح، فالفكرة هي ثقافة، والثقافة هي سلوك ينعكس تطبيقه على الوضع الاجتماعي فإما تطور، وإما تخلف، فإذا حدث أي خلل في هذين الجانبين سيؤديان حتما إلى نتائج عكسية على الفرد، والمجتمع العربي يعد من بين المجتمعات التي تعاني بعض من المشكلات الثقافية والفكرية، والتي قامت بخلق أزمات اجتماعية، حطمت البنية الاجتماعية للشعوب العربية، وفرضت عليه التبعية للغرب فأصبح منقاد للغرب ومقلد له في كل شيء سواء، مفيد أو غير مفيد، مناسب أو غير مناسب لذلك المجتمع، ومن هذا المنطلق وقف مالك بن نبي موقفا خاصا اتجاه هاتين المشكلتين، وحاول تذليل الصعوبات والتمييز بين السلب والإيجاب، محاولا إعطاء الحلول وتبسيط هاته المشكلات من أجل إيجاد الحلول المناسبة لها، وكيفية النهوض بالمجتمع العربي ووضعه في مصاف الدول الكبرى، فياترى كيف عالج مالك بن نبي هاتين المشكلتين؟.

المبحث الأول: المسألة الثقافية عند مالك بن نبي.

المطلب الأول: المفهوم العام للثقافة في التاريخ.

تعتبر الثقافة من بين المشكلات التي شغلت حيزا كبيرا من الإنتاج الفكري لمالك بن نبي الذي رأى إدراجه تحت إطار عام و هو مشكلات الحضارة، وذلك لما بين الثقافة والحضارة من علاقة لا تقبل الانفصام، فالثقافة كما يرى مالك بن نبي هي جوهر الحضارة، إذ أن الحضارة في حقيقتها قيم محققة في عالم الواقع[1]، ومن ثم هو لا يلجأ إلى تقديم تعريف واضح عنها وإنما يعرفها باعتبار صلتها الوظيفية بالحضارة، لكن قبل التطرق إلى مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي سنقوم بتعريف مصطلح الثقافة مثل ما ورد في المعاجم العربية: بالرجوع إلى المقدمة نجد أن ابن خلدون ذكر كلمة (الثقافة) وتبعه في ذلك العديد من العلماء والمفكرين فقال(وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة ويلبسون على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها)[2]، وفي المعجم الفلسفي: فإن الثقافة هي كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية ولكل جيل ثقافة التي استمدها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر وهي عنوان المجتمعات البشرية[3].

وبالرجوع إلى مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي فإننا نجده يعطينا عدة مفاهيم للثقافة ومن عدة زوايا، فمالك بن نبي وكما نعلم لم يتوقف عند وضع مفهومه العام للثقافة بل راح يستقرىء

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984، ص 19.

[2]. جميلة بنت عيادة الشمري، **مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، شبكة الألوكة، دس ن، ص 5.

[3]. **المرجع نفسه**، ص7.

التاريخ لعله يعثر فيه على مدلول للثقافة يتوفر فيهما شرطان وهما:الفهم وإمكانية التطبيق ويقول في ذلك (إنه لمن أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي[1]، ولذلك يجب أن نحددها كعامل تاريخي لكي نفهمها كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع وقد حدد مالك بن نبي انطلاقا من هذا المبدأ معنى الثقافة في التاريخ معتبرا إياها تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيها، فلا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، لأن الشعب الذي فقد ثقافته، فقد حتما تاريخه، فالثقافة في عمومها هي المحيط الذي يحيط بالإنسان وهي الوسط الذي تولدت داخله وتتشكل بموجب ظروفه خصائص المجتمع المتحضر تبعا للغاية التي رسمها المجتمع لنفسه ويشترك في ذلك كل فرد من أفراده دون استثناء[2]، بغض النظر عن فئاتهم ومستويات تكوينهم واهتماماتهم، لقد لاحظ مالك بن نبي أن تعريف الثقافة يختلف باختلاف الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأمم والشعوب، ففي الغرب الرأسمالي يعرفون الثقافة بأنها تراث الإنسان، أو فلسفة الإنسان بمعنى أن مشكلاتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان، أما في البلاد الاشتراكية فإنهم يلاحظون في تعريفها وعلاقتها بالمجتمع ووظيفتها فيه، فيذهبون إلى القول بأنها فلسفة المجتمع[3].

إن هذين التعريفين بالنسبة لمالك بن نبي يعتبران مفهوم عام لفكرة واحدة عن الثقافة دون تحديد لمفهومها بشكل صحيح، ومن هنا يرى مالك بن نبي أنه يجب الربط بين الثقافة والحضارة وفي هذا الربط تصبح الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة[4]، إن مالك بن نبي يربط بين الثقافة والحضارة من حيث مفهومها ووظيفتها الاجتماعية

---

[1]. لويزة لعميري، **المرجع السابق**، ص33.

[2]. **المرجع نفسه**، ص ص 34_35.

[3]. آمنة تشيكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص128.

[4].**المرجع نفسه**، ص129 .

والتاريخية فالثقافة عنده هي علاقة متبادلة هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد، إن التبادل يتم بين جانبين متصلين هما الفرد والمجتمع وهذا ما يمثل الجانب النفسي والجانب الاجتماعي في الثقافة، وإن كان بعض المفكرين يعتبرون الثقافة قضية فرد فقط، وبعضهم الآخر يعتبرونها قضية مجتمع فحسب[1].

تكبر الصلة بين الثقافة والحضارة لكون الثقافة عامل اجتماعي مهم جدا في التاريخ، إذ لا يمكن أن تتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه، فالثقافة هي الإطار المرجعي للأفكار والأفعال التي تجمع بين راعي الغنم والعلم جمعا يبرز السمات المشتركة بينهما، فالثقافة ليست ملكا لطبقة معينة بل إنها قاسم مشترك بين كل الطبقات حيث تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة على هذا النحو ليست علما يتعلمه الإنسان بل هي محيط يحيط به وإطار يتحرك في داخله ويغذي الحضارة في أحشائه[2]، إن الثقافة هي سلوك حضاري،

إن مالك بن نبي يرى الثقافة على أنها هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد.

فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سمتها

[1]. جيلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص47 .

[2]. فوزية بريون، **المرجع السابق**، ص212 .

الخاصة ويحدد قطبيها: من عقلية ابن خلدون وروحانية الغزالي، أو عقلية ديكارت، وروحانية جان دارك، حينها يكون هذا هو معنى الثقافة في التاريخ[1]،

ومن هذا المنطلق يتساءل مالك بن نبي من أين جاءت كلمة ثقافة، ومنذ متى استخدمت في اللغة العربية، إن هذا السؤال يجيب عنه مالك بن نبي حيث يقول: نستشير قاموسا ولكن القواميس الموجودة بين أيدينا لا تذكر هذه الكلمة إلا لماما سواء في ذلك القديمة والحديثة والعلامة وجدي فريد يقول في دائرة معارف القرن العشرين/ المجلد الثاني(ثقف، يثقف، ثقافة) حيث يرى مالك بن نبي أن مصطلح الثقافة لم نجد له أثرا لتلك الكلمة بالمعنى الحقيقي لتلك الكلمة في لغة ابن خلدون، ولم تستعمل في العصر الأموي والعصر العباسي، إذ لا أثر لها في اللغة الأدبية أو في اللغة الرسمية والإدارية لذلك العصر[2].

إن كلمة الثقافة تبدو لي حسب رأي مالك بن نبي و في مصطلح ابن خلدون هي مرادف لما يسميه في مصطلحه الخاص(الصناعة) صناعة الفقه، التاريخ..... الخ، فأحيانا يجمع مجموعة الصناعات بكلمة ثقافة، إنما مدلولها اليوم قد اتسع أكثر من ذلك بكثير لقد بقيت الكلمة في الحقيقة نادرة الاستعمال.

بيد أن الكلمة أو المصطلح قد أخذ نفسا في عصرنا الحاضر وبدأ كأنما تجدد[3]، فبالنسبة لمالك بن نبي بأن هذا المصطلح يعود إلى الربع الأول من القرن العشرين ليس أكثر من ذلك فنحن مثلا، لا نجد لها أثرا في كتابات محمد عبده ولا كتابات جمال الدين الأفغاني،

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة، المصدر السابق**، ص77 .

[2]. مالك بن نبي، **مجالس دمشق،محاضرات ألقيت بين عامي، 1971/ 1972، حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص 94.

[3]. **المصدر نفسه**، ص95 .

بل ظهرت في الربع الأول من القرن العشرين في مصر كما ظهرت مع سلامة موسى، هو الذي أعطى لكلمة ثقافة قيمة في التاريخ الثقافي العربي مصطلحا[1].

إن محاولة حصر المفهوم الذي وضعه بن نبي للثقافة أمر يفرض علينا إن صح التعبير منهجا معينا في عرضه كون بن نبي حدد مفهومه في أكثر من مؤلف، معتمد في كل مرة على وجهة نظر تختلف في أسبابها على سابقتها، مما جعل تعريفه للثقافة واردا بعدة صيغ[2]، فمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي نجده قد أدرج أول مرة في كتاب شروط النهضة، تحت عنوان رئيسي هو الإنسان الذي هو الطرف الأول من معادلته[3]، عن الحضارة باعتبار الثقافة من الأشياء الإنسانية التي تستوجب التعريف أما إذا أردنا توجيهها في مسار النهضة في العالم العربي والإسلامي، إلا أن تعريفها في هذه الحالة ينحصر بين نوعين من التحديد(سلبي يفصلنا عن رواسب الماضي، وإيجابي يصلنا بمقتضيات المستقبل).

وعلى هذا الأساس نرى بأن مالك بن نبي يعطينا مفهوم آخر للثقافة بأنها مجموعة من الصفات الخلقية التي يلقاها الفرد منذ ولادته بأسلوب حياته كرأس مال أولي، في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا الأساس هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[4]، ويمكن أن نقوم بتعريف الثقافة من المنظور التربوي وتعني أن الثقافة هي الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة تبقى لديهما من دفعة الروح التي ابتدأ بها المجتمع الدخول لمرحلة الحضارة، إن هذا التجديد للثقافة يخرجها من إطار المعرفة إلى إطار السلوك فهي لديه نظرية في السلوك وليست نظرية في المعرفة، إن الثقافة هي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعا

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة،المصدر السابق**، ص79 .

[2]. حسن الساعاتي، **مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي**، برنامج الكتاب فكرة، أستاذ جامعي، برنامج إذاعي بث على إذاعة البحرين يوم الإثنين 4 مارس 2013، متوفر على الرابط: التالي: http://www.youtube.com

[3]. جيلالي بوبكر، **المرجع السابق**، ص 47.

[4]. لويزة لعميري، **المرجع السابق**، ص30 .

للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من خصائص ذاتية للمجتمع[1].

إن هذا التعريف الذي أعطاه مالك بن نبي للثقافة في رأيه هو الذي يحدد مفهومها فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، الذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، أي في إطار معطيات خاصة الإنسان والمجتمع، وهو ما يقودنا إلى ذكر عناصر الثقافة التي أوردها مالك بن نبي وهي عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء الطبيعية، ولكي تتحقق هذه العناصر يجب أن نوثق الصلة الضرورية بين الفرد وبين العوالم الأربعة [2]، فالثقافة إذا ما تكونت في مجتمع نشأت فيه تلقائيا، وتحدد فيه فاعلية الفرد ولكن ما هي الثقافة التي تنشئ الصلات الثقافية في المجتمع وتخلف الفرد الفعال؟

لكن لابد من تصنيف عناصر الثقافة من عادات وتقاليد .... حيث يمكن تصنيفها تصنيفا ينتهي إلى تطبيقه فهناك مبادئ أربعة كفيلة بجمع شروط الفعالية التي هي الشيء الذي يريده مالك بن نبي من وراء كلمة ثقافة: المبدأ الأخلاقي/ المبدأ الجمالي/ المنطق العملي/ العلم أو الصناعة[3].

المطلب الثاني: الجوانب النفسية للمسألة الثقافية.

إن المسألة الثقافية عند مالك بن نبي وكما سبق تعريفها بأنها هي الكتلة النفسية بما تتضمنه من عادات وتقاليد، أي أن هذه الثقافة لها مجموعة من الجوانب النفسية والاجتماعية تؤثر عليها وهي التي تدفعه إلى التغيير أو الركود والتبعية، ومن جملة الأسباب النفسية نجد:

---

[1]. عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص 239.

[2]. آمنة تشيكو، **المرجع السابق**، ص 129،130 .

[3]. عبد الله بن حمد العويسي، **المرجع السابق**،361.

أ/ **القابلية للاستعمار**: إن مصطلح القابلية لاستعمار هو مصطلح أو مفهوم طرحه مالك بن نبي في 1948 في كتابه شروط النهضة، وهو أكثر المفاهيم شيوعا وإثارة للجدل اعتبارا لتعارضه مع أكثر الطروحات قبولا في علم الاجتماع، إن مفهوم القابلية للاستعمار[1] يعد بمثابة محصلة الاستعمار في حد ذاته وليست سببا ممهدا أو عاملا مساعدا لقابلية المجتمعات المستعمرة التي أدخلت قسرا أو عمق الاستعمار ذاته مقومات تخنقه وبالتالي تضخم قابليته للاستعمار،وفي هذا السياق يتكلم مالك بن نبي أن الاستعمار يقوم بالانتقاص من أفكارنا[2]، أعني افتقادها فعاليتها في البناء الاجتماعي في الأكثر خداعا، فالمعمر وخاصة إذا كان واعيا بأنه أقل من المستعمر حضاريا، إلى الإيحاء للشعب الذي استعمره بأنه ما كان له أن يستعمر لولا أنه كان ضعيفا بطبعه ففكرة القابلية للاستعمار تعني في الغالب التخلف الحضاري الذي أصاب المسلمين في العصور الأخيرة مما يجعل عدوهم يتغلب عليهم ويستعمرهم ويفرض عليهم مدنيته[3].

وربما يكون تركيز مالك بن نبي على هذا المصطلح، لأن كثيرا من المسلمين والعرب يحاولون تعليق تخلفهم وضعفهم وقلة حيلتهم على الاستعمار، فأراد مالك بن نبي إرجاع المشكلة إلى سببها الأول، وهو القابلية للاستعمار أي إلى الخسائر التي ألحقناها بأنفسنا، قبل أن نتحدث عن الخسائر التي ألحقها بن الآخرون مطابقة لقوله تعالى(قل هو من عند أنفسكم)[4].

---

[1]. شهاب اليحياوي، **نظرية التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي من خلال مفهومي دورة الحضارة والقابلية للاستعمار**، المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات، بقفصه، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة، حمة لخضر، الوادي، العدد 19، نوفمبر 2016، ص، 190.

[2]. **المرجع نفسه**، ص 191.

[3]. محمد العبدة ، **المرجع السابق**، ص80.

[4]. **المرجع نفسه**، ص 81 ،82.

إن الفكرة التي يريد مالك بن نبي أن يوضحها هي أن مقابل الاستعمار الذي يتصف بالمكر والخداع والشراسة هناك القابلية للاستعمار التي تتصف بالدناءة والخبث والخيانة، فإذن المشكلة مشكلة أخلاقية في المجتمع العربي ولكن مالكا في تحليله هذا نسي أشياء مهمة فالاستعمار يعامل الشعوب العربية بقسوة بالغة حتى يحطم الشخصية الإنسانية، وحتى يصاب الفرد باليأس والإحباط.

إن فكرة القابلية للاستعمار تتجلى في ذلك الكسل العقلي والعملي الذي نواجه به مشكلات تتطلب الفعالية والهمة العالية والنشاط الدائم، فلا يمكن لمجتمع يريد النهوض من كبوته أن يهمل دعم البحث العلمي ويعطل طاقات بشرية هائلة ويخدرها بمختلف أنواع التخدير أو يشغلها بمشكلات ثانوية عن مشكلاتها الجوهرية خوفا من ردود أفعالها غير المتوقعة[1]،إن المستعمر بالنسبة لمالك بن نبي هو من يحارب الجهود المبذولة، في محاربة الأمية فهو يسعى إلى نشر الرذيلة والحط من الأخلاق التي تساهم في تشتيت المجتمع وتفريق أفراده شعبا وأحزابا[2].

إن الاستعمار يقوم على عاملين فهو يقوم بالضغط على الفرد فمعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج فإننا نرى في الوقت نفسه معملا باطنيا، يستجيب للمعامل الخارجية ويحط من كرامتنا بأيدينا، إذن فالقضية عندنا منوطة أولا بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته من حيث نشعر أو لا نشعر، ومادام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا، وتبديدها وتشتيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال، ولا أمل في حرية، مهما كانت الأوضاع السياسية، وقد قال أحد المصلحين أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم[3].

---

[1]. لويزة لعميري، **المرجع السابق**، ص59.

[2]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق**، ص157.

[3]. **المصدر نفسه**، ص158 .

إن أي إخفاق يسجله المجتمع في إحدى محاولاته إنما هو التعبير الصادق على درجة أزمته الثقافية لأن التفكير الاجتماعي هو في الأساس فعل حضاري قائم على فعل ثقافي، وإن كل واقع اجتماعي هو في الحقيقة قيمة ثقافية محققة في واقع الإنسان وعليه فمشكلات الإنسان هي في الأساس مشكلات الحضارة والتفكير فيها هو تفكير في المشكلات الثقافية باعتبارها المدخل إلى كل تغيير اجتماعي أو بناء حضاري، إن القابلية للاستعمار تمثل موقفا نفسيا يتعلق بضعف الشعور بالولاء للوطن والكرامة القومية، وضعف الحمية والحماس لقضايا الوطن والأمة والانصراف إلى الاهتمام بقضايا معيشية ويومية والانشغال بلوازم ومتطلبات الحياة الاجتماعية للفرد وأسرته، فالقابلية للاستعمار هي جملة خواص اجتماعية تسهل سيطرت الغزاة على الأمة، وتؤدي إلى استمرار الوضع المنحل للحضارة، فهناك مجتمعات تعرضت للاحتلال العسكري لكنها مجتمعات غير قابلة لاستعمار،وفي المقابل توجد مجتمعات لم تتعرض للاستعمار لكنها قابلة للاستعمار، إن التبعية للخارج لا تشكل تقدم ولكنه يشكل احتياطيا فعالا لحماية ودعم من يقوم بهذا النشاط الإيجابي[1].

يرى بن نبي أن القابلية للاستعمار تكبل المجتمع وتحول بينه وبين الإبداع، فالفوضى الفكرية السائدة في المجتمع العربي تعود بالأساس إلى تلك القابلية للاستعمار التي تسكن نفوس أبناء هذا المجتمع، وتدفعهم من موقع الدونية والتقليد إلى التبعية الغربية التامة[2].

ومن مظاهر القابلية للاستعمار كما يرى مالك بن نبي فإن أولها قبول أحكام المستعمر، فلقد شاهدنا مرارا مثقفين جزائريين يطلقون على أنفسهم اسم الأهلي ومعنى هذا أننا قد أخذنا أنفسنا بالمقياس الذي تقيسنا به إدارة الشؤون الاستعمارية،إذا فالعامل الاستعماري هو عامل خارجي يفرض على الكائن المغلوب على أمره والذي يطلق عليه المستعمر اسم الأهلي نموذجا

[1]. قرواز الداودي، **فلسفة لتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد **25، 19 ديسمبر، 2014** ، ص 62.

[2]. مجلة الملك فيصل، **المرجع السابق**، ص 54.

محددا من الحياة والفكر والحركة[1]، وحين هذا النموذج يظهر من باطن الفرد معامل القابلية للاستعمار، فهي بالنسبة له العامل الداخلي المستجيب للعامل الخارجي[2].

لقد تفرد مالك بن نبي بهذه النظرية لأنها عامل داخلي في نفوسنا، حيث نتقبل كل ما يأتينا من الغرب ونردده على أساس أنه مسلمة صحيحة وما يصفه لنا نعتبره صحيحا وجيدا، حيث نقيس أنفسنا بمقياسه، حيث أننا مسخرون لهم بحيث أصبحنا أبواقا يتحدث من خلالها، وأقواما يكتب بها ومسخرين له بعلمه وجهلنا[3]، وإنها لمحنة إذا نحن لم نقرر جديا التخلص منها، لكن من العسير معالجة مريض ليس فيه مرض فحسب وإنما لديه إرادته في التمسك به فكيف يمكن شفاؤه،وهنالك ما هو أدهى وأمر، حين يخفي المريض الدواء وراء ظهره، ثم يصرخ، أريد أن أشفى أريد أن أشفى، إنه حين يحق لنا حينئذ أن نعده يمازحنا ومن حسن حظنا، بأن زمان المغالطة، والمزاح قد انتهى، لأن عهد المحنة، قد حان ولعلها تتضح ضمائرنا، فالشكر للقدر على مصائب تصيبنا إذا كان بها صلاح أمرنا[4].

ب/ الميل إلى التكديس:إن من بين الأمراض المتعددة والكثيرة التي تولد في محيط تسيطر عليه فعالية الميل إلى تكديس المنتجات الحضارية الأخرى بدل بناء منتجات خاصة بحضارتنا ظنا منا أن تكديس وامتلاك تلك المنتجات هو ما يحقق لنا النهضة والتقدم[5]، فعندما يكون الإنسان في حالة تخلف حضاري تغلب عليه النظرة للكم وتكديس الأشياء ويظن أن كثرة استيراد منتجات حضارة ينتج له حضارة أخرى، وهذا يتصل بمرض الشيئية.

---

[1]. طعبة سعاد، فتيح خالد، **القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي ومفهوم الذات مجلة تاريخ العلوم، العدد 9، سبتمبر 2017**، جامعة عاشور زيان، الجلفة، ص 62.

[2]. محمد بن عمارة، موساوي سمية، **المرض الاجتماعي انطلاقة نحو البناء، نظرية التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 19، 2016**، ص 20.

[3]. محمد بن عمارة، **المرجع السابق**، ص22.

[4]. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه، المصدر السابق**،136 .

[5]. لويزة لعميري، **المرجع السابق**، ص 55.

إن تكديس كومة من الطوب أو الحجارة لا يعني أن بناء قد أصبح جاهزا فالأمر بحاجة إلى مهندسين وبنائين وتخطيط، بعد وجود المواد الأولية(التراب) الذي تكلم عنه مالك كثيرا، يرى مالك بن نبي بأن المجتمع العربي بدل الاضطلاع بتشييد حضارة، أصبحنا نقوم بالتكديس، ولم يكن عمل النهضة العربية، فهي لم تقم بأي تشييد وإنما كانت تكديسا للعتاد فبالنسبة لمالك بن نبي فإن عملية البناء لم تبدأ إلا مع الثورة المصرية في عام 1952، لكن روح التكديس والشيئية، التي يجب التخلص منها، ما انفكت مستمرة للبقاء، إن مظهر تكديس الأشياء يزدوج على العموم مع تكديس الأشخاص[1]، إن هذا التكديس الذي يعجزنا عن النهوض بالأمة العربية وبنائها يعود سببه حسب رأي مالك بن نبي يعود إلى الواقع الماثل في امتداد نهضة العالم العربي عبر قرن كامل من الزمان، دون أن تتوصل حتى الآن إلى النتيجة التي بلغتها مجتمعات انطلقت من نفس النقطة، لا يعزى إلى فقدان الوسائل وإنما يرجع إلى فقدان الأفكار، فنحن لكي نقوم بتحليل مادة لا ننقلها برمتها إلى المختبر ولكننا نقتصر على اقتطاع عينات منها فحسب، وعينات حضارة ما هي إلا منتجات اجتماعية في جميع أشكالها[2].

ج/ الفعالية: إن السبب الجوهري الذي يعاني منه المجتمع العربي والذي انعكس على واقع المجتمع العربي، هو المرض الذي أصاب نفس الفرد العربي قبل أن ينتشر في ثنايا المجتمع وهو ما سماه بن نبي بغياب الفعالية، فالمجتمع العربي بعد أن تعرض للاستعمار أصيب بأمراض خطيرة وبقي حبيس للحضارة الغربية ساكن في مكانه .

فلما اشتد به المرض من كل جانب أصبح هذا المجتمع عاجزا عجزا شبه كلي، فقد أصابه الشلل الاجتماعي والعقلي، وأخطر هذه النواحي هو الشلل الأخلاقي، وحينما يغيب الاجتهاد والإبداع ويتجمد الفكر فلا يمكن للنشاط الاجتماعي أن يبتعد عن النقطة التي انطلق

[1]. محمد العبدة، **المرجع السابق**، ص96 .

[2]. مالك بن نبي، **القضايا الكبرى، المصدر السابق**، ص ص 50،52 .

منها، ولا أن يخرج من دائرة الفوضى وعن ذلك يقول مالك بن نبي: وإذا ما ظل هذا الفكر متبطلا، منعدم التأثير[1].

فإن هذه المشكلات الرئيسية التي تواجه المجتمع العربي، ولم يقف هو في مواجهتها، فإن المصادفة تحل فيه محل الأفكار والمحاولات، فالعجز عن التفكير وعن العمل، وهو في المجال النفسي يدل على انعدام الترابط بين الفكرة والنتيجة، فنحن عندما نحلل هذه العلاقة نجد بأنه لا علاقة له بالحياة العامة للنهضة حيث نجده مبتورا من جانب آخر، ولقد قام هذا الذهان الأخير في الجزائر على قواعد ثلاث، من الواجب أن نذكرها، وهي: لسنا بقادرين على فعل شيء لأننا جاهلون، لسنا بقادرين على أداء هذا العمل لأننا فقراء، لسنا بقادرين على تصور هذا الأمر لأن الاستعمار في بلادنا، فإما فكرة لا تحقق وإما عامل لا يتصل بجهد فكري، وليس في قائمة النشاط الاجتماعي[2]، وعلى سبيل المثال نجد فكرة الإصلاح والتي تستهدف إصلاح الفرد، ولكن لا تشم مطلقا رائحة مصلح يصرح بفكرة الإصلاح بالشكل المطلوب، ولا الإصلاح الذي ينشر في الأوساط الاجتماعية التي يدعو لإصلاحها وكل ما يقوم به المصلحون هو تقديم الدروس.

إن هذا العجز الذي طبع الحركة الإصلاحية الفكرية قد نشأ عن سبب عضوي، وهو الفرد أما العجز العضوي دائما تذكيه ضروب من الشلل، والتي أصابت النواحي الخلقية والاجتماعية والعقلية جميعا[3]، وهكذا يتجمد الفكر ويتحجر في عالم لم يعد يفكر في شيء لأن تفكيره لم يعد يحتوي صورة الهم الاجتماعي والافاعلية التي أصبحت تلازم الفرد العربي في

---

[1]. لويزة لعميري، **المرجع السابق**، ص49.

[2]. مالك بن نبي، **القضايا الكبرى، المصدر السابق**، ص83 .

[3].**المصدر نفسه**، ص85.

حياته اليومية، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث ومحاولات الربط بين العمل وهدفه دون الوصول إلى نتيجة[1].

المطلب الثالث: الجوانب الاجتماعية للمسألة الثقافية.

ومن جملة الجوانب التي تخص المسألة الثقافية نجد من بينها الحرفية الثقافية، وتتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية وغيرها من بينها:

1/الحرفية في الثقافة: يرى مالك بن نبي بأن مرض الجهل والأمية الذي ظل يعاني منه العالم الإسلامي والعربي لفترة طويلة، قد تزداد حاله تأزما بظهور جهل من نوع آخر هو الجهل الذي يلبسه أصحابه ثوبه العلم[2]، فإن هذا النوع أخطر على المجتمع من جهل العوام لأن جهل العوام هو ظاهرة يسهل علاجها، أما الأول فمتخف في غرور المتعلمين، وهو ما سماه مالك بن نبي بالحرفية الثقافية، يعتقد مالك بن نبي بأن الحرفية في الثقافة تعود أسبابها إلى تلك الجهود الإصلاحية الكبيرة والتي يعود لها الفضل في مواجهة خطر الأمية، غير أن ذلك الإصلاح الذي لم يكن مبني على نظرية ثقافية معينة فإننا نجده اليوم قد أشاع الحرفية في الثقافة، فها نحن اليوم نرى التعليم الحر في العالم العربي بأن مناهجه وطرقه تتحدى الزمن[3]، فمبادئه بقيت على حالها، ومادامت هذه المبادئ هي المنوال العقلي للعمل فإن أوجه النشاط تضل متناغمة مع عالم ولى وانقضى، فلقد وهم بعض المصلحين، حيث أرادوا أن يغيروا عالما مشحونا بالأفكار عن طريق إدخال بعض الإصلاحات السطحية، كما حدث بالجزائر حين أدخل الكرسي والمنضدة إلى المدارس الحرة، ولم يعلموا أن هذه وإن كانت خطوة أولى فإنه من السذاجة الاكتفاء بها.

---

[1]. مالك بن نبي، **القضايا الكبرى، المصدر السابق**، ص89.

[2]. لويزة لعميري، **المرجع السابق**، ص39.

[3]. **المرجع نفسه**، ص40.

فمالك بن نبي يرى بأنه لا غرابة في أن الفكر العربي لم يعرف بعد معنى الفاعلية فإن استبداد الألفاظ والصيغ يخلع على أي تفسير للنهضة طابعا سطحيا وانعدام الفاعلية والحرفية، فلقد تحولت الحقائق الحية، التي شكلت فيما مضى وجه الحضارة الإسلامية والعربية إلى حقائق خامدة مدفونة في جمل زائفة ويبدوا أن المثل الأعلى قد ظل كما كان منذ عصر الانحطاط أن يصبح المرء بحر علم، يزدرد العلم ويفقد معنى الدور الاجتماعي، وهناك سبب آخر لانعدام الفاعلية التي وصمت بها نزعة المديح في العمل الفكري، في حين اتجهت الثقافة إلى امتداح الماضي فأصبحت ثقافة أثرية، لا يتجه العمل الفكري فيها إلى الأمام بل ينتكس إلى الوراء، ولقد كان هذا الاتجاه الناقص المسرف سببا في انطباع التعليم كله بطابع دارس لا يتفق ومقتضيات الحاضر ومستقبل وبذلك أصيبت الأفكار بظاهرة التشبث بالماضي كأنما أصبحت متنفسا له[1]، إن النقائص التي تميزت بها المدرسة الإصلاحية تلك التي لم تعرف أو لم تستطع التغلب على نقائصها بطريقة منهجية، فجوهر المسألة هو مشكلتنا الثقافية العقلية، ونحن لازلنا في الأرض وأرجلنا في الهواء، وهذا القلب للأوضاع هو المظهر الجديد لمشكلة نهضتنا[2]، فهكذا ظلت مشكلة بقايا ما بعد الموحدين ساكنة برمتها في الضمير العربي، ومع ذلك فإن الحركة في مجموعها تجتاز منعطفا جديدا بعد قضاء زعمائها الكبار الذين حملوا رايتها أخيرا كالشيخ رشيد رضا في الشرق، وابن باديس في الجزائر.

فلقد رأينا في مصر أن فكرة الإصلاح تتغير، وتتحول في أعماقها إلى حركة جديدة، قد يحاول زعماء الحركة الحديثة أن يلصقوا أسباب تخلفهم وعطلهم بالاستعمار، ولكن ذلك ليس إلا مجرد أسباب يقصدون بذلك من مسؤولياتهم الحقيقة، ولقد شاركهم في تعليلهم أيضا دعاة الحركة الإصلاحية أولئك الذين لم يبحثوا مطلقا عن الأسباب الداخلية لعجزهم بل اكتفوا بإسنادها إلى الغرب، لقد نتج عن محاولاتنا لتصفية عاداتنا وحياتنا مما يشوبها من عوامل

[1]. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق**. ص60 .

[2]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق**، ص90.

الانحطاط، إن الحشو الذي نشير إليه قد نتج عن عدم محاولتنا تصفية عاداتنا وحياتنا مما يشوبها من عوامل الانحطاط، كما أشرنا سابقا لأن ثقافة نهضتنا لم تنتج سوى حرفيين منبثين في صفوف شعب أمي[1]، ويقول مالك بن نبي بأننا نحن مدينون بهذا إلى رجل القلة*، الذي بتر فكرة النهضة فلم يرى في مشكلتها سوى حاجاته ومطامعه دون أن يلمس فيها العنصر الرئيسي لما في نفسه، فهو لم يرى في الثقافة إلا المظهر التافه لأنها عنده طريقة ليصبح شخصية بارزة، وإن زاد فعلم يجلب رزقا وكانت نتيجة التحريف لمعنى الثقافة متجسدة في ذاته ما نسميه (المتعالم أو المتعاقل) فمنذ خمسين سنة كنا نعرف مرضا واحدا يكن علاجه هو الجهل والأمية، ولكننا اليوم أصبحنا نرى مرضا جديدا مستعصيا هو التعالم، وإن شئنا نقول الحرفية في التعلم، والصعوبة كل الصعوبة في مداواته.

وهكذا أتيح لجيلنا أن يشوه العلم خلال النصف الأخير من هذا القرن، ظهور نموذجين من الأفراد في مجتمعنا، حامل اللافتات العلمية وحامل ذي الأطمار البالية، إن مشكلة الثقافة لا تخص طبقة مجتمعنا المثقفة دون طبقة أخرى بل تخص مجتمعنا كله بمن فيه المتعلم والصبي الذي لم يبلغ مرحلة التعلم، إنها تشمل المجتمع كله من أعلاه إلى أسفله، إن بقي علو في المجتمع كله من أعلاه إلى أسفله، إن من أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة، المصدر السابق**، ص ص 75، 76.

*. **رجل القلة:** وهو الذي يسكن المدينة، ويكون إما متعطلا، لا يعمل شيئا، وإما أنه يبيع بعض العقاقير والحاجات،وبعض آخر نجده محاميا، أو صيدليا وهو رجل تتمثل فيه القلة في كل شيء، فهو يرضى بالقليل من الأشياء ويحمل روح الهزيمة بين جوانحه، فقد عاش حياته دائما في منحدر المدينة، إذ هو دائما في منتصف الطريق، وفي منتصف فكرة وفي منتصف تطور لا يعرف كيف يصل إلى الهدف ، كونه ليس نقطة الانطلاق في التاريخ كرجل الفطرة، ولا نقطة الانتهاء، كرجل الحضارة فهو أيضا رجل النصف الذي دخل في فكرة الإصلاح فمسخها نصف فكرة لأنه لم يعد مستعدا إلا لنصف جهد، ونصف اجتهاد ونصف طريق، **لويزة لعميري، المرجع السابق، ص 39.**

مستواها الحقيقي ولذلك يجب أن نحددها كعامل تاريخي لكي نفهمها، ثم نظاما تربويا تطبيقيا لنشرها بين طبقات المجتمع[1].

ب/ تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية: إن تطور أي مجتمع ما على أية صورة فإن هذا التطور مسجل كما وكيفا في شبكة علاقاته وقوت ترابطها لكن عندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض، وأنه ماض إلى نهايته، أما إذا تفككت الشبكة نهائيا[2]، فذلك إيذان بهلاك المجتمع، وحينئذ لا يبقى منه غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ وقد تحين هذه النهاية والمجتمع متخم بالأشخاص والأفكار والأشياء ومع ذلك فقبل أن يتحلل المجتمع تحللا كليا، يحتل المرض جسده الاجتماعي في هيئته انفصالا في شبكته الاجتماعية، للأسباب التي ذكرناها كما وكيفا، وفي هذه الحالة المرضية قد تستمر قليلا أو كثيرا، قبل أن تبلغ نهايته في صورة انحلال تام، وتلك هي مرحلة التحلل البطيء الذي يسري في الجسد الاجتماعي، في العلاقات بين الأفراد، إن من أسباب هذا التحلل كامنة في شبكة العلاقات، فقد يبدوا المجتمع ميسورا ناميا، بينما شبكة علاقاته مريضة، ويتجلى هذا المرض الاجتماعي في العلاقات بين الأفراد[3]، وأكبر دليل على وجوده يتمثل فيما يصيب الأنا، عند الفرد من تضخم ينتهي إلى تحلل الجسد الاجتماعي لصالح الفردية، عندما يختفي (الشخص) أو خاصة عندما يسترد الفرد استقلاله وسلطته في داخل الجسد الاجتماعي، فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول للمشكلات بل العثور على أدلة وبراهين، في حالة الصحة يكون تناول المشكلات من أجل علاجها، أما في الحالة

---

[1]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق،** ص92.

[2]. مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع، المصدر السابق،** ص 42.

[3]. **المصدر نفسه،** ص43.

المرضية، فإن تناولها يصبح فرصة لتورم الذات وانتعاشها، وحينئذ يكون حلها مستحيلا، لا لفقر في الأفكار أو في الأشياء، لكن ولأن شبكة العلاقات لم تعد أمورها تجري على طبيعتها.

وإذا ما درسنا أمراض مجتمع معين من مختلف جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية، فإننا ندرسها في الواقع أمراض الأنا في هذا المجتمع، وهي الأمراض التي تتجلى في لا فاعلية شبكته الاجتماعية، وعندما ننسى أو نغفل هذا الاعتبار النفسي فإن حكمنا يكون على ظواهر الأشياء لا على جواهرها[1]، فالحلول الفنية ينبغي إذن أن تتكيف مع نفسية البلد الذي تطبق فيه ومع مرحلة تطوره، كما أن الأنا ينبغي أن تتكيف طبقا للحلول الفنية التي يحاول المجتمع تطبيقها، ولذلك حالة المجتمع العربي تستوجب أقصى ما يمكن من الاهتمام والعناية، لأن كل علاقة فاسدة بين الأفراد تولد فيما بينهم عقدا كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجماعية، إما بتصعيبها أو بإحالتها إلى العجز[2]، فإذا كان الإنتاج قد تغير فما ذلك إلا لأسباب اجتماعية تتصل بتنسيق الأعمال الزراعية والتوزيع على سبيل المثال، أي يؤدي إلى اضطراب في شبكة العلاقات بين الأفراد في المجتمع الواحد.

المطلب الرابع: الأزمة الثقافية في الوطن العربي.

بعد أن عالج مالك بن نبي مفهوم الثقافة ومصدرها وعالج جوانبها الاجتماعية والنفسية، فمالك بن نبي قدم معنى الثقافة كما رأينا بوصفها جوا، يمتص الفرد تلقائيا عناصره من ألوان وأصوات وحركات وأفكار يتلقاها لا بوصفها معاني ومفاهيم مجردة، ولكن بوصفها صورا مألوفة يستأنسها منذ مهده، ثم بين مالك بن نبي كيف تذوب هذه الثقافة في كيان المجتمع لتطبع أسلوب حياته، وفي كيان الفرد لتطبع سلوكه مع تفاعل مستمر بين هذا الأسلوب وهذا الأسلوب في صور التزام مزدوج بين الفرد والمجتمع، التزاما لا يسمح معه هذا لذاك بأي نشوز في

[1]. مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع، المصدر السابق**، ص44.

[2]. **المصدر نفسه**، ص45.

السلوك ولا لهذا بأي انحراف في الأسلوب إذ يتدخل في الحالة الأولى ما يسمى بالضغط الاجتماعي وفي الثانية كل مواقف الفرد التي تعبر عن استنكاره وفي كل هذا العرض إذا تتبعنا الاطراد الثقافي في طور تكوينه، ولكن ماذا يحدث في الاطراد العكسي عندما يزول الجو الثقافي، ويتعذر تركيب العناصر الثقافية في منهج تربوي، أي عندما تنشأ أزمة ثقافية؟[1].

إن مالك بن نبي قبل أن يتطرق إلى الأزمة الثقافية التي يعيشها العالم العربي، حاول إعطائنا مفهوم عام لمصطلح الأزمة الثقافية، فهي في رأيه بأنه كلما عمل المجتمع واجبه في السهر على سلوك الأفراد، بدعوى الحرية، أو أية دعوة أخرى وزال الضغط الاجتماعي، انطلقت الطاقة الحيوية من قيودها، سواء أكانت هذه القيود مفروضة على أساس ديني أو أساس دستوري، فدمرت كل ما يقوم على تلك الأسس سواء كانت دينية أو علمانية، أي أنها تدمر البناء الاجتماعي، وهذا ما يحدث عندما يفقد الفرد، مثلا لأسباب سياسية، حقه في النقد أو فيما يشير إليه الحديث السابق كواجب تغيير المنكر، ففي كلتا الحالتين تنشأ أزمة ثقافية مآلها البعيد أفول الحضارة[2]، وفي القريب زوال الالتزام بين المجتمع والفرد، فالأزمة الثقافية تنمو وتنو معها نتائجها في المجتمع من حد الصفر إلى نقطة الارجوع، ومن الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط إلى الحد الذي يصبح فيه التعديل مستحيلا، أو لا يمكن إلا بثورة ثقافية عارمة تكون في الحقيقة بمثابة انطلاقة جديدة للحياة الاجتماعية من نقطة الصفر[3]، فالأزمة الثقافية تخلق أمام مجتمع متقهقر أو جامد استحالة لا يستطيع التغلب عليها، فيستسلم للواقع، وبين الثورة العنيفة على الواقع الذي لا يستساغ، والهروب من المسؤولية تخلق الأزمة الثقافية التي يتخبط فيها المجتمع، في ظل محاولاته الفاشلة على الخروج منها.

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة، المصدر السابق**، ص 91.

[2]. **المصدر نفسه**، ص91.

[3].**المصدر نفسه**، ص92.

إن الأزمة الثقافية تكون في ذروتها بالنسبة إلى الفرد إذا ما قدرنا أنه حرم منذ البداية مما أسميناه(الجو الثقافي)، إن الأزمة الثقافية حسب مالك بن نبي تبدأ عندما يفقد أحد الأشخاص إنسانيته، وليست كما قيل لنا بأنها أزمة علم أو جهل، لأنها تمس الجوهر الإنساني في الفرد، أما على مستوى المجتمع الذي يعيش أزمة ثقافية، فهي أننا لو وضعنا الجانب الثقافي والاجتماعي متجهان في الاتجاه نفسه من الأسفل إلى الأعلى، أي المراكز الاجتماعية تكون موزعة حسب الدرجات الثقافية ومن أشنع صور الأزمة الثقافية التي لا تحل بمجتمع ما إلا وصيرته عاجزا عن حل مشكلاته، داخل حدوده، وعن مواجهة مشكلات الجوار على حدوده دون عقد نفسية تعرض شخصيته للتلف أو كرامته للمهانة[1]، بينما أصبح التعايش ضرورة حتمية في عالم تهيمن فيه التكنولوجيا التي فرضت على كل مجتمع وجود الآخرين.

يرى مالك بن نبي بأن كلمة ثقافة قد ماع مدلولها حينما تم ربطها بمصطلح التسلية والترفيه، فلقد غاصت في مجال لا يعني بالنسبة لمالك بن نبي ما تشير إليه مثلا كلمة أزمة ثقافية شيئا، فالأزمة الثقافية لا اتصال بينها وبين المجال الترفيهي ومجال التسلية طبعا[2]، فنحن لم نواجه أزمة ثقافية لأننا لم نحسن كيف نتسلى لأننا لم نحسن العمل في نطاق ما نسميه بالعمل المشترك، العمل الذي تتجمع في نطاقه وتتكاثف الأيدي فيه، فالثقافة حسب مالك بن نبي وكما تعبر عنها الأزمة هي قبل كل شيء الجو الذي تتكتل فيه الجهود حين تجد في هذا الجو كل شروط تكتلها وتجمعها، وإذا التفتنا إلى تورطنا نحن كعرب في هذا المجال فإننا نرجعه إلى بداية عصر النهضة العربية، فلقد تورطت في شيء أفقدها نسبيا ثلاثة أرباعها أو 75 بالمائة من مجالها الثقافي لأننا وضعنا في كلمة ثقافة مدلول العلم، ومحتوى العلم، واعتقدنا بأن العلم ثقافة، وأن الثقافة هي العلم، فلقد أحدث هذا التورط حسب رأي مالك بن نبي النتائج التي

---

[1]. **مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، المصدر السابق**، ص93 _94.

[2]. مالك بن نبي، **الحقيقة والمآل**، تقديم نور الدين خندودي، ط2، عالم الأفكار، الجزائر، 2008، ص63 .

كانت متوقعة، فيجب علينا هنا أن نتجه لمحاولة فهم الثقافة وما يحيط بها من مشكلات في المجتمع العربي[1].

لقد قارن مالك بن نبي بين الدراسات الغربية وبين دراستنا نحن كعرب لمصطلح الثقافة فوجد بأننا نختلف في شيء جوهري وليس لمجرد الاختلاف فالاختلاف مفروض علينا جوهريا. فالدارس الغربي يدرسها كظاهرة شاخصة أمامه ويصفها كواقع اجتماعي[2]، على عكسنا نحن حينما نتصدى لدراسة كهذه تكون نقطة انطلاقنا مختلفة تماما عن نقطة انطلاق الدارسين الغرب، لأننا لا ندرس واقعا اجتماعيا شاخصا أمامنا بل ندرس شيئا خفيا لا تبصره أعيننا ماثلا في واقعنا الاجتماعي أو هو معدوم الوجود إلى حد ما في مجالنا الوطني أو القومي، فالعرب الدارسين لكلمة ثقافة لا يزالون غير ملمين بدورها كمفهوم علمي يؤدي معنى محدد إذا لم توضع لها ركيزة أجنبية تتكئ عليها، وهذا يعني أنه حتى الآن لم يكتسب مصطلح الثقافة موطنه الكامل في لغتنا فندعمه بمرادفها في لغتها الأجنبية[3]، ليعرف نفسه أنه قرين كلمة culture أو رفيقها، إن هذا الأمر حسب رأي مالك بن نبي بأنه يدخل في نطاق معاناة شخصية، وخبرة مبنية على تجربة ومحنة كل عربي يعيش القضية طبعا وهو سيشعر بثقل التصرفات الفردية والاجتماعية في المجتمع العربي، أو بشيء من ذالك الثقل الذي نسميه أحيانا بالانحراف، فلو نظرنا إلى الثقافة، وإلى عملية التثقيف على أنها علم فقط، نكون إذن وكأننا فصلنا القضية عن جوهرها، لأن العلم ليس للمبررات وهو لا يقدم الكيفيات، بل إنه يجيب عن سؤال كيف وفقط[4].

---

[1] . نور الدين الخندودي، **المرجع السابق**، ص 64.

[2] .**المرجع نفسه**، ص 67.

[3] . مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة، المصدر نفسه**، ص70 .

[4] . **المصدر نفسه** ، ص72.

إن الأزمة الثقافية تبرز في صورتها الحقيقية وفي صورتها التي لا توحي بها الظروف أو الأيام فالأزمة التي تهمنا ليست التي تدوم يوم أو بعض يوم، بل التي تدوم لسنين والتي نخشى أن تدوم لعقود من السنين وربما تدوم لقرن، إذا لم نلتفت لها بكل جد وعناية وحاولنا إيجاد حلول، إذن ما يمكن قوله عن الأزمة الثقافية بأنها ليست أزمة فكر وإنما قد تكون أزمة أخلاق وأزمة اجتماعية، فالأزمة الثقافية هي كل ما يخص الفرد ويخص حياته والتي يمكنها أن تؤثر عليه سواء بالسلب أو الإيجاب إذا لم نحسن تشخيصها وانعكاساتها علينا وطريقة الوصول إلى نتائجها، إذن فيما نعتقد فإن كانت قد نشأت أزمة ثقافية، أو كانت الأمة العربية قد واجهت في ظرف ما أزمة ثقافية، وإذا كان هذا صحيحا فإن الأزمة الثقافية تكون قد تولدت في المجتمع العربي لأننا تناولنا العلم على أنه ثقافة[1].

المطلب الخامس: المرأة والزي.

تندرج قضية المرأة عند مالك بن نبي ضمن منظومته الفكرية العامة، التي حددها في مشكلة الحضارة بأبعادها الشاملة سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وأخلاقيا، فمشكلة الحضارة عنده قضية لا تتجزأ وأي تجزئة لها يقود حتما إلى طرح المشكلات، طرحا خاطئا ومن ثم تحديد وسائل خاطئة للعلاج،ومن هنا وقف مالك بن نبي من قضية المرأة موقفه من القضايا الأخرى، فمشكلة المرأة بالنسبة لمالك بن نبي هي مشكلة واحدة وتوازي مشكلة الرجل، بل هما يشكلان معا مشكلة الفرد في المجتمع[2]، فمالك بن نبي اعتبر بأنه ليس هناك مشكلة للمرأة معزولة عن مشكلة الرجل، فالمشكلة واحدة وهي مشكلة الفرد في المجتمع، بعيدا عن محاولات البعض فصلها والنظر إليها بأنها قضية مستقلة، وأنهم قد افتعلوا مشكلة بين أفراد المجتمع الواحد، ووضعوا المرأة في مواجهة الرجل وبالتالي تواجه الأسرة[3]، والتي يؤدي إلى تفككها

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة، المصدر السابق** ،ص73 .

[2]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق**، ص123 .

[3].**المصدر نفسه**، ص125.

ويصبح المجتمع في صراع داخلي وفي قلب المجتمع نبتعد عن المشكلة الأهم وهي كيفية بناء مجتمع متماسك فالرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة وربهما واحد وعقيدتهما واحدة وهدفهما واحد، فالمرأة والرجل قطبا الإنسانية ولا معنى لأحدهما عن الآخر[1].

ولهذا قام مالك بن نبي من تأسيس شروط للنهضة العربية، وتتناسب مع واقع المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة هذه الشروط التي تحددها طبيعة الأسئلة التي يجب أن نثيرها حول مشكلة المرأة العربية، وطبيعة الإجابة عنها، والتي تكون بدافع حاجة المجتمع وتقدمه الحضاري، إذ ليست الغاية من البحث في إشراكها في هذا المجتمع ، إلا الإفادة منها في رفع مستوى المرأة ذاتها، وإذن فليس من المفيد لنا أن ننظر إلى مشكلاتها بغير هذا المنظار، ولقد استشهد مالك بن نبي بعدة شواهد من التاريخ الجزائري، والتي تمثل الحركة النسوية الجزائرية فنجد على سبيل المثال فضيلة سعدان.

وهكذا نرى بأن الثورة قد دفعت الحركة النسائية إلى الأمام ، لكنها ما تزال حركة فتية، لها من الشباب حيويته وإقدامه،لكن شبابها قد يعوقها إذا أهملنا شأنها ولم نراقب نباتها كما ينبغي، إن دور المرأة العربية المسلمة يكتسي عند مالك بن نبي أهمية خاصة في إعادة البناء الحضاري للأمة من جديد فهي عماد الأسرة التي تقوم بتشكيل الأفراد، وتنشئتهم على معاني الحضارة وإعداد الأجيال لحمل الرسالة، ولذلك يضع مالك بن نبي علاقة متينة بين شخصية المرأة التي يريدها المجتمع وبين قضية بناء حضارة المجتمع، فمالك بن نبي يرى بأن الواجب أن توضع المرأة هنا وهناك حيث تؤدي دورها خادمة للحضارة وملهمة لذوق الجمال وروح الأخلاق، وذلك الدور الذي بعثها الله فيه أماً وزوجة للرجل[2]، لقد تحدث مالك بن نبي عن مشكلة المرأة كنموذج لثقافتنا العربية، فأشار إلى أهمية هذه المشكلة في إطار الحداثة والعصر

---

[1]. عمار قاسمي، **رؤية مالك بن نبي لمشكلة المرأة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر**، ص 139.

[2]. العرباوي عمر، أرزاز محمد، **إشكالية المرأة في الفكر العربي والإسلامي، رؤية مالك بن نبي أنموذجا، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الأول، 2011**، ص 35.

الحديث، فالمرأة باعتبارها جزءا من المجتمع وأساسه، فقد وجدت سبيلها في فاعلية المجتمع طبقا للثقافة العربية، لكن في إطار العصر الحديث فالأمر يتطلب إعادة تقويم لدورها بما يحفظ للمرأة دورها الأساسي في بنية الثقافة، وفي أدائها الإسلامي، وفي ضوء ذلك لابد أن ندخل موضوعية دور المرأة في مكونات وحدة المجتمع[1]، فوضع المرأة يكون متناسبا مع حالة ذلك المجتمع، ولذا لابد من مراعاة المرحلة التاريخية للمجتمع، حينما تعالج قضية المرأة فيه، ويمكن ملاحظة ذلك في مرحلة أفول الحضارة[2].

إن تلك الرؤية لمشكلة المرأة، تكشف عن أساس القضية، وهو ارتباط المرأة بمشكلة الحضارة، وعلى هذا فإن حل قضية المرأة يكون في اتجاه الحضارة، حيث يرى مالك بن نبي أنه يجب على الحركة النسوية في الجزائر والعالم العربي، أن تسعى إلى عقد مؤتمر عام، لتحدد فيه مهمة المرأة بالنسبة لصالح المجتمع وحتى لا تكون ضحية جهلها، وجهل الرجل بطبيعة دورها، فهذه المشكلة هي متعددة الجوانب، ولها في ناحية من نواحي المجتمع نصيب فالمرأة كإنسان تشترك في كل نتاج إنساني، ولن يكون هذا المؤتمر مفيد إلا إذا حضر مختلف العلماء، حينئذ نستطيع القول بأن وضعنا المنهج السليم لحياة المرأة والذي سيكون في صالح المجتمع، لأنه سيكون من صنع العلماء[3]، لقد ربط مالك بن نبي مشكلة اللباس بالمرأة، على اعتبار أنه قضية تخص المجتمع العربي وأنه أحد عوامل التوازن الأخلاقي، فمثلا العباءة تعتبر موروث ثقافي عربي واجتماعي يرتديه جميع طبقات الشعب في الماضي، لأنها كانت عبارة عن قاسم مشترك بين حياتهم، فهو يقر التوازن الأخلاقي في المجتمع[4]، فاللباس ليس مجرد ديكور خارجي خال من المعاني والمضامين الكبرى في حياة الأمة، بل تعبير عن هوية، فهو يسهم في تمييز المجتمعات عن بعضها ويعطيها خصوصياتها المتفردة ويجعل الفرد يشعر

[1]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص461 .

[2]. عبد الله بن حمد العويسي، **المرجع السابق**، ص361 .

[3]. عمار قاسمي، **المرجع السابق**، ص143 .

[4]. نور الدين مسعودان **المرجع السابق**، ص93 .

بانتمائه إلى ثقافته وحضارته الخاصة، لقد تحدث مالك بن نبي عن التشويه الذي لحق باللباس بسبب نكبات التاريخ في الملابس المدنية، وهنا نطرح سؤال هل نستطيع التمسك بالطربوش؟ هذا اللباس الذي شوهته أجيال من الباشوات والخدم.

إنه من الخطأ أن ننكر مشكلة الزى المناسب لرجال النهضة ونسائها، ولكن أكثرها هو الاستسلام إلى التقليد البحت، أما بالنسبة للمرأة فإن الزي يمثل حقيقة نساء المجتمعات الأخرى ويضفي عليها معاني الحضارة التي تعيش في قوالبها وأشكالها وطقوسها[1]، فلباس المرأة بالنسبة لمالك بن نبي لابد أن يستجيب لوحدة المسار الثقافي والتنموي، أي ذلك الاتجاه التنموي الثقافي الذي ينطلق من التوجيه الأخلاقي ثم الجمالي في فاعلية الثقافة ومنطقها العملي، وهكذا يحدد هذا التكوين الثقافي وجهة العمل الذي يعبر عن حيوية الاتجاه النهضوي، حيث يوظف المجتمع رأس ماله الإنتاجي في إطار الواجب الجامع لحيوية الوحدة الاجتماعية التي تتمثل بالرجل والمرأة.

وهكذا أخرج مالك بن نبي المرأة من قيود نافيتين لدورها الفاعل في المجتمع نافية الاحتجاب الكلي، منعا من الفتنة، ونافية الاستعراض الجسدي، وحدد موقعها في حيوية التضامن بين المرأة والرجل الذي يتجلى في نمطية الزي واللباس[2]، حيث يرى مالك بن نبي بأن اللباس أيضا يختلف بحسب المرحلة التاريخية للمجتمع، فهو يكون متناسبا مع الحالة النفسية والزمنية، ومدى فاعلية المجتمع، أو عدم فاعليته،فمن اللباس ما يشكل عائقا لفاعلية الشخص، ومنه ما يكون مساعدا على تحقيقها، وكل هذا يكون ضمن منظومة ثقافية، تراعي الحدود الثقافية والاجتماعية للأفراد داخل المجتمع الواحد وتراعي الضوابط الاجتماعية التي تسير الفرد

[1]. مالك بن نبي، **شروط النهضة، المصدر السابق**، ص132.

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص463.

داخل المجتمع الواحد، وتعطي لكل ذي حق حقه بين المرأة والرجل، ولكن ضمن إطار المشروع الحضاري المتكامل[1].

المبحث الثاني: مشكلة الأفكار في الوطن العربي

المطلب الأول: الأفكار وازدواجية اللغة.

تعتبر مشكلة ازدواجية اللغة من بين المشاكل التي يعاني منها العالم العربي، فهي تعد من المخلفات التي تركها الاستعمار الأوروبي في البلاد العربية، و تعد من بين الظواهر المتصلة بالهياكل الاقتصادية والاجتماعية والإدارية في البلاد المستعمرة، فظاهرة ازدواج اللغة من الظواهر التي تتعلق بالبنى الثقافية والعقلية والفكرية للفرد العربي، وقد عالج مالك بن نبي إشكالية ازدواج اللغة في بعدها الثقافي الإيديولوجي، وبهذا يكون مالك بن نبي قد ابتعد عن طرحها في بعدها العلمي والمعرفي الذي يعتبر ملكا مشاعا للإنسانية جمعاء، فمالك بن نبي عالج هذه المشكلة من منطلق أنها موروث استعماري، ومسألة تؤثر على نمط الحياة الاجتماعية والثقافية العربية[2]، إن ازدواجية اللغة برأيه من الألغام التي وظفها الاستعمار لتفجير البناء الثقافي للمجتمع المستعمر، وقد ظهرت هذه المشكلة بشكل علني بعد الاستقلال، فاللغة الوافدة على المجتمع لن تفقد بوسطها الأصلي، حيث تؤثر فكريا على ناطقيها، وهذا أمام ضعف مناعتهم الذاتية، بفعل انعدام اتصالهم بثقافتهم الأصلية التي صنعت مجد أسلافهم، فالأفكار المطبوعة للأولين، والأفكار الموضوعة للآخرين لاتستطيع التعايش في عالم ثقافي واحد وهذا نظرا لاختلاف لغتيهما و قد نشأ عن هذه الازدواجية فريقين:

1/ الفريق الأول: وهو الذي افتقد الأفكار الأصيلة لعدم وجود اتصال حقيقي لديه بنماذجها المثالية.

---

[1]. عمار قاسمي، **المرجع السابق**، ص144.

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص 1036.

2/ الفريق الثاني: وهو الذي لم يستطع إرساء اتصال مع الحضارة لعدم فهمه لروحها العلمية[1].

فكما قلنا بأن مسألة الازدواجية اللغوية أو ما يصطلح عليه باسم التثاقف هي ظاهرة استعمارية متعلقة بالبنى الثقافية والفكرية[2]، فحتى البلاد التي لم تعرف الحضور العقلي والإداري والعسكري للغرب لم تسلم بالقليل أو الكثير من تأثير هذه الثقافة المستوردة من الغرب والتي نرى الشعوب العربية يتباهون بها معتقدين بأنها أسلوب حضارة وتقدم، وفي سياق هذا الحديث استشهد مالك بن نبي بمثالين واقعيين في تأثير هذه الظاهرة على المجتمع العربي، ففي مصر مثلا نجد اللغة المنافسة هي اللغة الانجليزية والتي تؤثر على زاوية معينة من العمل الفكري، يمكن أن نضعها في جانب كنموذج لبلد لديه مشكلة ازدواج لغوي جامعي، في حين نجد في الجانب المقابل مثلا الجزائر كنموذج لنوع آخر يعرض اللغة المنافسة فيه وهي اللغة الفرنسية، وهي هنا لا تستوعب فحسب حاجات العمل الفكري، بل الحاجات العادية للحياة اليومية.

إذن فلدينا هنا مشكلة ازدواج لغوي شعبي[3]، ومن هذا المنطلق نجد بأن النتائج الاجتماعية ليست أبدا واحدة، إذ ازدواج اللغة هنا يعيق الحركة الثقافية، للعالم الثقافي، إذ المعاني الواردة من ثقافة أخرى مترجمة بقليل أو كثير من الأمانة، تحمل الأفكار المطبوعة التي ليس لها أي صدى ولا حوار مع الحياة، ولا تؤثر على مجراها سوف تميل إلى إنتاج أفكار يكتنف مقاصدها شيء من غموض يعود إلى أصلها المزدوج[4]، فحينما كتب الشيخ محمد عبده رسالة التوحيد، مستلهما تلك الكلاسيكية القديمة، قد افتتح برسالة التوحيد كلاسيكية جديدة لكن عبر ازدواج لغوي، ويلاحظ أيضا بأن علي عبد الرازق الأزهري القديم، الذي أصبح تلميذ

---

[1].عمران بودقزدام، **المرجع السابق**، ص 227،228.

[2]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص 79.

[3]. مالك بن نبي ، **تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي_ دور الأفكار في رقي الفرد وفي تحضير المجتمع ودور قادة الصراع الفكري، والاستعمار في تخلف العالم الإسلامي وإعاقة تحضره وكيفية التغلب على الصعاب**، ترجمة وتلخيص وإعادة الصياغة: محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الدعوة، القاهرة، مصر، 1997، ص 60.

[4]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص ص 1036، 1037.

أكسفورد لم يصل تحرره من الكلاسيكية لمجرد التجديد، بل تجاوز ذلك إلى التخلص من منهج الأصل الإسلامي، ومن هنا نرى بأن الانشقاق الذي أحدثه الازدواج اللغوي في العلم الثقافي للبلد الإسلامي ليس فقط ذا طابع جمالي، بل إنه ذو طابع أخلاقي وفلسفي، فافتقاد الأفكار الأصيلة من ناحية، وافتقاد الأفكار الفعالة من ناحية أخرى،جعل الشعب الجزائري يراوح مكانه ولا يتقدم، ذلك لأن البلاد العربية لم تعد تحتوي على نخبتين وإنما مجتمعين متراكمين، أحدهما يمثل البلاد ذات الوجه التقليدي والتاريخي، والثاني يريد صنع تاريخه من الصفر[1].

هنا نرى بأن المجتمع العربي قد انقسم إلى عمودين: العمود الأول الذي يحمل أفكار ما بعد الموحدين، أي المجتمع الذي أصبحت أفكاره المطبوعة في حال تشويش، كفيلم أسطوانة مسحت مع الزمن حتى لا تجد عليها بواعث الحياة، وفي العمود الآخر نجد الأفكار الموضوعة لا تعبر عن شيء، فنجدها قد انفصلت عن أفكارها الأساسية التي بقيت على أسطوانة عالم ثقافي آخر، ومن ثم فالأفكار الموضوعة تمثل مادة ثقافية عاجزة عن توفير طرائق عملية فعالة ففيما يختص بالتعبير عن فكرنا باللغة الأخرى فإنه يكتسب مظهر الجهل الكامل بالثقافة الوطنية، إذا لم يكن مجرد خيانة لها[2]، إذ على سبيل المثال نرى قراءة هذه الخيانة في أول جملة من كتاب(فن العمارة بالجزائر)، حيث دونت مايلي: في الماضي كان يطلق على المهندس المعماري اسم معلم البناء، وكان يدعى لبناء القصور والمعابد والكنائس والأبنية الدفاعية، فقائمة المصطلحات المعمارية التي وردت في هذا الكتاب قد أغفلت عمارة المسجد، بينما المسجد مصطلح عيني في فن العمارة الإسلامية، فأقل ما يمكن قوله بأن ازدواج اللغة يمكن أن يتولد عنه نتائج تتعارض كليا مع الثقافة الوطنية، إن ازدواج اللغة قد يساعد في التحديد، وقد يؤدي إلى الخروج على الأصول الأساسية واستشهد مالك بن نبي على هذا بمثال واقعي يتعلق بتأثير اللغة الوافدة على نفسية المجتمع بفعل تغيير بسيط في المسميات، فقد كان

[1]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص92 .

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص1038 .

المجاهد في أوائل الثورة الجزائرية يطيع المرشد الذي يدعوه الشيخ، فاستبدل ذلك بأن أصبح للثورة ضباطا برتبة(كولونيل)، وأصبح المجاهد (جنديا)، ومنذ ذلك الوقت ظهرت مجموعة من الأفكار الغربية الدخيلة على العالم الثقافي الجزائري، ذلك العالم الذي رأت النور في داخله فكرة الثورة ذاتها ودوافعها[1]، لقد كانت هذه الأفكار من علامات عدم الانسجام.

إذن من خلال ما سبق نجد أن مالك بن نبي لم يكن مبتوت الصلة بالنزعة التأصيلية التي تركز على مساوئ استيراد المكونات الثقافية من المجتمع الآخر، بل كان واعيا لهذه المساوئ، ولكنه في الحقيقة كرس أغلب جهده الفكري لبحث مشكلة النهوض وشروطه، ولم يركز اهتمامه على مشكلة الحفاظ على الهوية الثقافية العربية[2]، فمع كل ما تقدم فإن اللغة العربية المستوردة قد تقوم بدور إيجابي في تفجير الحركة في عالم ثقافي راكد، فالمعاني الواردة من ثقافة أخرى والمترجمة بإخلاص إلى حد كبير، فإن الأفكار المطبوعة قد تستعيد قدرتها على الكلام بعد أن كانت بغير صدى وبغير حوار مع الحياة وبغير سيطرة عليها، وتشرع في إنتاج أفكار موضوعة قد تتضمن قدرا من الغموض بسبب أصلها المزدوج ولكنها تظل في ركاب الأفكار الأولى[3].

المطلب الثاني: الأفكار الميتة والأفكار المميتة

تعتبر مشكلة الأفكار الميتة والأفكار المميتة من بين الأفكار التي طرحها مالك بن نبي وذلك لما لها من تأثير على المجتمع والفرد في الوقت نفسه، فالأفكار الميتة يعرفها بن نبي بأنها فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي حيث يقول مالك بن نبي بأن الفكرة الميتة هي الفكرة التي خذلت الأصول و انحرفت عن مثلها الأعلى لذا ليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصلية،أما الفكرة القاتلة فهي عنده

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، تر: بسام بركة وأحمد شعبوا، ط11، دار الوعي ، الجزائر، ص142 .

[2]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص93 .

[3]. محمد عبد العظيم علي، **المرجع السابق**، ص61.

الفكرة التي فقدت شخصيتها وقيمتها الثقافية حين تفقد شخصيتها بعدما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها وفي عالمها الثقافي الأصلي[1]، وفي هذه الفكرة وفي تلك خيانة أفكار تجعلها سلبية أو ضارة وهذا التنكر ليس خاصا بالمجتمع الإسلامي، فالعوامل النفسية والاجتماعية نفسها أنتجت الآثار المعوقة[2]، فهاتان الفكرتان اللتان تعيشان جنبا إلى جنب في عالم الإنسان في الوضع الحضاري المنحط إلى انحطاطه وتمنعه من النهوض، لأنهما تعيشان في عالم ما بعد الحضارة أي عالم الحضارة المنتهية التي لم تنشأ بعد على أنقاضها حضارة فنية جديدة وتشكلان انعكاسا فكريا لوجهي مأساة المجتمع المبتلي بالاستعمار: وجه الاستعمار ووجه القابلية للاستعمار.

إذن فالأفكار الميتة هي أفكار ذاتية داخلية فالمجتمع هو من يصنع الأفكار التي تقتله بنفسه، وهي أفكار ذات خطر كبير عليه لأنها هي من جعلت الفكر الإسلامي فكرا قابلا للاستعمار[3]، وتغلغلت الأفكار الميتة في عمق المجتمع العربي وأثرت في المجال الاجتماعي والسياسي بينما نجد أن الأفكار القاتلة أو المميتة أفكارا وافدة من الثقافة الغربية هي في الأصل ميتة في محيطها وجعلت الفرد العربي[4] تابعا ويبين لنا بن نبي في ربط العلاقة بين الفكرتين أن الفكرة الميتة تستدعي الفكرة المميتة ويقول أن المشكلة التي يجب طرحها هي لماذا تذهب النخبة المسلمة بالضبط للبحث هناك عن هذه العناصر؟ ويقصد بها البحث عن الأفكار المميتة القاتلة من الثقافة الغربية[5]، فالأفكار القاتلة هي أفكار يستوردها هذا الإنسان لنفسه لتحدث تأثيرا اجتماعيا ساما، ويحرص بن نبي على لفت انتباه الأفكار الميتة التي تختار من الحضارة

---

[1]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص88.

[2]. **المرجع نفسه**، ص88.

[3]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص 154.

[4]. محمد عبد العظيم علي، **المرجع السابق**، ص63 .

[5]. مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، **المصدر السابق**، ص128

الأخرى تكون فيها أفكار أخرى[1]، فيقول: لا يجوز لنا أن نتساءل لماذا تنطوي الثقافة الغربية على عناصر قاتلة وإنما يجب أن نسأل لماذا تنطوي الثقافة الغربية على العناصر البشرية و أن تأخذ بها، وإذا كانت الأفكار القاتلة سامة في مجتمعها بالذات فهي تواجهه بالذات بمضادات للسمية تخفف من أثرها أو تزيله ولكنها حين تستورد إلى مجتمعنا لا يستورد معها إطارها الكامل الذي يحد من تأثيرها[2].

إن الأفكار الميتة هي نتاج مابعد الموحدين والمميتة هي المستعارة من الغرب وأعيدت وظيفتها الاجتماعية للإنسان الذي فقد دوره منذ رضي بتسميته بالإنسان الأهلي[3]، والفكرة المميتة قد تمتص الجرثومة الأجنبية فنحن لا ينبغي لنا أن نتسائل لماذا تنطوي الثقافة الغربية على عناصر قاتلة فالحضارة الغربية حسب مالك بن نبي قد وضعت غمامة على أعيننا فلم نعد نرى إلا ماهو تافه وقاتل[4].

يرى مالك بن نبي أن المجتمع العربي والمسلم لم يأخذ الجوانب السليمة القوية من الحضارة الغربية بل أخذ نتاجاتها المتعفنة أي نفاياتها، ولنا أن نرى هذا في استيراد المدارس الفنية والأدبية التي لا تعكس جوانب قوة الإنسان وفاعليته بل تعكس جوانب انحلاله الأخلاقي وتحلل شخصيته الاجتماعية، فهذا الاستيراد هو الذي يعكس هشاشة الشخصية العربية المسلمة وعيوب تركيبها النفسي والعقلي[5]،يرى مالك بن نبي بأن النخبة تختار الأفكار القاتلة والتي هي عبارة عن نفايات فكرية للمجتمع الآخر (العربي) تطفو على سطحه، ولكن الانحطاط

---

[1]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص 89.

[2]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، المصدر السابق**، ص 150.

[3]. محمد عبد الحليم بيشي، **المرجع السابق**، ص129.

[4]. عمار طالبي، **فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي**، دط، جامعة قطر، دس ن، ص473.

[5]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص 292.

الاجتماعي عندنا يجعلنا نأخذ هذه العناصر السطحية ونعتقد بأنها هي لا غيرها جوهر الحضارة الغربية وهو ما يطلق عليها اسم الاستلاب[1].

إن مالك بن نبي يرى بأن النخبة الثقافية العربية هي التي تحمل مضمون الوعي في عالم ما بعد الموحدين الذي حددا خيارا لهذه النخبة بإرادة منها أو يغير إرادة العالم الثقافي الغربي ليس كله مميتا، فيتبين لنا حامل الفكرة المميتة بأنه لا يستطيع أن يختار أفكارا حية وفعالة هنا ومع استمرار فقدان معايير انتظام حركة المجتمع[2]، فإن الأفكار المخذولة تنتقم في النهاية إذا لم يبادرها الوعي والوقاية من الأفكار المميتة ذلك أن المؤسسات التي لا تجد سندها في الأفكار تبدوا محكوما عليها بالفناء، فالمفكر الزيتوني[3]، الذي يخلط بين معطيات الحضارة التي تحلل الذرة وبين ما تعطيه لنا أو نأخذ منها من عناصر تحلل الأشياء، فكل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي أفكارا ميتة تمثل خطرا أشد عليه من خطر الأفكار القاتلة، إذ الأفكار الميتة تظل منسجمة مع عاداته وتفعل مفعولها في كيانه الداخل، ومن هنا دعا مالك بن نبي إلى حوار بناء في المحيط الاجتماعي حيث تأخذ الأفكار طريقها إلى حيوية الإنتاج الثقافي[4]، الذي ينبع من عمق الروح الدينية والوطنية، مضافا إليها الجانب الفني في تحديد المعطيات الفكرية.

المطلب الثالث: الأفكار وجدلية العالم الثقافي:

تعتبر مشكلة الأفكار من بين المشاكل التي طرحها مالك بن نبي وناقشها، وركز عليها واعتبرها من أهم من مشكلات الحضارة، وحاول حلها ذلك لأن الأفكار تؤثر في الفرد وفي نفسه مما تنعكس على المجتمع وجدلية عالمه الثقافي، حيث يرى مالك بن نبي بأن الثقافة

---

[1]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص291.

[2]. **المرجع نفسه**، ص1032.

[3]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص76.

[4]. محمد شاويش، **المرجع السابق**، ص89.

ليست عالما ساكنا، وإنما له حياته وتاريخه، الذي نستطيع أن نفسره، وذلك انطلاقا من الفكر الذي يقرر بأن هنالك صيرورة لعالم الفلسفة.

فمن خلال بناء عالم الأفكار طبق مالك بن نبي نموذجه الثقافي[1]، حيث أبرز جدلية العالم الثقافي في إطار ثوابته الخاصة (الأشياء والأفكار والأشخاص)، إذ خصائص العمل الفردي أو الجماعي تعتمد على هذه الثوابت في العلاقات الداخلية بين مقاييسه والتي هي (الأفكار والأشخاص والأشياء) هذه المقاييس الثابتة تتداخل عبر جدلية تاريخية تتوافق مع مرحلته التاريخية في كل لحظة من مسيرته[2]، إذ أننا نجد بأن خصائص العمل الفردي أو الجماعي تعتمد على أحد الثوابت الأخرى في تركيب العمل، وذلك عندما يكون النشاط مركزا على الأشياء، أو على الأشخاص، أو على الأفكار بصورة أكثر خصوصية، وهنا يكون ثمة إخلال بالتوازن يميز هذه اللحظة الخاصة من التطور التاريخي لمجتمع ما، إذ أنها مرحلة غير طبيعية في جدلية عالمه الثقافي، هذا الإخلال بالتوازن يفسر بإفراط ما.

وهنا نجد بأن المجتمع العربي يكون مجال الدراسة حين يقدم ملاحظات قيمة لعالم الاجتماع باعتباره يشعر بتخلفه بالقياس إلى اليابان التي هي توءم بوادر النهضة العربية والإسلامية[3]، منذ اتصالها بالغرب، فهذه الصعوبات قد فسرت بطريقتين مختلفتين بالنسبة لأنصار الفكرة القومية الذين يرون بأن عامل التأخر يعود إلى الاستعمار وهو الذي منع الأمة العربية والإسلامية من الإقلاع، أما أنصار الفكر الاستعماري فهم يرون بأن عامل التأخر يعود إلى الدين الإسلامي، وفي كلا التفسيرين عيب أساسي لغموض في أساسه، فالأولون يجهلون أو يتجاهلون بأن الدول العربية هي الأكثر تخلفا هي بالتحديد الدول التي لم تخضع أو لم تواجه تحدي المستعمر (كاليمن) والآخرون يتناسون الواقع التاريخي بتجاهلهم الدور الذي قام به

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص76.

[2]. محمد عبد العظيم علي، **المرجع السابق**، ص34.

[3]. **المرجع نفسه**، ص 34.

الإسلام في إحدى أعظم الحضارات الإنسانية[1]، إذن ينبغي علينا أن نتناول المشكلة دون مواقف متميزة لا تجدي فتيلا، خصوصا إذا كان الباحث مُسَلمًا بأنه يحاول أن فهم الأسباب الاجتماعية للفوضى التي تعم العالم الإسلامي والعربي، فمثقفو المجتمع العربي مثلا لم ينشئوا في ثقافتهم جهازا للتحليل والنقد إلا ما كان ذا اتجاه تمجيدي يهدف إلى إعلاء قيمة الدين الإسلامي[2].

أما القادة السياسيون فإنهم لم يؤمنوا بضرورة إنشاء مثل هذا الجهاز ليراقبوا مسيرة العمل في بلادهم وهكذا أضحى عمله التاريخي منذ قرن خارج مقاييس الفعالية، وأضحى تنفيذه في ظل فوضى الأفكار إذ وجد نفسه مصطدما بصعوبات، وإهدار للوقت، وتبديد للوسائل وانحرافات، فذلك ناتج عن عدم التماسك في الأفكار، وطغيان الأشياء أو طغيان الأشخاص، فالعالم يواجه طغيان الأشياء على أصعدة مختلفة، فعلى الصعيد النفسي فإنه عندما يتمحور عالم الثقافة حول الأشياء تحتل الأشياء سلم القيم وتتحول خلسة من الأحكام النوعية إلى أحكام كمية، فالشيئية تجر إلى هفوات كثيرة ذات مغزى، وخاصة في المجال السياسي، ففي كلمة تأييد لإحدى البلاد تقرأ عبارة الحكومة وشعبها، فلقد عكست علاقة الملكية، فبدلا من أن يكون للشعب حكومة أصبح للحكومة شعب، وأضحى المالك مملوكا، هذه الفوضى التي تعرضها الشيئية هي انعكاس لسلم القيم، أما على المستوى الاجتماعي فإننا نتصدى للمشكلات في جانبها الكمي، والحلول تصاغ بعبارات كمية[3]، أما على المستوى السياسي: فعندما يواجه بلد ما مشكلة التنمية، فإنه يستثمر برؤوس أموال أجنبية، فالشيئية تستلب وتطغى على قدرات المجتمع في جميع الميادين.

---

[1]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**،1032 .

[2]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص77.

[3]. **المصدر نفسه**، ص82_83.

ومن الأمثلة التاريخية والشواهد في الوطن العربي حيث أننا يمكن إحصاء العديد من الكوارث والتي كان يمكن لنا أن نتجنبها وتجنب وقوعها لو لم تستلب أفكار دافعة بفعل تجسيدها، وواحدة من أكثر الأفكار الدافعة عظمة والتي ارتعد لها الاستعمار في الجزائر هي فكرة(المؤتمر الإسلامي الجزائري) الذي أقيم سنة 1936، فلقد أريد أن تتجسد هذه الفكرة في أحد السياسيين فماتت الفكرة بعد شهر واحد[1]، لأن المثقف لم يكن أهلا بالحد الذي يجعل منه سندا لها، والجزائر ليست البلد الوحيد الذي دفع ثمن تجسيد الأفكار، فمثلا عند وقوع انفصال الوحدة السورية المصرية عام 1961، والتي سجلت فشلا أليما لفكرة الوحدة العربية، فنلاحظ أن البلدان يرجعان الفشل والانقلاب إلى الضابط السوري الكزبري وذلك بدلا من البحث عن الأسباب الحقيقية للانفصال في عالمنا الثقافي، بطريقة أعمق وأكثر فائدة للأمة العربية، في حين كان واضحا أن الانقلاب سيقع بالكزبري أو بدونه، لأنه لم يكن يتوفر في عالمنا الثقافي فكرة مضادة له، بل على العكس من ذلك، كانت هناك العوامل المشجعة على ذلك.

هنا نجد أنفسنا بأنه لابد من الحديث عن شمولية الفكرة والشيء، ففي بلد نام يفرض الشيء طغيانه بسبب ندرته، وهنا تنشأ عقدة الكبت والميل نحو التكديس، وهذه الفكرة تقودنا بالضرورة إلى الحديث عن صراع الفكرة والوثن[2] الذي تولده الشيئية، فالمجتمع قد يمر أحيانا بعمر معين أو حادث ثقافي يدفع هذا المجتمع إلى إعادة تهيئة أفكاره وتحديد أحكامه طبقا لمعيارية تنمو بها العلاقة بين الفكرة والشخص، فيميل نحو هذا الأخير إضرارا بالفكرة، وفي هذه الحالة يصبح لدينا خلل في التوازن الثقافي تولد فيه المغالاة، لأن المجتمع وكما يقول مالك بن نبي خاضع لمرض السهولة ولا يحاول التخلص منه أو النهوض بمجتمعه والإبداع و محاولته التميز بالفكرة الجديدة والأصيلة. في أصالة الفكرة وفعاليتها[3]، فكل فكرة أصيلة لا تعني فعاليتها

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص83.

[2]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص1033.

[3]. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، **المصدر السابق**، ص84.

كما أن الفكرة الفعالة ليست بالضرورة صحيحة، إذ لفاعلية الفكرة تاريخها بأن تكون هذه الأفكار أصلية، إذ تاريخها لا يعتمد على خاصيتها الذاتية، ومن هنا فالفعالية تقودنا إلى علاقة الأفكار وديناميكا المجتمع أي اختيار الفاعلية أولا في تحقيق أفكارنا[1].

المطلب الرابع: الأفكار بين الاطراد الثوري والسياسة.

يبدأ مالك حديثه عن الاطراد الثوري* وتجاربه في المجتمع العربي من خلال تقديم تعريفه للثورة فهي بالنسبة له قمة الغضب والتحمل، فالثورة هي المفجر و الأكثر دلالة في وضع النار على البارود، لتحرك عجلة المجتمع نحو قدره، ولكن هل دفع القوى بعد إطلاقها نحو طريقها هو كل شيء؟[2].

إن تاريخ الثورات في العالم العربي يظهر كم أن مصيرها هش، وغير مؤكد بعد انطلاقها، فالظاهرة الثورية لم تخضع بعد لعلم معياري يضع إطرادها تحت رقابة دقيقة، معدة لكشف الأخطاء ومعالجتها بعد وقوعها، لكنها ليست جهاز إنذار يلفت انتباه قوى الدفاع الجاهز فورا، حينما تلوح في الأفق بادرة خطأ، حتى لا يتكرر اطراد ثوري آخر، وإذا ما تكررت في حركات ثورية أخرى فليس هنالك غير العملية الساخنة التي سميت بالثورة الثقافية[3]، ومع ذلك فإن أي بلد عربي، حتى التي تدعي الثورية لم تفتح بعد باب المناقشة حول هذه الأمور، كأنما تسير على خير ما يرام في أفضل مكان في العالم، والغريب في هذه الأوضاع أنها تنمو وتتقدم حتى نهاية الثورة، دون أن يلحظ في الظاهر أي انقلاب في القيم[4]، فقد نجد البلاد بعد الثورة في الوضع السابق على الثورة، بل ربما تكون أكثر خطورة فنجدها قد دخلت في إيديولوجيا يسقط من أجلها الأبطال، ولا يتعرفون على الأفكار التي من أجلها سقطوا، كما لو كانت الثورة تدور

---

[1]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**،1034 .

[2]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص119.

[3]. **المصدر نفسه**، ص120.

[4]. عمر كامل مسقاوي، **المرجع السابق**، ص1036.

نحو الوراء، بل إن ما هو غير طبيعي كذلك أنه عندما يبدأ الناس في إدراك ما يحدث بعد أن تنتهي الثورة، هذه الأوضاع الغير طبيعية تبقي المشكلات مطروحة، فكيف لنا أن نتصور ظاهرة انطفاء المندسين في الثورة الفلسطينية[1].

بينما يبدوا بجلاء ومنذ الآن أنها تتلاشى قبل أن تزهق روح الثورة، هذه الأوضاع السائدة هي نتاج لمركب جدلية تقع في صلب العالم الثقافي الأصلي من جهة، ومن جهة أخرى بينها وبين عالم ثقافي آخر هو العالم الثقافي الاستعماري، حيث نرى بأن الفكرة الثورية تواجه أفكارا من البيئة نفسها، ومن عالمها الثقافي نفسه، فهذه الأخطاء ولدت في المجتمع العربي قد أتت إليه من عالم ثقافي آخر قام بدور المولد، فلا يعتبر المندسون في الثورة الفلسطينية أو عبان رمضان في الثورة الجزائرية مثلا خطأين نابعين من الثورتين إنما أدخلا هذان الخطآن، هذان الأمران هما اللذان يمثلان الوجه الخاص لانحرافاتنا الثورية، فالثورة يمكن أن تفسح المجال للثورة المضادة، تستخدم وسائلها وصفاتها[2]، وتحل محل الثورة الأصلية، فهذه الأفكار تصنع من أحكام مطابقة للفكر الاستعماري، فالخطأ يولد الانحراف والعالم العربي مليء بالأخطاء ومنها مثلا ظهور مصطلح الزعيم، فهذا المصطلح لا يستخدم لتحريف الطاقات الثورية وإنما يستخدم كقاطع لتيار إيديولوجي موحد مع سياسة التفتيت، ومع ذلك فليس من الضروري أن يكون الزعيم متواطئاً، فقد قام مثلا مصالي الحاج بدوره بحسن نية بالتأكيد، لكن تصرفه كان ببساطة مطابق لمخطط استعماري، وقد تكون في دراسته مجموعة من الصغار الزعماء الذين قتلوه وخانوا الثورة، ثم تنكر لها هو[3] نفسه تكبرا وغطرسة حسب رأي مالك بن نبي.

إذا ما يمكن قوله بأن المجتمع العربي أصبح سجين لتلك الأفكار الاستعمارية ومنه أصبح الرئيس في عيون الجماهير العربية هو ذلك الشخص الطموح الصغير: يباع ويشترى و

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص121.

[2]. محمد عبد العظيم علي،**المرجع السابق**، ص52.

[3]. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، **المصدر السابق**، ص122.

يطوب على أساس أنه زعيم[1]، ومن هنا يخلق صراع فكري فحينما تصبح الفكرة وشخص الرئيس بالذات أمام حقيقة هذا الصراع[2]، إذ في النهاية يمكن أن يصبح سجين نظامه الخاص، حين يتحول لمجرد جهاز صمامات تحت رقابة الاستعمار والرئيس و هكذا يساق إلى تدميره الذاتي عبر آلية يظن أنه يمسك بزمامها، وهي في الواقع تمسك بزمامه، هذا التدمير ما هو إلا تدمير ذاتي له وللمجتمع[3]، فلا مجال للنقد في الحياة السياسية في البلاد العربية خصوصا حينما يكون الهدف هو الحفاظ على ثورة مضادة في طريقها إلى التكوين في الظلام الذي لا غنى عنه لانتشارها أو الحفاظ عن أسباب ثورة مضادة تمت فعلا.

ففكرنا نحن خاضع لطغيان الشيء، وهذا السبب الذي سيختفي عندما تستعيد الأفكار سلطانها في عالمنا الثقافي، وكم أضاف هذا الصراع الفكري إلى أحلامنا كاسم جميلة بوحيرد، وعبان رمضان في الثورة الجزائرية وسواه في الثورة الفلسطينية، إن هذه الأفكار وكما أشرنا تختص باطرادنا الثوري، ينطلقان من أسباب واحدة تكمن في نفسيتنا وهي الأخطاء الملازمة والأخطاء المولدة[4]، ففكرنا خاضع لطغيان الشيء والشخص، وهما لا يختفيان إلا عندما تستعيد الأفكار سلطانها في عالمنا الثقافي، حينئذ فإن محاكمتنا للأمور بصفة عامة تأخذ أو تسترد طابعها المنهجي والمنظم، والذي لا يستطيع أن يصهر بدفعة واحدة عديدا من التفاصيل المعطاة وضعا يبرز بالتحديد مشكلة مرحلة من الاطراد الثوري، وما نستطيع قوله بأن الحرب أو الثورة هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى، فالسياسة تدخل في الحرب إذ أنه يدخل السياسة

---

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص123.

[2]. **المصدر نفسه**، ص125.

[3]. **المصدر نفسه**، ص127.

[4]. محمد عبد العظيم علي، **المرجع السابق**، ص ص 55،56.

عرضا نظام في نظام تمثل فيه الأفكار التي تسير الحرب بنية فوقية، في مقابل بنية تحتية مؤلفة من الأفكار التي تشكل هيكلية المذهب السياسي بالمعنى الحصري[1].

الخلاصـــــــــة

وفي الأخير بعد دراستنا لهذا الفصل، نستنتج بأن هاتان المسألتان الثقافية والفكرية هما مسألتين مهمتين يجب علينا أن نوليهما اهتمام اكبر لما لها أهمية على حياتنا اليومية، فهي تؤثر على الفرد والمجتمع، فمالك بن نبي عالج المسألتين مبرزا عيوب الأفكار التي نستهلكها من الغرب بدافع التقدم والتطور، في حين نجد بأن هاته الأفكار هي من تقتل ذات الفرد مما تجعله لا يبتكر، فالأزمة التي يعيشها المجتمع العربي هي أزمة نفسية انعكست على ثقافة المجتمع فأصيب بمرض السهولة وأصبح يرى بأّن كل ما هو غربي هو مصدر التقدم والتطور، ولذلك نرى بأن مالك بن نبي قد حاول إيجاد حلول لهاته الأزمة وإعطائنا الشروط اللازمة للإقلاع الثقافي والذي لن يكون إلا إذا تخلصنا من النفس الانهزامية التي تطغى على الفرد العربي وحاول كل شخص أن يقوم بواجبه، هنا نستطيع أن نضمن التقدم والتطور المرجو.

[1]. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، **المصدر السابق**، ص129.

الخاتمة

الخـــــاتمة

وفي الأخير وبعد دراستي لهذا الموضوع والذي نرجو أن يكون خطوة من خطوات سيرنا نحو المنهج العلمي الصحيح، حيث أنني قد قمت بالتوصل إلى مجموعة من النقاط سأوجزها كالتالي:

_ عاش مالك بن نبي في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر في فترة عرفت فيها الكثير من الحروب مما عكست طبيعتها على حياة الفرد والمجتمع بشكل عام، كما عاصر أيضا الحربان العالميتان الأولى والثانية، فهذه الأحداث وغيرها انعكست على نمط تفكيره وتكوينه مما جعله يكون شاهدا على العصر بحق.

_ تميزت حياة مالك بن نبي بالفقر والحرمان، وكذلك عيشه في أسرة محافظة كانت بالنسبة إليه المدرسة الأولى وعاصر أحداثا هامة كانت السبب في بلورت أفكاره.

_ ساهمت رحلاته وتنقلاته للعمل أو طلب العلم في التعرف على الكثير من رواد الإصلاح في العالم العربي والغربي، وسمحت له أيضا بالتعرف على خصائص ومميزات مختلف المجتمعات العربية والغربية.

_ تعد الفترة التي أمضاها مالك بن نبي في قراءة الكتب أحد أهم العوامل التي ساعدته على تكوين شخصيته ومساهمتها في نضوجه الفكري المبكر، وهو ما يدل على سعة ثقافته العلمية والثقافية.

_ يعد مالك بن نبي من بين المفكرين القلائل الذين نجدهم يهتمون بكل القضايا العامة التي تخص الفرد، فالقارئ لمؤلفات مالك بن نبي يجد نفسه في بحر من الأفكار وذلك نظرا لعمق طرحه للقضايا وتوسعه فيها، عدا أنها شاملة وملامسة لواقع الفرد العربي.

_ يرى مالك بن نبي من خلال طرحه لحادثي اغتيال الهادي شاكر ونفي ملك المغرب بأن الهدف منهما هو بث الخوف في نفوس أبناء المستعمرات من أجل منع أي حركة تحرر في البلدين.

_ لقد اعتبر مالك بن نبي بأن الحركة الوطنية بين الحربين، وهو الاتجاه الحضاري الذي اقتنع بهبأنه لا يبنى من نهايته بل من بدايته، واعتبر بأن مسار الحركة الوطنية كان يسير في الاتجاه الصحيح عندما كان في يد الحركات الإصلاحية وشيوخها، فلقد كانت بالنسبة له مؤشرا على انبعاث النهضة والشعب، إلى غاية منتصف الثلاثينات وبالضبط عند اشتداد عود الأحزاب السياسية وعندما توفرت لهم الظروف والقاعدة السياسية، فانتقلت لهم قيادة الشعب، فخاضوا به ميدان الدروشة السياسية، حسب رأيه وانتقلوا به من الأرياف إلى المدن فظهرت الخطب والموائد والمناسبات والفلكلور وما إلى ذلك، وكل هذه تعني عنده مظاهر لسقوط الحضارة.

_ لقد اعتبر مالك بن نبي بأن الثورة هي المسار الوحيد لكل فرد يريد التغيير، ولكل أمة تريد أن تغير تاريخها، ولكي تنجح هذه الثورة لابد من الحذر من المغالطات والأخطاء التي قد تحيد بالثورة وتبعدها عن مسارها الصحيح فتخلق بذلك بدل الثورة التغييرية ثورة مضادة تحاربها هي في حد ذاتها وتقف في وجهها.

_ إن القضية الفلسطينية هي قضية الأمة العربية والإسلامية بشكل عام، ولن تحل المشكلة الفلسطينية إلا إذا تم التعاون بين الشعوب العربية وتوحيدها في صف واحد.

_ أيد مالك بن نبي جمال عبد الناصر وفكره، واعتبره رائد القومية العربية.

_ يرى مالك بن نبي بأن الديمقراطية التي يجب إتباعها هي التي تقوم على أساس الدين الإسلامي، فهو يرى بأنه لا تعارض بين الإسلام والديمقراطية باعتبار أن الديمقراطية حركة موضوعها يقع في منطقة الفراغ التشريعي، من جهة ومن جهة ثانية لكون أسسها وانطلاقاتها

النظرية، مثل حق الاختلاف تتوافق مع المفاهيم القرآنية التي اعتبرت الاختلاف سمة ملازمة للاجتماع الإنساني.

_ مدح مالك بن نبي رواد الحركات الإصلاحية ورأى فيهم المنقذ للعالم الإسلامي من الضياع، واعتبرهم باعثي النهضة الحضارية الجديدة للأمة العربية، إلا أنه انتقد طريقة إصلاحهم ومنهجهم المتبع في تنفيذ الإصلاح، حيث أنه كان يرى في طريقة سير الحركات الإصلاحية بعض النقائص وهي التي تمنعها من المواصلة في التغيير.

_ إن من شروط النهضة الاقتصادية والإقلاع الاقتصادي هو وجوب التخلص من التبعية الاقتصادية، وإعادة النظر في كيفية وطبيعة تسيير النظام الاقتصادي من أجل الخروج من ظلمات التخلف الذي وضعتنا فيه التبعية للغرب، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال وضع خطة تنموية شاملة لمختلف القطاعات.

_إن معالجة مالك بن نبي لمفهوم الثقافة لم يكن بهدف فهم واقع ثقافي موجود بالفعل بل كانت دراسته للثقافة عبارة عن خلق واقع ثقافي لم يوجد بعد، حيث أنه يجب تصفية الثقافة وتجديدها من الرواسب السلبية التي تعرقل تقدمنا الثقافي والحضاري، ثم الاهتمام بمقتضيات المستقبل بمعنى أنه يجب تصحيح أخطائنا حتى لا نقع فيها مستقبلا.

_ يرى مالك بن نبي بأن الاستعمار هو مجرد نتيجة وليس سببا، فهو عبارة عن أعراض مرض حقيقي المتمثل في الإفلاس الحضاري، وبالتالي فالبناء السليم للحضارة يؤدي حتما لانقشاع ظاهرة الاستعمار من مختلف بلدان الوطن العربي، وتزول معه القابلية له، ولا يتوقف عند هذا الحد بل يجب تغيير نفسية الفرد وتحويلها إلى ذات فاعلة يعول عليها في البناء.

_ إن هذا البناء الثقافي والحضاري، لن يكون إلا بالتخلص من ظاهرة التكديس الذي يؤدي إلى غياب الفاعلية الاجتماعية.

الخـــــاتمة

_ إن الأزمة الثقافية ليست أزمة علم، ولهذا يجب علينا أن نقوم بالتمييز بين العلم والثقافة، فمشكلة الثقافة لا تحل بالعلم لوحده لأنه في الأساس جزء من الثقافة، فالثقافة تنتج علما في حين أن العلم لا ينتج ثقافة.

_ لقد أولى مالك بن نبي اهتماما بالغا بمشكلة المرأة والزي واعتبرهما جزءا من ثقافة المجتمع العربي يجب تسليط الضوء عليها والاهتمام بها أكثر.

_ تعد مشكلة الأفكار من بين المشكلات التي تعرقل النهوض الاجتماعي، وذلك لأن تفكك عالم الأفكار وتسممه بسبب الأفكار القاتلة والميتة، والازدواجية اللغوية وغيرها كلها تؤدي إلى تفكك المجتمع وتؤدي إلى الاختلال في التوازن الاجتماعي بين الأفراد.

_ لم يكن مالك بن نبي ضد فكرة الانفتاح على الشعوب الأخرى بل كان ضد الأفكار التي تعتقد أن نظريات وايديولوجيات العالم الغربي هي الحل لتدارك الحضارة وتحقيق التطور والتنمية في العالم العربي.

الملاحق

الملحق رقم: 01 إهداء وجهة العالم الإسلاميفي الطبعة الصادرة بمصر سنة 1959

الإهداء:

إلى الشعب الجزائري الثائر.

إنني أحي كفاحك أيها الشعب الكريم لأن عدالة القضية تخلع عليه القداسة.

إنني أحييه لأنه كفاح الطفل الجزائري في سبيل مستقبله ولأنه كفاح المرأة من اجل بيتها وسعادة أسرتها ولأنه كفاح الشهداء.

ولأنه كفاح الأبطال الذين يرقون دمائهم من اجل الحق المقدس للطفل والمرأة

ولأنه كفاحك أيها الشعب الكريم من أجل البقاء والكرامة والحرية، إن الله الذي يبارك صراع الأبرار يبارك كفاحك ويقوده إلى النصر تحت الراية المقدسة التي كتب عليها وعده الصادق (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

مالك بن نبي

المصدر: محمد عبد الحليم بيشي نظرية الاستعمار والثورة في فكر مالك بن نبي.

إيفي ميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص172.

الملحق رقم: 02: مثقفون أم متثيقفون

هل من مزار جديد؟ وهل بقى على الجزائر أن تحتفل به؟ فبعد أن انكشفت العجائب والكرامات المرابطية، فإن على السراب الثقافي أن ينقشع بدوه هو أيضا.

نخبتنا ماتت، نخبتنا أصبحت بغير روح للأسف، لم يبقى سوى القوة المبتذلة والفارغة كنا نعتقد بأن مثقفين يكتفون بحضورهم المنتفخ على الساحة السياسية، لكن هذه المسخرة لم تعد كافية، فها هو التهريج فقد اصبح أمرا لازما، فقد بدأ يأخذ طريقه عند من يشجعهم الاستماع إليه، فرحات أكتشف بكفائته مهمة الباحث عن الآثار، لقد ذهب يحفر في المقابر، أنا أعرفه كمهرج، فكتابه الفتى الجزائري ليس سواء بكائيات تكفر عن خطأ (أنك كإبنته هامل كارت) هذا الشيء جيد منك.

لكن في مجمل ما أصابنا من الهزائم من الجزائر، هإننا أمام شر جديد: المتثيقفون مدعو الثقافة، فالزاوية المرابطية، أو المطبعية كل منهما أورث الكارثة نفسها؛ إنهما جهل وتعلم المتثيقفونبالامس كانت الحروز والتمائم، واليوم الأبواق، هذه هي المأساة، عباس أين الفرق بينهما؟ بالأمس كان باشوات قسنطينة أجدادك يلزمون اليهود خلع أحذيتهم إذا مر أمامهم، هذا شيء مستنكر حتما، لكننا اليوم ، ومع تطور الزمن، فإن الورقة اليهودية أصبحت أكثر تمويها وريعا من ربع الحروز والتمائم ، إنك اليوم تخلع من قلبك روحك وتلبس لباس تنكرهم مضحكا هذا و مخز، والصحابة التي يرشوها (عجل الذهب الذي عبده اليهود في غياب موسى عليه فيلا جبل طور كما ورد في القرآن الكريم)، يعرف كيف يزودها بالفزعات التنكرية التي تخيف، لقد ألبسوا النزعة الإسلامية فزاعة يبذرون بها الهلع في صفوف المتثيقفون الشجعان، لماذا لا يكون الإسلام بكل اختصار هو المقصود؟ لكن أنت عباس هل تخدع نفسك أم تخدعنا نحن؟

الماضي الحاضر ليس هو ماضينا، ماضينا هو قبل النرجيلة والحرير، قبل خدم السلطان والمنتفعون المصطفين على أبوابه، ماضينا قبل المرابطية وقبل المتثيقفون، ماضينا هو روحنا التي تلطخت بالدم أريق في صفين، لكنها بقيت روحنا لأنها روح مستقبلنا.

المصدر: عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، ص155-15

الملحق رقم: 03: صورة لمالك بن نبي الطفل: http://jawdatsaid.net

الملحق رقم: 04

صورة لبعض الطلبة الذين كتبوا عن مالك بن نبي وركزوا عن الجوانب الفكرية والنظرية

المصدر: http://jawdatsaid.net

الملحق رقم06صورة لمالك بن نبي في إحدى المحاضرات

الملحق رقم:07: صورة لمجموعة من مؤلفات مالك بن نبي

المصدر: http://jawdatsaid.net

الملحق رقم:08: مالك بن نبي رفقة جودت سعيد في منزله بقاسيون سوريا 1972

الملحق رقم:09: صورة لمالك بن نبي.http://jawdatsaid.net

المصدر: https://ar.wikipedia.org

الملحق رقم10: مالك بن نبي رفقة صديقه حمودة بن الساعي.

الملحق رقم11: مالك بن نبي رفقة صديقه الطيب قالي: المصدر: http://jawdatsaid.net

الملحق رقم 12: قبر الراحل مالك بن نبي المصدر https://ar.wikipedia.org

الملحق رقم13: مالك بن نبي رفقة عبد السلام الهراس وأمير الريف المغربي عبد الكريم الخطابي وكمال الحناوي مدير وكالة الشرق الأوسط للأخبار والدسوقي عبد الوارث مدير جريدة الشعب. المصدر: عمر كامل مسقاوي، المرجع السابق، ص 52

الملحق رقم14: مالك بن نبي رفقة جمال عبد الناصر وابن الشيخ سي المهدي بوعبدلي.

الملحق رقم:15: مالك بن نبي رفقة بعض علماء ومشايخ الأزهر في مصر.

الملحق رقم:16: مالك بن نبي مرتديا اللباس التقليدي الجزائري البرنوس.

المصدر: http://jawdatsaid.net

قائمة الببليوغرافيا

أولا: المراجع بالعربية.

1_ ابن زيدان عبد الرحمان، **الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة**، دون طبعة، المطبعة الاقتصادية بالرباط، المغرب، 1937.

2_ بن نبي مالك، **بين الرشاد والتيه**، بإشراف ندوة مالك بن نبي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1987

3_ بن نبي مالك، **شروط النهضة**،ترجمة عمر كامل مسقاوي،عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي،الطبعة الرابعة ،دار الفكر،دمشق سوريا، 1987

4_ بن نبي مالك، **في مهب المعركة إرهاصات الثورة**، إصدار ندوة مالك بن نبي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق سوريا، 1981.

5_ بن نبي مالك، **مجالس دمشق**، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2005

6_ بن نبي مالك، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الرابعة، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984

7_ بن نبي مالك، **ميلاد مجتمعشبكة العلاقات الاجتماعية**،الجزء الأول ، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الثالثة، دار الفكر،الجزائر،دار الفكر، دمشق، سوريا، 1406هـ، 1986م

8_ بن نبي مالك، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986

9_بن نبي مالك، **القضايا الكبرى**، بإشراف ندوة مالك بن نبي،الطبعة الأولى ،دار الفكر المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا 1991

10_بن نبي مالك، **المسلم في عالم الاقتصاد**، بإشراف ندوة مالك بن نبي،الطبعة الرابعة ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق،سوريا،1987

11_بن نبي مالك، **تأملات**، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1979

12_بن نبي مالك، **فكرةكمنويلث إسلامي**، ترجمة الطيب الشريف،الطبعة الأولى ،دار الفكر المعاصر،دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981

13_بن نبي مالك، **مذكرات شاهد على القرن**، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984

14_بن نبي مالك، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة: بسام بركة، أحمد شعبوا،إشراف وتقديم المحامي عمر مسقاوي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002

15_بن نبي مالك،**فكرة الأفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ**،ترجمة عبد الصبور شاهين، إعداد ندوة مالك بن نبي،الطبعة الثالثة ،دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان،دار الفكر، دمشق سوريا،2001.

16- بريون فوزية، **مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2010.

17- أبو العلى التقوى السيد، **الفرقةالوهابية في خدمة من؟**دون طبعة، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون سنة.

18-أصراف روبير، **محمد الخامس واليهود المغاربة**، ترجمة: علي الصقلي ومحمد كازيم،الطبعة الأولى ، CRJM، المغرب، 1997.

19- البهلوان علي، **تونس الثائرة**، مؤسسة هنداوي، سي أي سي، المملكة المتحدة، بريطانيا، 2018.

20- التكريتي بثينة عبد الرحمن، **جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، وقفية جمال عبد الناصر الثقافية، بيروت، لبنان، 2000.

21- الجندي أنور، **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، الطبعة الثانية، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب البناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، دون سنة.

22- المدني أحمد توفيق، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001.

23-المطبقاني مازن صلاح حامد،**جمعية العلماء المسلمين الجزائرييندورها في الحركة الوطنية الجزائرية**، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جدة السعودية، 1985.

24- الميلي محمد، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، صدر عن وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.14.

25- بن قينة عمر، **شخصيات جزائرية**، الطبعة الأولى، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 1983.

26- بوحوش عمار، **تاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962**،الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.

27-بوخلخال عبد الوهاب، **قراءة في فكر مالك بن نبي**،ط1، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد152، الدوحة، قطر،2012.

28-بودقزدامعمران،**التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2015.

29- بوعزيز يحي، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية{1830ــ 1954}**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

30- بيشي محمد عبد الحليم، **نظرية الاستعمار والثورة في فكر مالك بننبي**،إيفي ميديا، الجزائر، 2013.

31-تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية(1939/ 1956)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

32- تشيكو آمنة، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي**، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

33- حباسي شاوش، **من مضاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر(1830، 1962)**، دار هومة، الجزائر، 1998.

34- حربي محمد، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، دار موقم، الجزائر، 2008.

35- رأفت الشيخ، **تاريخ العرب المعاصر**، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، دون طبعة، دار روتابرينت للطباعة، دون بلد نشر، 1995

36- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية{1900- 1930}**،الجزء الثاني، الطبعة الرابعة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

37- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي{ 1830-1954}**،الجزء الرابع ،الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

38-سعود الطاهر، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، الطبعة الأولى، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العراق، بيروت، لبنان، 2006

39- شاويش محمد، **مالك بن نبي والوضع الراهن**، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق، سوريا، 2007.

40- صالح نجيب، **تاريخ العرب السياسي(1856_ 1956)**، الطبعة الأولى، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1985.

41-طالبي عمار، **فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر**، جامعة قطر، دون سنة.

42-مالك بن نبي ، **تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي_ دور الأفكار في رقي الفرد وفي تحضير المجتمع ودور قادة الصراع الفكري، والاستعمار في تخلف العالم الإسلامي وإعاقة تحضره وكيفية التغلب على الصعاب**، ترجمة وتلخيص وإعادة الصياغة: محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الدعوة، القاهرة، مصر، 1997.

43-معريش محمد العربي ، **مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين (1920/ 1938)**، **مجلة الثقافة**، العدد 85، 1985.

44-مسعودان نور الدين، **مالك بن نبي { حياة وأثار_ شهادات ومواقف}**،دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دون سنة نشر.

45- مسقاوي عمر كامل، **في صحبة مالك بن نبي" مسار نحو البناء الجديد**"،الجزء الأول ، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2013.

46- السحمراني أسعد، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**،دار النفائس، بيروت، لبنان،1984.

47- العبدة محمد، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي(1905،1973)** الطبعة الأولى، علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم، العدد 31، دار القلم، دمشق، سوريا،2006.

48- العسكري عماد يحي خالد، **الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية**، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، 2013.

49- العويسي عبد الله بن حمد، **مالك بن نبي حياته وفكره**، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012.

50- بدوي عبد الرحمن محمد، **الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية**، مطابع الهيئة المصرية العامة، للكتاب، القاهرة، مصر، 2005.

51- بن نبي مالك، **الحقيقة والمآل**، جمع وتقديم نور الدين الخندودي، الطبعة الثانية، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

52- جيلا لي بوبكر، **البناء الحضاري عند " مالك بن نبي"**، دار المعرفة، الجزائر، 2010

53- عمارة محمد، **جمال الدين الأفغاني موقظ وفيلسوف الإسلام**، الطبعة الثانية، دار الشروق، جميع، القاهرة، مصر، 1988.

54- مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة**، الطبعة الثانية، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2013.

55- بحوث الملتقى الدولي بتلمسان أيام 14/13/12 حول **مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ضمن إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

56-أشغال أول ملتقى للفكر الإسلامي في ثانوية عمارة رشيد، الجزائر العاصمة، مابين 24 ديسمبر 1968 إلى 1يناير 1968، بمبادرة مالك بن نبي وتحت عنوان **(معنى الحضارة)**.

57-شعيب شنوف، مداني عصمان، **الاقتصاد العالمي العادل مالك بن نبي نموذجا، الملتقى الدولي الأول، الاقتصاد الإسلامي، الواقع ورهانات المستقبل**، المركز الجامعي، غرداية، يومي 23_ 24 فيفري 2011.

58- جبرين عطا الله جويلس إبراهيم، **العقيدة في فكر جماعة الإخوان المسلمين، دراسة تحليلية**، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في العقيدة، قسم أصول الدين في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، غزة، فلسطين، 2014.

59- لعميري لويزة، **نظرية الثقافة عند مالك بن نبي ـ دراسة تحليلية نقدية.** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة والأدب العربي، فرع النقد الثقافي، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2014.

60- العقبي حسن موسى محمد، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة مقدمة كمطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2005.

61- شبوب محمد، **الجزائر في الحرب العالمية الثانية {1939ـ1945}_دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ

الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران ـ 1ـ ، الجزائر،2015.

62- فرسوني فراس محمد، **الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر**، رسالة مقدمة إلى جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009.

63- موفق عبد الله الشهابي، الحرب **العربية الصهيونية _ حرب 1948_** قدم هذا البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على دبلوم الدراسات الفلسطينية،برنامج دبلوم الدراسات الفلسطينية، قسم الأبحاث والدراسات، أكاديمية دراسات الاجئين، 2016.

64-جميلة بنت عيادة الشمري، **مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، شبكة الألوكة، دس ن.

65-طعبة سعاد، فتيح خالد، **القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي ومفهوم الذات** مجلة تاريخ العلوم، العدد 9، سبتمبر 2017، جامعة عاشور زيان، الجلفة.

66-محمد بن عمارة، موساوي سمية، **المرض الاجتماعي انطلاقة نحو البناء، نظرية التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 19، 2016.

67- العرباوي عمر محمد أرزاز، **إشكالية المرأة في الفكر العربي الإسلامي رؤية مالكبن نبي أنموذجا، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية**، العدد 01، مخبر البحوث الاجتماعية.

68- العابد ميهوب، **مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي، مجلة علومالإنسان والمجتمع**، جامعة عاشور زيان، الجلفة، الجزائر، العدد2، 2012.

69- اليحياوي شهاب، **نظرية التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي من خلال مفهومي دورة الحضارة والقابلية للاستعمار، مجلة الدراساتوالبحوث الاجتماعية**، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد19، نوفمبر2019.

70-مرزوقي بدر الدين، **الأسس الحضارية للظاهرة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي قراءة نقدية في بعض المفاهيم الحديثة**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، جوان 2016.

71-بوعزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة، وحدة بحث ، تنمية الموارد البشرية، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف2.

72-عمار قاسمي، رؤية مالك بن نبي لمشكلة المرأة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

73-بولرباح عسالي، **أولوية الربيع الاقتصادي في ضوء كتابات مالك بن نبي**، جامعة الجلفة.

74-سليمان ملوكي، **النظرية الاقتصادية عند مالك بن نبي من خلال ثلاثية توجيه رأس المال، توجيه العمل وتوجيه الوقت**، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، العدد 10، جامعة المسيلة، 2013.

75-البشير قلاتي، **الأفكار الاقتصادية عند مالك بن نبي**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

76- البشير مصيطفى، **المسألة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، معهد الاقتصاد، الجزائر، مجلة الموافقات،** المعهد الوطني العالي لأصول الدين_ الجزائر، العدد 3 جوان 1994.

77–سامر مظهر قنطقجي، **النظرية التنموية في فكر ابن خلدون ومالك بن نبي.**

78–قرواز الداودي، **فلسفة لتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي،** مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 25، 19 ديسمبر، 2014.

79–أكرم بوجمعة، **أوظاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،** جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 28، أوت 2016.

80–**مجلة الفيصل،** العدد 196، 1998.

81–**مجلة دراسات إنسانية واجتماعية،** جامعة وهران، العدد5، 2015.

82–مجلة الزمان الجديد، 30/ 6/ 2002.

المراجع الأجنبية:

/1. DilmiZoheir **, Malek ben nabi (1905_ 1973)et les conditions d une nouvelle, renaisse de la soucite arabo musulmane** , université , de Montréal, faculté de theouagie, et de siences des rligions,Mémoire parenté a la faculté des études supérieures En vue de 1obention, du garde de Maitrise(MA),es, sciences des religions, Décembre,2013,

المواقع الالكترونية:

https://ar.wikipedia.org

http://www.binnabi.net

http://www.binbadis.net

http://www.youtube.com

http://jawdatsaid.net

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	/
شكر وعرفان	/
مقدمـــــــــة	**01**
الفصل التمهيدي: التعريف بمالك بن نبي	
المبحث الأول: شخصية مالك بن نبي	**09**
المطلب الأول: مولده ونشأته	**09**
المطلب الثاني: تكوينه	**15**
المطلب الثالث: إنتاجه الفكري	**20**
المطلب الرابع: وفاته وأقوال العلماء فيه	**21**
المبحث الثاني: بيئة مالك بن نبي	**26**
المطلب الأول: الأوضاع السياسية	**26**
المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية	**30**
المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية	**31**
المطلب الرابع: الأوضاع الثقافية	**36**
الفصل الثاني: مالك بن نبي وموقفه من القضايا السياسية في الوطن العربي	
المبحث الأول: قضايا المغرب العربي	
المطلب الأول: اغتيال الهادي شاكر التونسي	**42**
المطلب الثاني: نفي الملك محمد بن يوسف المغربي	**44**
المطلب الثالث: الحركة الوطنية الجزائرية	**46**
المطلب الرابع: الثورة الجزائرية	**52**
المبحث الثاني: قضايا المشرق العربي	
المطلب الأول: القضية الفلسطينية	**57**
المطلب الثاني: النكبة الفلسطينية	**62**
المطلب الثالث: جمال عبد الناصر	**66**
المطلب الرابع: الديمقراطية في الوطن العربي	**70**

الفصل الثالث: المسألة الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي	
المبحث الأول: موقفه من الحركات الإصلاحية	**79**
المطلب الأول: الحركة الوهابية	**79**
المطلب الثاني: حركة جمال الدين الأفغاني	**81**
المطلب الثالث: حركة الشيخ محمد عبده	**86**
المطلب الرابع: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	**89**
المطلب الخامس: حركة الإخوان المسلمين بمصر	**94**
المبحث الثاني: موقفه من مشكلة الاقتصاد في الوطن العربي	**97**
المطلب الأول: تعريفه للاقتصاد	**97**
المطلب الثاني: شروط الإقلاع الاقتصادي	**101**
المطلب الثالث: مفهوم التخلف وأسبابه	**105**
المطلب الرابع: مفهوم التنمية وأساليبها	**109**
المطلب الخامس: دور البترول في تنمية الاقتصاد العربي	**113**
الفصل الرابع: المسألة الثقافية والفكرية عند مالك بن نبي	
المبحث الأول: المسألة الثقافية	**119**
المطلب الأول: مفهوم الثقافة في التاريخ	**119**
المطلب الثاني: الجوانب النفسية للمسألة الثقافية	**124**
المطلب الثالث: الجوانب الاجتماعية للمسألة الثقافية	**130**
المطلب الرابع: الأزمة الثقافية في الوطن العربي	**134**
المطلب الخامس: المرأة والزى	**138**
المبحث الثاني: مشكلة الأفكار في الوطن العربي	**141**
المطلب الأول: الأفكار وازدواجية اللغة	**141**
المطلب الثاني: الأفكار الميتة والأفكار المميتة	**145**
المطلب الثالث: الأفكار وجدلية العالم الثقافي	**148**
المطلب الرابع: الأفكار بين الاطراد الثوري والسياسة	**151**
خاتمـــــــــة	**155**

الملاحـــــــــق	**161**
قائمة البيبليوغرافيا	**170**
فهرس المحتويات	**/**